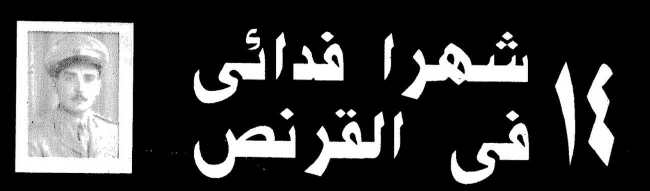

١٤ شهرا فدائى
فى القرنص

إهـــــــداء 2005

الخبير الاقتصادى/ محمد احمد غانم
القاهرة

« ١٤ » شهرا فدائى فى القرنص

القرنص تحريف محلى لكلمة انجليزية كان يقصد بها معسكرات الجيش البريطانى خلال مرحلة احتلال القوات البريطانية لمصر تعارف عليها العاملون المصريون فى الجيش البريطانى فى مصر فى الأربعينيات والخمسينيات .



العادة أن يهدى المؤلف مؤلفه إلى واحد أو أكثر ممن كانوا أصحاب فضل على الكاتب نفسه أو إلى رمز أو أكثر من الرموز التى حواها الكتاب أو إلى الفكرة التى أثارت فى المؤلف مادفعه إلى الكتابة .

والاهداء لا يكون إلا ممن يملك ما يستطيع اهدائه .

وما أقدمه لشباب مصر ممثلا فى إعادة لبعض المواقف الوطنية التى كنت طرفا فيها لا أدعى أنى أملك فيها شيئا حتى يحق لى أن أهديه ، وإنما هو بعضا من تاريخ مصر يملكنى ولا أملكه فكيف أهدى مالا أملك .

ولكنى بعد أربعون عاما وأكثر من الكتمان وجدت انه قد آن الأوان لأن أشارك فى صحوة لابد منها تعيد إلى شباب مصر ثقته فى بلده وقدرات بلده وفعاليات يملكها على مر التاريخ شباب من أهل بلده .

وجدت أنه من حق شباب مصر الحديث وقد تكاتفت عوامل كثيرة محلية وخارجية تكاد تفقده ولاءه وارتباطه ببلده أن أساهم فى أى جهد يعيد لهذا الشباب ولاءه وثقته وارتباطه ببلده .

وليس أفضل فى إعادة الولاء والارتباط من التذكير ببعض الأمثلة الناجحة لشباب مثله لم يفقدوا إيمانهم بوطنهم فحققوا كلّ فى مجاله النجاح لمصرنا فى أحلك الظروف على مر التاريخ وعليهم على شباب مصر الحديث أن يحملوا المشعل ويكملوا على نفس الدرب المسيرة ، وأيضا كلّ فى مجاله لا أن يستسلم لليأس والقنوط أو تدعوهم قلة الحيلة إلى التفكير فى الهجرة والهروب أو يرتموا باستسهال فى أحضان الأمر الواقع متجاهلين أنهم هم وهم وحدهم الذين تعتمد مصر عليهم ان يقدموا الأمثلة والنماذج التى تبرق فى تاريخ مصر حفاظا لهذا الوطن ولأجيالهم اللاحقة لما تسلموه بأمانة من أجيالهم السابقة .

وعلى هذا فإنى لا أملك إهداء

ولكنى أملك تقديما

وما أقدمه ليس إلا مجموعة من المواقف والذكريات يربطها أنى عايشتها بنفسىَ شخصيا فى مرحلة معينة من تاريخ مصر وتعمدت أن أعيد روايتها بأسمائها الحقيقية وأماكنها الواقعية .

ولأنى لست مؤرخا ولم أجمع ولم أحاول أن أجمع القدر اللازم من الوثائق وشهادات أصحاب القرار فى كل ما يغطى المرحلة التى عاصرت المرحلة الوارد بعض مواقعها وذكرياتها فهى لا يمكن أبدا اعتبارها تأريخا لهذه المرحلة كما لا يمكن قراءتها كرواية تاريخية لافتقادها عناصر الحبكة الدرامية .

وأعيد وأكرر أنها مجرد مجموعة من المواقف والذكريات كنت شاهدها منقولة بكل الصدق .



والتقديم أقدمه لكثيرين

أقدمه لشباب مصر الحديث وكلى ثقة وكلى يقين من أصالة معدنه وأنه سيقود مصر دائما إلى الخير ولاءًا لمصر واقتداءًا بالعديد من عطاء نماذج من شباب مصر على مر التاريخ والعصور .

أقدمه وفاءً والتزاما إلى شهدائنا من شباب مصر على مر التاريخ والعصور قدموا أرواحهم أساسا ثابتا متينا لبناء مصر عزيزة شامخة ـ أقدمه بصفة خاصة إحياء لذكرى ـ أخشى أن تكون قد نسيتها مصر بقصد مريب ـ إحياء لذكرى شهداء مرحلة الاحتلال البريطانى لمصر والتى كانت صرختهم دائما الاستقلال التام أو الموت الزؤام ونالوا الشهادة بالموت الزؤام حتى حققت مصر الاستقلال التام ـ وتركيزا على الحقبة التى تناولتها مرحلة الذكريات أقدمها إلى الزعامات الوطنية لمصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ كل الزعامات بلا تفضيل ولانسيان الزعامات السياسية والزعامات الفكرية التى قادت فورات شباب مصر ضد الاحتلال خلال ٧٤ عاما قضتها مصر فى ذل الاحتلال البريطانى من عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٥٦ أقدمها بصفة خاصة إلى صيحات التنوير إلى حد التضحية من الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد والشيوخ الأجلاء جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورفاقهم أقدمها بصفة خاصة إلى الثورة الشاملة ثورة ١٩١٩ وزعيمها سعد زغلول ورفاقه . ثم أتوج هذا التقديم بتقديمها إلى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وإلى زعيم هذه الثورة جمال عبدالناصر ورفاقه الذى كان وكانوا نهاية المطاف وبعزمهم الصادق على إنهاء الاحتلال العسكرى واستخداما لظروف محلية وعالمية أحسنوا استغلالها تحقق على يديهم أمل مصر ورجاء وحلم مصر خلال ٧٤ عاما للتخلص من ربقة الاحتلال الأجنبى .

أقدمها إلى مجموعة من الشباب آمنوا بربهم وآمنوا ببلدهم مستقلا قادهم بتوفيق من الله وقدرة إدارية غير منكورة البكباشى زكريا محى الدين مدير المخابرات العامة فى معركة المخابرات العامة المصرية فى وقت كانت فيه المخابرات العامة المصرية مازالت فى مرحلة الاعداد لانشائها فى صورتها المستحدثة الشاملة سنتى ١٩٥٣ / ١٩٥٤ ضد الاحتلال والوجود العسكرى البريطانى على ضفاف قناة السويس مؤكدين بعضا من النماذج المشرفة لمخابراتنا المصرية .

أقدمها ولا تتعجبوا إلى عدد من أصحاب السوابق استعانت بهم هذه المجموعة ضمن من استعانت بهم فى زعزعة الأمن والاستقرار للقوات البريطانية على شاطىء قناة السويس وكانوا قمة فى الوطنية وقمة فى التضحية والوفاء إيمانا بما يوجهون إليه وانتقلوا بوطنيتهم من أشرار إلى أبطال .

وأولا وأخيرا أقدمه إلى شباب مصر أدعوه أن تبرز من بينهم النماذج الوطنية المشرفة المكملة لمسيرة من سبقوهم من شباب مصر الأبطال .

محمد غانم



محمد غانم

ـــ خريج الكلية الحربية يوليو ١٩٤٤ .
ـــ ضابط مدفعية فى البطارية الثانية آلالاى الأول مدفعية الميدان من يوليو ١٩٤٤ حتى يوليو ١٩٤٩ .
ـــ شارك فى أولى معارك الجيش المصرى فى فلسطين من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى هدنة يناير ١٩٤٩ .
ـــ أركان حرب المدرسة الثانوية العسكرية من يوليو ١٩٤٩ حتى قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ .
ـــ أركان حرب مدفعية الفرقة من يوليو ١٩٥٢ حتى مايو ١٩٥٣ .
ـــ الالتحاق بالمخابرات العامة ضمن جهاز مكافحة الوجود العسكرى البريطانى فى مصر من مايو ١٩٥٣ حتى توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر بالأحرف الأولى فى يوليو ١٩٥٤ .
ـــ نائب مدير قسم الصحف والإذاعة بالإدارة العامة للمخابرات من يوليو ١٩٥٤ حتى أوائل ١٩٥٥ .
ـــ ضمن مجموعة العمل الخارجى للمخابرات العامة المصرية فى المشرق العربى أعوام ١٩٥٥ / ١٩٥٦ / ١٩٥٧ تحت غطاء مدير فرع شركة النيل للاعلان فى بيروت وفروعها فى كل بلاد المشرق العربى .
ـــ وتحت غطاء مستشار إعلامى فى السفارات المصرية فى لبنان وفى سوريا وفى الأردن ومدير مكتب الاستعلامات المصرى فى بيروت خلال النصف الأول من عام ١٩٥٨ .
ـــ رئيس والعضو المنتدب لشركة النصر للتصدير والاستيراد من سبتمبر ١٩٥٨ حتى سبتمبر ١٩٧١ .
ـــ العضو المنتدب للشركة العربية الأفريقية للاستثمار والتجارة الخارجية افاركو ومركزها الكويت أعوام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .
ـــ صاحب ومدير المكتب الاستشارى للتجارة والاستثمار (نشاط اقتصادى خاص فى القاهرة) من ١٩٧٥ .

رغم أن ضابط القوات المسلحة مثله مثل باقى أفراد القوات المسلحة قد هيأ نفسه وهيأته دولته ليكون فى زمن الحروب الشخص المضحى بحياته فى سبيل القضية المؤمن بها والتى لم تجد دولته وسيلة لتحقيقها إلا بإعلان الحرب مضحية ببعض شبابها العسكريين المؤهلين للحرب وغالبا ببعض مواطنيها من المدنيين نتيجة إغارات الطائرات والصواريخ البعيدة المدى فى الحروب الحديثة .

ورغم أن عددا من الضباط وأفراد القوات المسلحة لا يعودون من هذه الحروب إلا شهداء والكثير منهم يعود مجروحا إما بجرح يشفى منه مهما طال الزمن أو يتحول جرحه إلى عاهة تتفاوت درجاتها ولكنها تبقى معه ما بقى له من عمر .

رغم هذا يطلق على هؤلاء الذين هيأوا أنفسهم مزودين بالإيمان بحق دولتهم عليهم بالتضحية يطلق عليهم المقاتلين الأبطال أو الشهداء الأبرار ولهم كل التقييم والتقدير من الجميع .

ولكن لا يطلق عليهم الفدائيون علما بأنه يحدث أن تتطلب بعض العمليات القتالية بعض العمليات الفدائية ينتقل بها فرد القوات المسلحة المحارب من مقاتل إلى فدائى داخل المعركة .

ولعل الفرق بين المقاتل والفدائى أن المقاتل يدخل مجال التضحية وهى بلا شك تضحية ولكن الأمل عنده أكبر فى أن يعود منها سليما أو أضعف الايمان مجروحا جرحا سرعان ما يندمل . أما الفدائى فيدخل مجال التضحية وشعوره الأغلب أنه لن يعود وأنه لا محالة هالك وما يدفعه إلى هذا الهلاك بارتياح الا يقينه من أنه حقق هدفا ما كان غيره بمستطيع ان يحققه والمحارب المقاتل غالبا ما يشد أزره أنه جزء من جماعة يقوى بعضهم بعضا يظللهم الجماعية والحماس المشترك ويدافع بعضهم عن بعض متجاورين أو عبر الفضاء بالصواريخ والقذائف والطائرات وما إلى ذلك مع توقع النجدات فى كل وقت .

أما الفدائى فيغلب على تحركاته الفردية ومسئوليته المنفردة تزيد من شدة أعصابه فيصبح كتلة من الأعصاب حيث أنه وحده المسئول عن تحقيق هذا الهدف .

كنت مقاتلا محاربا بحكم كونى ضابطا بالقوات المسلحة تخرجت من الكلية الحربية دفعة ١٩٤٤ وعينت فى سلاح المدفعية ، وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ قررت حكومة مصر فى ذلك الوقت الدخول إلى فلسطين عسكريا لمساعدة الشعب الفلسطينى أمام التطلعات الصهيونية لاحتلال أرض فلسطين وكان ذلك عقب قرار الحكومة البريطانية إلغاء انتداب عصبة الأمم لها بحكم فلسطين وانسحاب قواتها المسلحة من أرض فلسطين تاركة فلسطين للصراع الفلسطينى الصهيونى .

كنت الضابط الفنى فى أحد تروبى بطاريتى المدفعية الوحيدتين ٢٥ رطلا التى يملكها الجيش المصرى فى ذلك الوقت والتى كانت واقع الأمر أحدث مدفع أثبت وجوده فى معركة العلمين وما تبعها من معارك حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وكان آلاى المدفعية ٢٥ رطلا هذا هو ممثل سلاح المدفعية ضمن قوات المقدمة برئاسة اللواء سيد طه الذى لقبوه بالضبع الأسود عبرنا بها الحدود المصرية الفلسطينية من مدينة رفح فجر ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ومنذ هذا التاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى أوائل ديسمبر ١٩٤٨ تنقلت مع هذا التروب من معركة إلى معركة بسلبياتهم وإيجابيتهم وليس هذا مجال الحديث عنهم وقد أعود لذلك يوما ما . ويشهد الله أنى أبليت بلاءً حسنا فى هذه المعارك وفرضت على الظروف فى بعضها وقتيا أن أنقلب من محارب إلى فدائى ولكن داخل حدود المعارك إلى الحد الذى استحققت الإنعام علىّ بوسام نجمة الملك فؤاد العسكرية .

وكان هذا الوسام أعلى الأوسمة العسكرية مقاما قبل الثورة ولا يمنح الا لعدد محدود جدا ممن كانت شجاعتهم وبلائهم محل التكريم الخاص يقابله فى ذلك حاليا وسام نجمة سيناء العسكرية بعد معارك ١٩٧٣ المجيدة وبينهما فى مرحلة الثورة الأولى سمى هذا الوسام النجمة العسكرية باستبعاد اسم الملك فؤاد بطبيعة الحال .

رغم وطنيتى المتأججة ورغم يقينى ورضائى عن نفسى كمحارب مقتنع كل الاقتناع بدورى فى الحياة كضابط بالقوات المسلحة مستعد فى أى وقت لتنفيذ واجبى الذى هيأتنى الدولة له كمضح فى سبيل الوطن إلا أنى لم أكن أتصور يوما ما أنى سأكون فدائيا إلى أن كانت أحد الأيام الأولى لشهر ديسمبر ١٩٤٨ وكنت قد انتقلت حديثا للعمل ضمن رئاسة قوات المدفعية فى المعركة وكان مقرها مدينة غزة ـ حضر إلى رئاسة المدفعية قبل ظهر ذلك اليوم البكباشى محمود رياض المسئول عن مخابرات الحملة المصرية فى فلسطين فى ذلك الوقت (فيما بعد السفير ووزير الخارجية وأمين عام الجامعة العربية رحمه الله) .

يومها اجتمع البكباشى محمود رياض مع اللواء الجارحى (رحمه الله) مدير مدفعية الحملة المصرية فى فلسطين فى ذلك الوقت والصدفة والقدر جعلانى حاضرا وطلب منه تعيين ضابط نقطة ملاحظة من أكثر ضباط المدفعية تدريبا يكلف بأن يخترق الحدود الفاصلة بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية أمام غزة بعد الغروب حتى يصل إلى ما كان الجنود يسمونها منطقة بين النهدين وهى مسافة مسطحة لا تتجاوز حوالى ٣٠٠ متر تفصل بين سلاسل الجبال الموازية للبحر الأبيض المتوسط فى مواجهة غزة ويسيطر عليها القوات الإسرائيلية على أن يقبع هذا الضابط وسط هذه المنطقة حتى بعد منتصف الليل ليوجه نيران مدفعية مكثفة تدمر القوات الإسرائيلية المستترة خلف سلاسل الجبال انتظارا لظلمة الليل

خلال رحلة عبورها هذه المسافة المسطحة الغير محمية من الجبال فى طريقها لتطويق القوات المصرية ولتضعهم داخل كماشتها .

اعترض اللواء الجارحى مؤكدا للبكباشى محمود رياض أن من يقوم بمثل هذه المهمة من ضباط المدفعية يجب أن يكون على أعلى مستوى تدريبى وأن عدد هؤلاء محدود تحت قيادته وحيث أن عودة هذا المدفعى المدرب سليما تكاد تكون مستحيلة فلا يستطيع أن يضحى بالإمكانيات المحدودة تحت قيادته ومازالت الحروب قائمة مقترحا أن الأنسب تكليف وحدة محاربة مناسبة متكاملة بالهجوم الكاسح عليهم فى مرحلة محاولتهم تخطى هذه المسافة المكشوفة مع مساعدة المدفعية لهم من نقط ملاحظة مأمونة وليست مدسوسة وسطهم .

حاول البكباشى محمود رياض إقناع اللواء الجارحى كثيرا وكانت حجته قوية خصوصا عندما شرح الخطة الإسرائيلية للإطاحة بالقوات المصرية فى غزة بتطويقها فى كماشة محتمل أن يصل أحد فكيها إلى مدينة العريش المصرية نفسها وهم لذلك يجمعون قوات مكثفة تسير فى محاذاة سلاسل الجبال الموازية للبحر مستترين وراءها ولما كانت منطقة ما يسمى بين النهدين فى مواجهة قطاع غزة مشكوفة ولاتغطيها سلسلة الجبال فهم يتجمعون فى طرفها الشمالى وينتظرون حلول الظلام ليعبروا هذا المضيق المكشوف مستترين بحلكة الليل تحميهم من نيران المدفعية المصرية وشبكة الأسلحة النارية المتوافرة بكثرة فى جبهة غزة . وباكتشاف المخابرات الحربية المصرية للخطة الإسرائيلية اقترحت مفاجأة القوات الاسرائيلية فى عبورها لهذا المضيق ليلا واصطيادها وتدميرها بشبكة نيران مكثفة من المدفعية . ونظرا لضيق الوقت الذى قد يستغرقه هذا العبور ولضمان تركيز كثيف من النيران القوية المؤثرة فى وقت قصير كان التفكير فى تواجد ضابط مدفعية مدرب أحسن تدريب فى نفس هذه الفتحة يصوب نيران كل مدفعية قطاع غزة فى ضربات سريعة متلاحقة مكثفة محسن تصويبها إلى هذه الثغرة الصغيرة وقت عبور القوات المدرعة الإسرائيلية لها .

أثارتنى فكرة أن تطأ القوات الإسرائيلية الأرض المصرية وكانت حتى ذلك الوقت أمرا مستبعدا كل الاستبعاد فقدمت نفسى للواء الجارحى مستعدا للقيام بهذه التضحية ولكنه أسكتني بحزم اللواء القديم للملازم الحديث .

وانتهت المقابلة بلا نتيجة والدم يغلى فى عروقى إلى أن حضر من إحدى الدورات التفقدية لقوات المدفعية فى الميدان البكباشى أ .ح . احمد حسن الفقى أركان حرب مدفعية الحملة المصرية فى ذلك الوقت (السفير ووكيل أول وزارة الخارجية فيما بعد رحمه الله) وأخبرته باللقاء والحديث الذى تم بين اللواء الجارحى والبكباشى محمود رياض وما أن تأكد من جديتى وإصرارى على هذه التضحية حتى أقنع اللواء الجارحى ثم أخذنى من يدى متوجها إلى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى الميدان وسأل عن البكباشى محمود

رياض فقيل له أنه عند قائد الحملة المصرية اللواء أ.ح. فؤاد صادق (رحمه الله) وكان اللواء أ.ح . فؤاد صادق قد تسلم قيادة الحملة من اللواء المواوى مؤخرا . والشهادة لله لو كان هذا القرار بتولى اللواء أ.ح .فؤاد صادق قيادة الحملة المصرية فى فلسطين فى حربها الأولى عام ١٩٤٨ قد تم من البداية لما كانت قد نشأت أصلا مشكلة فلسطين ولكانت الحملة حققت أهدافها تماما بالسيطرة على فلسطين تماما بمجرد غيبة القوات البريطانية عنها ولكن هكذا مشيئة الله ولا راد لمشيئته .

قادنى البكباشى أ.ح . احمد حسن الفقى إلى اللواء أ.ح . فؤاد صادق وكان البكباشى محمود رياض قد انتهى لتوه من شرح مادار من حديث بينه وبين اللواء الجارحى قائد مدفعية الحملة للقائد اللواء أ.ح فؤاد صادق .

قدمنى البكباشى أ.ح. احمد حسن الفقى إلى اللواء أ.ح. فؤاد صادق كأحد أحسن متدربى ضباط المدفعية وأنى متطوع بكل الروح العالية لتنفيذ فكرة المخابرات الحربية المصرية بالتواجد وسط القوات الإسرائيلية لتوجيه شبكة نيران المدفعية المصرية بالاسلكى ضد القوات الإسرائيلية فى الوقت المناسب وبالتركيز المؤثر المطلوب .
نظر إلى القائد متفحصا وسألنى .
ـــ أنت مقدر خطورة اللى انت هاتقوم بيه .
ـــ أيوه يا فندم
ـــ الأمانة تفرض على أن اقول لك أن احتمال رجوعك تكاد تكون مستحيلة هتكون وسطهم ولابد هيكتشفوك ويقتلوك .

إن ما قتلتش أنت نفسك بنفسك بنيران مدفعيتك اللى هتوجها للمكان الموجود أنت فيه وموجود فيه القوات الإسرائيلية .
ـــ سيادة القائد انا شاب ماليش التزامات (لم أكن قد تزوجت) ولا أستطيع ان أواجه أهلى وأصدقائى لو حط العدو رجله على متر واحد من أرضنا فما بال وصولهم للعريش وتطويق الجزء الكبير من الجيش المصرى فى فلسطين .
ـــ أحييك وأحيى روحك العالية ولكن الأمانة أيضا تفرض على أنى أقدر احتمالات نجاح العملية دى بما لا يزيد عن ٣٠٪ .
ـــ حتى لو كانت ٣٪ .

أبدى القائد تقديره الكامل وأمر بتنفيذ العملية نفس الليلة وأعطى تعليماته بأن يتم وضع جميع مدافع الميدان لكل وحدات المدفعية المصرية فى جبهة غزة تحت إدارتى طوال بعد ظهر ومساء ذلك اليوم وطلب منى إعداد شبكة نيران مكثفة بحيث تنطلق المدافع جميعها موجهة أينما كان موقعها على ثغرة بين النهدين (مسافة ٣٠٠ متر) فى دفعات متلاحقة

مركزه فى الوقت الذى أراه مناسبا عندما تكون كل الوحدات الإسرائيلية فى هذا المضيق بكود لاسلكى تتفقون عليه لتقليل استخدام اللاسلكى بقدر الإمكان .

انشغلت بعد ظهر ومساء ذلك اليوم فى حساب خط نيران كل مدفع من المدافع التى وضعت تحت تصرفى وساعدنى على ذلك ما أكده البكباشى أ.ح. احمد حسن الفقى من أنى أحد أحسن متدربى ضباط المدفعية فى تلك الحملة وساعدنى أكثر الروح العالية والتجاوب بلا حدود لمسته من كل زملائى ضباط مدفعية غزة ليس فقط فى وحدتى بل فى كل وحدات المدفعية التى وضعت تحت تصرفى وفيما أذكره بهذه المناسبة الضغط الذى عانيته من صف ضباط وجنود وحدتى بالحاحهم بأن يشاركونى المهمة وبحرج شديد اخترت عامل لا سلكى واحد هو الوحيد المفروض أن يشاركنى المهمة .

وبعد أن اطمأنيت حاولت النوم قليلا ولكنى لم أستطع .

وبعد العاشرة مساء بقليل تسللت خارجا من خطوط الدفاع المصرية بعد أن أحطت علما بمسارات الألغام فى المواجهة المصرية لأتفاداها وكانت المشكلة هى خطوط ألغام العدو أمام جبهته وقد دعوت الله واستجاب الله دعائى أن ينُجينى منها .

كنا ثلاثة أنا وعامل اللاسلكى يحمل على ظهره الجهاز اللاسلكى وكانت الأجهزة فى تلك الحقبة كبيرة الحجم كثيرة الأعطال ، وثالثنا دليل عربى انتقوه لى ليقودنى فى ظلمة تلك الليلة إلى أنسب طريق يوصلنى إلى بين النهدين على بعد حوالى أربعة كيلو مترات فى أرض وعرة مليئة بالتضاريس الغير ممهدة وبالألغام من الجانبين .

ويعلم الله كانت هذه أقصى وأصعب مرحلة فى المهمة اجتزناها بحمد الله وتوفيقه وبمساعدة لا تنكر من خبرة الدليل العربى حتى وصلنا بسلام قبيل منتصف الليل إلى موقع القوات الإسرائيلية ورأيتها رأى العين فى مجنزراتها وحاملات جنودها منتظرين الأمر بعبور المضيق بين سلسلة الجبال فى غفلة من القوات المصرية يسترهم ليل بهيم .

كانوا هم فى عرباتهم ودباباتهم وحمالاتهم على الطريق وكنت أنا ومن معى على بعد خطوات منهم على حافة هذا الطريق وسط مجرى مياه الأمطار الموازية لكل طرق فلسطين .

ومن يعرف طرقات فلسطين يعرف أن أكثرها أن لم يكن كلها يسير موازيا لها وفى أحد أجنابها ممر منخفض عن مستوى الشارع قليلا تتجمع فيه مياه الأمطار .

وفى ممر المياه هذا موازيا للطريق وفى حمى شجرة من شجرات الطريق قبعت ومعى زميلاى بلا نطق ونكاد نكون بلا نفس نسمع حديثهم وصراخهم وضحكاتهم والتعليمات ألا يفتح الجهاز اللاسلكى إلا فى الوقت المناسب وبأقل عدد من الكلمات يشملها كود متفق عليه مع زملائى ضباط المدفعية خلف مدافعهم على الجانب الآخر من الجبهة .

وبعد حوالى الساعة مرت كما لو كانت دهرا ونحن قابعون فى مكمننا جاءت اللحظة التى عملنا لها ألف حساب وصدرت التعليمات للقول الإسرائيلى أن يتحرك متخطيا مضيق بين النهدين ومع أزير المحركات وزمجرة أصوات المجنزرات فتحت اللاسلكى وأصدرت التعليمات لأول طلقتين من أحد المدافع أختبر بهما صدق تصورى لخط النار . وكان الله معى فلم أجد هناك من حاجة لأكثر منهما بعدما استنفذت بعد ظهر ذلك اليوم من جهد فى حساب دقيق لتصور خط النار وصادف أن كانت سرعة الريح على معدلها المحسوب عليه الحسابات رغم أننا كنا فى الشتاء وما يثار فى مثل ليالى الشتاء من تقلبات فى الجو .

كان الله معنا وفى أعقاب الطلقتين اختبار تأكدت منهما صدق حساباتى نطقت بالكود الثانى الذى يعنى جحيم من القذائف فى وقت واحد من عشرات المدافع المجهزة لهذا الأمر وتكررت موجات شبكة النيران تسقط جميعها بتركيز محكم بين النهدين مدمرة كل التدمير كل القوات التى كانت تأمل أن تطوق القوات المصرية وتصل فى كماشتها إلى وادى العريش .

ولأن الله حامينا لم يتنبه أحد من قوات العدو إلى وجودنا رغم أن من لم تدكه قذائف المدفعية المصرية مع مادكت من آليات ترك آليته ما بين هارب من النيران وجريح قافزين فوق الممر المائى الذى نحن فيه نكاد أن نكون تحت أقدامهم لا يحمينا منهم إلا الشجرة الباسقة نكمن خلفها تحمينا منهم ومن القنابل ولعل حماية الله الأكبر كانت من أكثر من قذيفة من قذائفنا سقطت . وكان يجب أن تسقط . على بعد أمتار منا ومن حسن الحظ أنها لم تسقط علينا مباشرة وإنما انفجر بعضها فى الممر المائى بطينه ووحله فكان الأثر منها محدودا فى الكميات الكبيرة من الوحل والتراب والزلط تساقط علينا .

ومع التأكد من تمام نجاح العملية صدرت تعليماتى بإيقاف الضرب وقبل أن أنهى تعليقى السريع بنتيجة العملية أصاب جهاز اللاسلكى شظية اسكتته .

ومن مكاننا تابعنا اهتمام العدو بإخلاء أرض المعركة من آثارها فسرعان ما حضر العدد الكبير من عربات الإسعاف والأوناش يحملون ويرفعون مخلفات الضرب المركز للمدفعية المصرية .

ومع انشغالهم بذلك قادنى الدليل العربى فى رحلة العودة ومعى زميلنا الثالث عامل اللاسلكى وقد أسعده أنى سمحت له بأن يتحرر من جهاز اللاسلكى الثقيل الوزن ويتركه فى أرض المعركة حيث لم يعد صالحا للاستعمال بعدما أصيب تماما من الشظية .

كانت رحلة العودة أكثر سهولة من رحلة الذهاب فقد تخلصنا من توتر قرب اشتراكنا فى معركة مصيرية يتوقف عليها سلامة قواتنا المسلحة ومسئوليتنا نحن الثلاثة فى إمكانية

تحقيق ذلك وكانت أكثر سهولة لما يملؤنا من نشوة النجاح ١٠٠٪ فى مهمتنا وكانت أكثر سهولة فى أننا عدنا من نفس الطريق الذى سلكناه فى الذهاب وقد تأكدنا من أنه مأمون من الغام العدو والغام قواتنا وكان أكثر سهولة بتخلصنا من الجهاز اللاسلكى الثقيل الذى أمرت بتركه مدمرا فى أرض المعركة .

ومع هذه السهولة استغرقنا وقتا أطول فى العودة لتعمدنا أجتياز المناطق المكشوفة فى طريق العودة منبطحين على الأرض زاحفين خشية أن يكتشفنا قناصة العدو بعدما بدأت خيوط الفجر الأولى تفصح عما يخبئه ظلام الليل وقد أيقظهم بلا شك صخب مئات طلقات المدفعية فى وقت قصير أو يشك فينا قناصة قواتنا .

وعلى آخر مرمى نيران الأسلحة الصغيرة لقواتنا ومن نفس المكان الذى اجتزنا فيه قطاعاتنا الدفاعية قبعنا فى حفرة من حفر الطريق انتظارا لبزوغ الضوء الكافى الذى يسمح لقواتنا أن تميزنا فلا تطلق علينا النيران .

وأخيرا وقد بدأ قرص الشمس يتسلل من سلسلة الجبال لا يكاد يظهر إلا عبر بين النهدين حيث كنا من ساعات .

عدنا سالمين غانمين وسط دهشة وفرح زملاء السلاح وكانوا قد أيقنوا بموتنا .

كانت مفاجأة لنا ولهم فقد فوجئنا بتصورهم أننا استشهدنا وفوجئت كل قواتنا المسلحة فى غزة بعودتنا وقد وُزِّع عليهم نشرة بتمجيدنا لاستشهادنا فى سبيل الوطن .

عندما أصابت الشظية جهازنا اللاسلكى ومنعت التقاطهم لباقى تقييمى المختصر لنتيجة العملية وبترت شكرى وتهنئتى لنجاح العملية بالكامل تأكد لهم أن إحدى قذائفنا سقطت فوقنا تماما ونالت منا نحن الثلاثة وكان هذا أمرا متوقعا وزاد يقينهم عندما تأخرت عودتنا لما بعد بزوغ الشمس .

فلما عدنا بسلامة الله كانت المفاجأة وكانت الفرحة المضاعفة حيث أخذونا فورا إلى اللواء أ . ح فؤاد صادق الذى عبر لنا بفخر عن تقديره وتقدير كل قواتنا المسلحة وتقدير الوطن لما قمنا به .

وبصراحة صدقونى لو قلت أنه حتى هذه اللحظة لم يكن تقييمى لما قمت به على نفس مستوى ما أحسسته بعد كل ما أشاد به القائد العام وما استشعرته من فرحة صادقة من كل زملاء السلاح .

لم أكن أعرف حتى هذه اللحظة أن الفدائى حتى يعود ناجحا من مأموريته يكاد يكون كالمخدر لا إحساس خاص له ولا فكر يشغله عن مهمته مركزا كل مشاعره فى احتواء كل ما يمكن ومايملك لنجاح هذه المهمة .

قضيت يوم عودتى موزعا بين الراحة وتلقى تهنئة زملاء السلاح لى حتى استدعانى القائد فى اليوم التالى ليهنئنى مرة أخرى بسلامة العودة والأهم من ذلك يهنئنى بنجاح العملية فى تحقيق أهدافها ١٠٠٪ بعد ما وصله من استطلاع نتيجة القصف المدفعى فقد تحقق تدمير هذا القصف لكل آليات ومجنزرات العدو التى كانوا يعبئونها لتطويق القوات المسلحة المصرية فى قطاع غزة كما تأكد توقف العدو عن محاولة وصوله للأراضى المصرية عبر وادى العريش .

وخيرنى القائد بين أن يصدر أمره بترقيتى ترقية استثنائية إلى رتبة اليوزباشى أو أن أحصل مرة ثانية على نجمة الملك فؤاد العسكرية . ولم أندم يوما على أنى فضلت النجمة العسكرية .

كما منح مكافأة مالية سخية للدليل العربى الذى رافقنى وللجندى الذى حمل الجهاز اللاسلكى مع ترقيته ترقية استثنائية .

ثم كانت المفاجأة التى لم تكن على بالي عندما طلب منى اللواء أركان حرب فؤاد صادق أن أختار بمعرفتى عشرة مقاتلين أشكل بهم بقيادتى وحدة فدائية يوجهها بنفسه كل يوم فى مهمة فدائية يختارها ويحددها لنا ووافقت فورا .

العجيب أنه لم يسألنى قبل تكليفى بهذه المهمة أن كنت مستعدا لها أم لا كما لو كان قد تأكد لديه انى أصبحت بفدائية الأمس قد هيأت نفسى وحياتى فى هذا الاتجاه .

ولم ينته اجتماعنا هذا بما حوى من كثير من المفاجآت قبل أن يلقنى القائد بنفسه مهمتى الأولى ضمن هذه القوة الفدائية والتى أمر بأن تبدأ فى ليلة نفس ذلك اليوم مع إعطائه التعليمات لكل الوحدات بتقديم كل المساعدة لى فى مهماتى الفدائية المستقبلية .

وكانت أول مهمة هى أن أصطحب اثنين أو ثلاثة على الأكثر من المجموعة المختارة وأتسلل ليلا خلف العدو فى موقع عينّه لى ضمن قطاع غزة وغير مطلوب منا أكثر من أن نتوزع نحن الثلاثة أو الأربعة فى أماكن مختلفة خلف هذا الموقع من خطوط العدو ونطلق بعض الطلقات العشوائية من أسلحة صغيرة من البنادق والرشاشات وعلينا أن نهرب من مكان الضرب إلى مكان آخر فى نفس الموقع والهدف من ذلك كما شرحه لى القائد أن نوجد بلبلة فى مواقع العدو تجعلهم يحاولون الرد على مصدر الطلقات مما قد يصيب قواتهم نفسها وفى نفس الوقت نجعل كل جنود الموقع يقظين متحفزين بالكامل بدلا من الاعتماد على عدد محدود من ورديات الليل مما ينهكهم وينال من قدراتهم ومعنوياتهم .

وبعون الله نجحت المهمة الأولى وحققت كل أهدافها مما جعل القائد يحدد لى يوميا مواقع مختلفة خلف العدو فى قطاعى غزة وخان يونس أتسلل خلفها وأوقظهم طوال الليل واخلق بينهم البلبلة التى تدفعهم للإكثار من النيران فى كل اتجاه داخل موقعهم مباشرة .

وفى مرتين حدد لى كوبريين صغيرين على بعض مجارى المياه فى عمق القوات الإسرائيلية طلب منى نسفهما لاعاقة تحركات آليات العدو فى مواقع معينة وقد تحقق ذلك أيضا بنجاح .

ولا يفوتنى أبدا فى هذا المجال أن أشيد كل الإشادة بفدائية وقتالية واخلاص أفراد القوة الفدائية التى كانت تحت قيادتى والتى ساندتنى فى كل ما قمت به كما لا يفوتنى أبدا الاشادة بدور الأدلاّء العرب الفلسطينيين الذين كان لابد من وجود أحدهم معنا فى كل مهمة يقودنا إلى أسلم الطرق داخل خطوط العدو وعلى عمق كبير فى بعض الأحيان من خط الأمان والتى لولا خبراتهم لوقعنا فى الأسر أو لفقدنا الطريق فى رحلتى الذهاب أو العودة أو أصابتنا الكسور من اجتياز التضاريس التى ازدادت قسوتها بحفرات الخنادق ومأوى الدبابات والدشم السليمة والمنسوفة وحفر القنابل وغير ذلك من آثار الحروب كما لا يمكن إنكار المساعدات الملموسة من كل زملاء السلاح أينما وحيثما طلبت منهم المساعدة .

وقبل كل ذلك وفوق كل ذلك الحمد لله وحده الذى شاءت إرادته أن يفرض حمايته الكاملة علينا .

وخلال حوالى أسبوعين استمرت هذه القوة الفدائية في تنوع أعمالها المسائية الفدائية فى حماية لا يقدر عليها إلا الله وحده حتى أعلنت الهدنة الأساسية فى أوائل يناير ١٩٤٩ بعد مفاوضات رودس بين ممثلى إسرائيل وممثلى القوات العربية وطُلب منى بالذات أن أترك فورا ميدان المعركة ورتب القائد لى ولجنودى العشرة أسبوعا اقضيه بالأمر فى مستشفى القوات المسلحة بالعريش حتى يعيدنا فى هدوء إلى توازننا .

وهكذا فى يناير ١٩٤٩ انتهت الحملة الأولى للقوات المسلحة المصرية فى حروبها المتتالية مع العدو الصهيونى شاركت فيها من بدايتها إلى نهايتها وعدت منها معروفا بالفدائى محمد غانم .

قد يبدو أنه لايوجد ارتباط بين الأحداث السابق الاشارة اليها وموضوعنا الأساسى إجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد احتلال دام ٧٤ عام .

قد لا يكون مجرد مشاركتى فى الحدثين كافيا ولكن واقعية تسلسل الأحداث مع مشاركتى فيها تؤكد الارتباط .

فلولا ما عرف عن فدائيتى داخل القوات المسلحة فى الأيام الأخيرة من الشوط الأول من معارك مصر على أرض فلسطين ربما ما كانت لتتاح لى فرصة المشاركة الإيجابية مع آخرين فى خطة ثورة ١٩٥٢ لإجلاء القوات البريطانية نهائيا عن مصر .

لقد كان من ضمن هذه الخطة الحاجة إلى وجود من يندس داخل القوات البريطانية المتمركزة على قناة السويس يتخفى فى النهار تحت سواتر مختلفة تقبلها وتجيزها أجهزة أمن القوات البريطانية ويجول ويصول ليلا فى معسكراتهم فى مهام تحتاج إلى قدر كبير من الفدائية .

ولا شك كان نجاحى فى الأحداث المشار إليها من قبل فى فلسطين ربما مع بعض عوامل أخرى هى التى وجهت البكباشى زكريا محى الدين عضو مجلس قيادة الثورة ومدير المخابرات العامة ومايسترو تنفيذ خطة الثورة فى إجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس وعن مصر نهائيا ، وجهته ليطلب منى القيام بهذا الدور .

وهكذا عشت هذا الدور أربعة عشر شهرا انتهت بنجاح خطة الثورة والمخابرات المصرية كاملا فى إجلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن منطقة قناة السويس وعن مصر كلها باجتهاد شارك فيه الكثيرون بتخطيط مدروس .

نشأ جيلنا وأجيال أخرى تسبقنا والاحتلال البريطانى بقواته العسكرية المحتلة ونفوذه السياسى المتمكن يجثم فوق مصر متحكما فى ساساتها وقراراتها وخيراتها .

وطوال مراحل هذا الاحتلال الذى استغرق ٧٤ عاما بدأ عام ١٨٨٢ وأنهته ثورة ٢٣ يوليو فى عام ١٩٥٦ لم تهدأ فى مصر طوال فترة الاحتلال هذه ثورة الغضب عليه من شباب مصر بصفة خاصة .

وتسلم جيلنا ثورة الغضب هذه رغم ما اصطلح على تسميته معاهدة الشرف والاستقلال التى عقدتها حكومة الوفد عام ١٩٣٦ مع بريطانيا والتى تم بمقتضاها الاتفاق على بعض مظاهر الاستقلال ومن أهمها انسحاب القوات البريطانية من معظم الأراضى فى مصر وتمركزهم فى منطقة قناة السويس .

عاصر جيلنا قبل معاهدة ١٩٣٦ انتشار القوات البريطانية فى أهم المدن المصرية وبصفة خاصة القاهرة والاسكندرية يعبث فيها جنودهم الفساد والغطرسة ثم عاصر اختفاء هذا الوجود المباشر بعد الحرب العالمية الثانية عندما نفذت القوات البريطانية ما نصت عليه معاهدة ١٩٣٦ بانتقال الوجود البريطانى العسكرى إلى منطقة قناة السويس حيث عانى من عانى من المصريين فى منطقة قناة السويس من وجود القوات البريطانية فى منطقتهم وفى نفس الوقت استفاد من استفاد من المصريين فى هذه المنطقة من وجود البريطانيين وعاصر جيلنا والأجيال اللاحقة لنا كرم الله على مصر بخروج آخر جندى بريطانى مستعمر من مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وكم يحز فى نفوسنا تجاهل الأجيال الجديدة لهذا اليوم المجيد الذى كان حلما لم يكن ليصدقه الكثيرون ولا يشعر به شعورنا نحن الذين عاصرنا المراحل الأخيرة من هذا الاحتلال المقيت الذى كانت صرخة الشباب العالية فيه « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .

لم يكن هذا شعارا بل كان دون هذا الاستقلال وعلى طول مراحل الـ ٧٤ عاما احتلال من آثروا الشهادة والموت الزؤام فعلا سعيا وراء الاستقلال التام . سقط الشهداء الأبرار من طلبة الجامعة والمدارس الثانوية برصاص قوات الانجليز ومن يتحكمون فيهم من القوات النظامية المصرية عقابا لهم على اعتراضهم الصارخ على الوجود البريطانى فى مصر .

سقط الشهداء الأبرار من الوطنيين الفدائيين الأفراد الذين دفعهم حماسهم الوطنى المتأجج إلى عمل الكمائن لاغتيال بعض أفراد القوات البريطانية فى مدن مصر وبعض ساستها وفى بعض الأحيان بعض المصريين الموغلين فى حبهم ورعايتهم للاحتلال البريطانى . سقط الشهداء الأبرار من جنود الشرطة الذين وقفوا بأباء يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ فى طريق محاولة إعادة احتلال القوات البريطانية لمدينة الاسماعيلية . سقط الشهداء الأبرار

فى محاولات مكثفة وإن كانت غير منظمة باجتهادات فرديه أو باجتهاد بعض التنظيمات السياسية الغير تقليدية فى هجمات صغيرة ولكنها مؤثرة ومزعجة على معسكرات الجيش البريطانى فى منطقة قناة السويس ـ هذا بخلاف من اغتالتهم عساكر الاستعمار بلا ذنب وما أكثرهم وفى مقدمتهم شهداء مذبحة دنشواى .

كم هو قاسى وإنكار لكل الوفاء وكل الارتباط بمصر وتاريخها المجيد أن تلغى حكومة مصر المستقلة الاحتفال بخروج آخر جندى بريطانى محتل لأرض مصر وقد كان هذا حلما وهدفا وأملا ورجاء لمصر كلها طوال كل فترة الاحتلال البريطانى وكان الشعار الملهب للشعور لكل خطب العرش حكومات مصر وقت الاحتلال وكان محور الحركات الوطنية وكل الزعامات المصرية المعروفة وغير المعروفة ومنهم مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمد عبده وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورفاقه ومصطفى النحاس وكل الزعامات التى خرجت من عباءة الوفد واحمد حسين وحسن البنا وأخيرا جمال عبد الناصر وعناصر ثورة ٢٣ يوليو كبيرهم وصغيرهم .

هل نسينا كل هذا التاريخ وكل شهداؤنا فى سبيل الاستقلال التام لمجرد أن أنعم الله على مصر بأمجاد أخرى لاحقة لهذا المجد لا يمكن إنكارها ولا يُظن أن فى تمجيد الأمجاد الأقدم ما يقلل أبدا من كل أمجاد مصر السابقة واللاحقة .

قد لا يشعر بمجد هذا اليوم المجيد من لم يعاصر مرحلة الاحتلال ويكتوى بناره ومذلته ـ من لم يسمع عن السخرة واقتياد المصريون من قراهم جرا مع ما يملكون من دواب ليحاربوا ويخدموا القوات البريطانية فى فلسطين فى الحرب العالمية الأولى يموت منهم من يموت ويدفن فى مكانه بلا عائل . من لم يسمع عن فجور القوات البريطانية وخطفها لبناتنا وسيداتنا ليلهون بهن ثم يقذفون بهن إلى الشارع من لم يسمع عن خيرات مصر كلها تنهب لتزيد من قدرة الاقتصاد البريطانى . من لم يسمع عن الحكم فى مصر والقرارات المصيرية وغير المصيرية تصدر من السفارة البريطانية فى مصر تحت تهديد السلاح البريطانى .

إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لايراه إلا المرضى .

نشأت فى هذا الجيل الذى عاصر المراحل الأخيرة لوجود القوات البريطانية المحتلة فى مصر .

كان والدى رحمه الله من رجال الزعيم الوطنى محمد فريد ورغم أنه لم يتعمد مباشرة أن يوجهنى اتجاهه السياسى إلا أنى تأثرت تماما باتجاهاته المرتبطة بالحزب الوطنى القديم حزب الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد وكنت أستشعر رضاه التام عن اتجاهى

هذا ولعل العم سليمان الخازندار ذو الشوارب التى يقف عليها الصقر كان أول من حمسنى ضد الاحتلال البريطانى لمصر صراحة ومتعمدا وكنت فى سن حوالى السابعة كثير التزاور مع والدتى لخالتها فى حى الحلمية وكان زوج هذه الخالة العم سليمان الخازندار من أصل تركى حارب أبوه مع الجيش التركى ضد جيش اللنبى فى معركة القدس فى الحرب العالمية الأولى ضد الانجليز .

كان العم سليمان الخازندار هذا وقد أصبح مصريا مغرقا فى حبه لمصر صريحا عنيفا فى عداوته للانجليز بصفة عامة وللاحتلال البريطانى لمصر بصفة خاصة فكان يتعمد أن يرينى من شباك المنزل الحوش الخلفى لأحد المعسكرات البريطانية المتمركزة فى حى الحلمية . وفى هذا الحوش كانت القوات البريطانية تتدرب على الطعن بالسونكى على شواخص عبارة عن أجولة من القش مرددا أن هؤلاء الـ ...... يتدربون على طعن المصريين الاشراف بالسونكى وأن مصير من لا يتكاتف لمحاربتهم طعنة سونكى من التى يتدربون عليها ويصاحب ذلك دائما زمجرة مرتفعة الصوت لا أكاد أتابع معانيها ولكنها لا تخرج عن اقزع الشتائم والدعوات ضد القوات المحتلة ومن يتقبل احتلالهم دون كفاح لطردهم .

ولعل أول ما أذكره من بوادر انصياعى لدعوته للكفاح ضد الاحتلال البريطانى لم يتحقق إلا وأنا صبى فى المدرسة الابتدائية (ابتدائية زمان التى أظن أنها تعادل الإعدادية حاليا) .

وكان ذلك فى الثلاثينيات حيث كانت المدارس تهتم فى ذلك الوقت اهتماما كبيرا بتنمية الهوايات ومن ضمن هذه الهوايات تعلمنا صناعة المربات والشربات من الفواكه المصرية واستخلاص العسل من النحل بقصد التسابق فى بيعه مع المدارس الأخرى فى المعرض الزراعى السنوى الذى يقام ومازال يقام حتى يومنا هذا فى مارس من كل عام وإن تطور وأصبح اسمه المعرض الصناعى الزراعى السنوى .

وفى أول مرة شاركت فيها فى هذا المعرض ممثلا لجمعيتنا مع عدد من الزملاء الطلبة الصبيان فى سن العاشرة والاثنى عشر راودتنا فكرة أن نستأجر قارب تجديف صغير على النيل فى غفلة من الرقابة الصارمة لأولياء أمورنا .

كان المعرض فى وقتنا ذاك يقام فى أرض المعارض السابقة التى تحتلها الآن دار الأوبرا وحديقة الأندلس . وكان مرسى القوارب على الشاطىء المجاور لحديقة الاندلس الآن وعلى الجانب الآخر من النهر تقبع ثكنات قصر النيل بمبناها الأحمر المقيت يزيد من لهيب دماء المصريين المتعطشين للاستقلال - كانت هذه الثكنات رمزا للاحتلال تحتل أهم

مكان فى وسط القاهرة (مكان الجامعة العربية وفندق النيل هيلتون وجزء من مبنى الاتحاد الاشتراكى حاليا) مليئة بالقوات البريطانية تشعر المصريين وساسة المصريين أنهم هنا فى قلب مصر جاثمين على صدر مصر .

أوصانا مؤجر القارب ألا نصل قريبا من الشاطىء الآخر حيث الثكنات البريطانية والا فهو غير مسئول لو أطلق البريطانيون علينا النيران وبفكر الصبيه البرىء أوجعنا هذا التحذير ونحن فى بلدنا وأصحاب هذا البلد المفروض ألا يتحكم فيه غريب وبعناد الصبية البرىء اجتمعنا على التحدى وإثبات وجودنا بالوصول إلى قرب شاطىء الثكنات وفعلا واصلنا التجديف إلى قرب الشاطىء المستعمر وبأعلى صوت نصرخ « ياعزيز ... ياعزيز ... كُبّه تاخد الانجليز » وكان هتافا وشعارا يحفظه ويردده كل المصريين صباحا ومساء وغاظنا أنهم لم يقبلوا التحدى ولم يطلقوا علينا النيران وإنما أطلقوا الضحكات هزءا بنا واستصغارا لنا .

من يومها وشىء فى صدرى من هذه الثكنات الحمراء رمز الامتهان والاستهزاء وأصبح الصبى شابا وطريقه كل يوم من ميدان التحرير إلى النادى الأهلى يشعر فيه بغصة كلما مر بجوار هذه الثكنات حتى بعد أن تركها المستعمر متوجها إلى منطقة السويس تنفيذا لمعاهدة ١٩٣٦ وقد بقيت الثكنات الحمراء الكئيبة فترة طويلة بلا جنود بريطانيون حتى تم هدمها وبناء مبنى الجامعة العربية وفندق النيل هيلتون مكانها .

وأصبح الشاب ضابطا فى القوات المسلحة ولم تسمح له ظروف تربيته الكلاسيكية أن يخفف ما يغلى فى صدره من كراهية للاحتلال بصورة إيجابية اللهم إلا المشاركة وهو طالب ثانوى فى أى مناسبة فى المظاهرات التى مافتئت بقيمها الطلاب منتهزين أى فرصة للإعلان عن سخطهم على الاحتلال مطالبين حكوماتهم بالوقوف ضد النفوذ السياسى والاقتصادى البريطانى ضد مصر ومن سوء حظه أن المظاهرات التى اشترك فيها لم تكن بطبيعتها على المستوى الساخن الذى سقط فيها الشهداء وما أكثرهم .

وفى السنوات الأولى بعد التخرج من الكلية الحربية سمع عن التنظيمات التى يقوم بعض أفرادها ببعض العمليات الفدائية ضد وجود القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ولم ينجح رغم محاولاته أن يندرج ضمن إحداها لظروف السرية الشديدة التى كانت تحكمها . وعندما نجحت أول محاولة له لكى يندرج ضمن إحدى هذه التنظيمات صدرت التعليمات لوحدته بأن تنتقل إلى العريش تمهيدا للاشتراك فى معركة فلسطين الأولى .

وبقدر ما آلمنى ان الأمر بالارتحال إلى العريش فى الربع الأخير من عام ١٩٤٨ أضاع منى بعد طول انتظار فرصة التعبير العملى لكراهيتى للاحتلال بالمشاركة الجادة فى بعض عمليات الانتقام من القوات البريطانية المحتلة لبلدى بقدر ما انصعت للأوامر وشددت

الرحال مع وحدتى بمدافعها وأنا مقتنع كل الاقتناع بدورى مع زملائى وجنودى فى التصدى للهجمة الصهيونية المدبرة لابتلاع فلسطين .

مثلى مثل كل المصريين طوال مرحلة الاحتلال البريطانى لمصر كان همى وهمنا الأكبر هو هذا الاحتلال البغيض للقوات البريطانية لمصرنا يجثم على صدورنا يكتم أنفاسنا ليل نهار وكان حلمى وحلمنا الأكبر أن نرى يوما بلدنا وقد خلت من جنود الاحتلال وربقة الاستعمار .

وحتى صدور الأمر لى كضابط ملتزم فى سن الرابعة والعشرين بإن أرحل مع وحدتى إلى العريش لم ييسر الله لى أن أطفىء بعض جمرات اللهيب فى صدرى بالمشاركة مع بعض الوطنيين الجسورين من أهل بلدى فى محاربة الوجود البريطانى فى مصر اللهم إلا صرخة الصبى ابن العشر سنوات فى وجههم « ياعزيز ... ياعزيز ... كُبّه تاخد الانجليز » والا المشاركة الغير ساخنة فى مظاهرات الزملاء الطلبة فى سن المراهقة .

وكأنما أراد الله لى أن أختزن كل مشاعرى ليكون لى يوما دورا أساسيا فى حرب جلاء القوات البريطانية عن أرض الوطن فكنت ضمن الفريق الصغير الذى شكلته ثورة ٢٣ يوليو سنتى ١٩٥٣ / ١٩٥٤ لتعمل بإيجابية وبتخطيط سليم لفرض الجلاء فرضا على القوات البريطانية المحتلة لمصر بعد احتلال دام ٧٤ عاما .

عملت لمدة أربعة عشر شهرا سنتى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ فى خدمة الجيش الانجليزى فى منطقة قناة السويس عملت فيها سائقا وعملت عتالا وكنت لفترات مكوجيا فى المعسكرات البريطانية ولفترات أخرى جرسونا وتخفيت أسبوعا كصائد اسماك دفعته هوايته إلى الصيد على بحيرات قناة السويس كابن ثرى مقتدر من أعضاء نادى الصيد المصرى ومن هذا الثراء إلى عطشجى فى السكة الحديد لعدة أيام ولفترة وليست قصيرة موزعا للمياه الغازية على المعسكرات البريطانية ولفترة ليست قصيرة مسئولا عن محل سجاير وحلويات ومياه غازيه فى الـ Shoping CENTER الأساسى الذى أقامته القوات البريطانية فى منطقة فايد للعائلات والقوات البريطانية فى المنطقة وغير ذلك من الأعمال التى مكنتنى من أن أحقق الهدف الأساسى من وجودى وسط القوات البريطانية .

تخفيت أربعة عشر شهرا تحت ستار أعمال كثيرة تخدم القوات البريطانية المتمركزة فى منطقة قناة السويس وبصفة خاصة منطقة المعسكرات بين الاسماعيلية والسويس (فايد - أبو سلطان - سرابيوم - جنيفة - كبريت - كسفريت وغيرها) طول النهار فى عملى الظاهرى أجيده كل الإجادة وبالإضافة إلى ذلك انتقل من معسكر إلى معسكر أجمع المعلومات وأنشىء الخلايا من ضمن من اختارهم أو أزرعهم من المصريين عمال الجيش

البريطانى فى المنطقة وأصدر التعليمات لهم بالمهام التى تقررت لهم وليلي ساهرا أجتر ما حصدته من معلومات وانقله على الخرائط التى تحدد مواقع القوات البريطانية وتسليحها وحراساتها استعدادا ليوم فاصل قد نصل فيه إلى مرحلة الالتحام المباشر أو قائدا ومشاركا فى العمليات الفدائية ضد الوجود البريطانى على أرضنا الحبيبة أو منفذا للتعليمات بالسطو على مخازن الجيش البريطانى للحصول على الذخيرة والمعدات وقطع الغيار التى يحتاج اليها الجيش المصرى المسلح بالأسلحة البريطانية والتى منعت بريطانيا عنا أى توريدات عسكرية لترغم الثورة على الانصياع لما تعودته مصر من الحكم عن طريق السفارة البريطانية فى القاهرة .

أربعة عشر شهرا جاء الوقت بعد أربعين عاما أن أبوح ببعض أسرارها إلى شباب مصر لعلهم يزدادوا إعزازا لهذا البلد وقد تحرر من سطوة الاستعمار والتى كان من حظهم أنهم لم يعيشوها .

منذ أن بدأ الاحتلال البريطانى لمصر فى ١٨٨٢ ولم تهدأ مصر من محاولات التصدى لهذا الاحتلال وكان تاريخا طويلا تميز فى مراحل الإحتلال الأولى بالتصدى الفكرى والسياسى حمل لواءه مكافحينا الأوائل الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد على المستوى الدولى والعلماء الأجلاء جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم ممن لا ينكر فضلهم على المستوى المحلى وتوج ذلك ثورة ١٩١٩ التى قادها الزعيم سعد زغلول والتى تميزت بأنها جمعت ووحدت بين جميع المصريين ثقافة وديانة وعلما وعملا من شمال مصر إلى أقصى جنوبها فى وقت واحد والتى للأسف عندما قاربت أن تؤتى ثمارها نجحت السياسة البريطانية فى النفاذ داخل هذا التجمع الذى كان مصدر قوة تلك الثورة فتفتت الثورة إلى أحزاب وتفتت على مر الأيام الأحزاب إلى جماعات وخبى وقود القيادة السياسية الموجهة للكفاح ضد الاحتلال تاركة هذا الكفاح لفورات الشباب من وقت لآخر ينادون ويصرخون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام وينال البعض منهم فعلا الموت الزؤام ولا تنال مصر للأسف الاستقلال التام .

وتحول الكفاح من فورة أمة بأكملها إلى محاولات حكومية للتفاوض مع السلطات البريطانية يقودها بتواضع وبلا إيجابية رؤساء الحكومات المصرية المتعاقبة بعد ثورة ١٩١٩ إلى أن كانت حكومة الوفد التى وقعت مع البريطانين معاهدة ١٩٣٦ باسم معاهدة الشرف والاستقلال . أعطت هذه المعاهدة بعض مظاهر الاستقلال دون جوهره ومن أهم هذه المظاهر الاتفاق على انسحاب القوات البريطانية من جميع أراضى مصر على أن تتمركز على الضفة الغربية لقناة السويس مع استبعاد المدن الرئيسية الإسماعيلية والسويس وبور سعيد .

ولم يتيسر وضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ الكامل إذ قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وفُرضت الطوارىء على مصر وكثفت القوات البريطانية وجودها فى كل أنحاء مصر تسخرها لصالح حربها ضد الألمان وتعرضت مصر بلا سبب إلى الغارات من القوات الألمانية والإيطالية تهدم بيوت مصر وتخلف الأرامل والأيتام للعلائلات المصرية مما ذكى العودة من جديد لكمائن اصطياد أفراد القوات البريطانية بالذات فى حوارى وشوارع القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الكبرى .

ووصل روميل بالقوات الألمانية إلى مشارف الاسكندرية عند العلمين وجهزت القوات المتحالفة بقيادة بريطانيا نفسها للانسحاب على مراحل تصل بالخطوط الدفاعية المتتالية إلى الخرطوم فى السودان وفى كل مرحلة وعند كل خط دفاعى كانت ستكون التضحية الكبرى للأرواح المصرية والمصالح الاقتصادية المصرية فمن تفكير فى إغراق الأراضى إلى نسف الكبارى والمنشآت إلى حرق المحاصيل إلى التعرض للغارات المكثفة على الوجود الألمانى

فى الأراضى المصرية إن نجحوا فى اختراق الخطوط الدفاعية البريطانية بصرف النظر عما سيترتب على ذلك من إزهاق أرواح المصريين وغير ذلك من مستلزمات الدفاع عن القوات البريطانية فى انسحابها . وحمدا لله توقف الألمان عند العلمين ثم انسحبوا منها ومن كل الأراضى المصرية .

وأخيرا انتهت الحرب لصالح الحلفاء عام ١٩٤٥ بعد ما استنفذت القوات البريطانية من مصر وخيرات مصر الكثير .

وطولبت القوات البريطانية بأن تنفذ ما وقعت عليه فى معاهدة ١٩٣٦ بالتمركز فى منطقة قناة السويس .

وكان هذا قد أصبح فى مصلحة القوات البريطانية بعد ما عانت أكثر من أربع سنوات من حرب شرسة مع الأعداء الألمان وتحاشيا للمناوشات التى تزايدت جدا خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية والتى أتقن المصريون القيام بها ضد الوجود البريطانى فى المدن الكبرى الآهلة بالسكان .

تمركزت القوات البريطانية بالفعل فى منطقة قناة السويس ورغم ذلك لم يسلموا من أغارات المتحمسين المصريين إلى أن كان تهديدهم باحتلال مدينة الاسماعيلية لإيقاف هذه الغزوات الفردية التى أصبحت بتزايدها شرارة قد تنقلب إلى نار تهدد وجودهم الآمن .

وكانت المعركة الغير متكافئة بين جحافل القوات البريطانية بدباباتها ومدافعها وقوة نيرانها وقواتها الكثيفة وبعض القلة من قوات الأمن المصرية ببنادقهم البدائية وذخيرتهم المحدودة وقدراتهم المحدودة محصورين داخل مبنى محافظة الاسماعيلية .

وأبلت القلة بلاء جعلت من يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ أحد التواريخ المجيدة التى لن ينساها المصريون ولن ينسى شهدائها الأمجاد الأبرار .

وكانت حكومة الوفد فى الحكم فأعلنت ردا على هذا الهجوم الغادر العصيان السلبى بسحب العمال المصريين الذين يخدمون فى القوات البريطانية ومنعت التموين عن القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس .

وجابهت القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس هذه الإجراءات بمحاولة إغراء بعض المصريين بالإقامة الدائمة معهم وتحت حمايتهم وباستقدام بعض القبارصة والمالطين لخدمة القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس كما دبروا استقدام تموينهم من خارج مصر مع محاولتهم اغراء قلة من المنحرفين لتهريب التموين المصرى لهم .

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فجر الزعيم جمال عبد الناصر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومن أهم مبادئها ومبررات قيامها هو إجلاء القوات البريطانية بالكامل عن مصر .

كانت الثورة عسكرية وكل قادتها عسكريون .

لهذا كانت خطتهم فى محاولة إجلاء القوات البريطانية العسكرية أكثر واقعية .

لقد حاول الوزراء المدنيون خلال أجيال متعاقبة إجلاء الجيش البريطانى عن مصر وساندهم فى كثير من محاولاتهم الشعب المصرى بأكمله كما أعلن الشعب المصرى عدم رضائه عن بعض المحاولات ولكن لم يتحقق لهذه المحاولات النجاح لظروف لعل الزمن وتطورات الأحداث محليا وعالميا لم تكن هى نفسها التى واجهها العسكريون .

ولكن لأنهم عسكريون فقد كانوا أكثر إلماما بما يمكن أن يزعزع وجود عسكريون محتلون أكثر من غيرهم .

اهتدى فكر الزعيم جمال عبد الناصر ورفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة وكلهم إصرارا على أهمية العمل على جلاء القوات البريطانية عن مصر إلى أن الوسيلة المثلى لتحقيق الجلاء عن مصر هو فقط أن تقتنع السلطات البريطانية والقوات البريطانية فى أن وجود القوات البريطانية فى مصر لم يعد يحقق الهدف من هذا الوجود .

لقد كانت حجة المدنيين دائما فى مجادلاتهم لإخراج الإنجليز من مصر هى حق كل دولة فى الاستقلال ومنطق العدالة الدولية وأن الوجود البريطانى بمصر خروج على الشرعية الدولية . فأكثر الساسة المصريين من اللجوء للدول الأخرى وللمنظمات الدولية طالبين عونها فى إجبار الإنجليز للخروج من مصر غير مدركين أن العالم تربطه توازنات سياسية لا تضع فى اهتماماتها المنطق وحقوق الدول المغلوبة على أمرها إلا بقدر ما يفيد هذا المنطق وهذه الحقوق التوازنات السياسية العالمية ولم يكن للأسف منطق مصر وحق مصر فى الاستقلال مفيدا لأحد من هذه الدول والتنظيمات الدولية فى لعبة التوازنات الدولية .

وعندما تفشل محاولات اللجوء للدول الأخرى وللمنظمات الدولية يعودون مرة أخرى برجاء التفاوض مع المغتصب نفسه طالبين منه عبثا موافقته باختياره على الخروج من مصر مضحيا بمصالحه السياسية والاقتصادية بمنتهى البساطة لمجرد أن طالبه أصحاب الحق بذلك .

وأرجو ألا يكون مفهوما أنى أقلل من جهد كل من حاول بفكره واجتهاده إجلاء الإنجليز عن مصر فالتاريخ المصرى مملوء بالكثير من المحاولات الجادة ولكن اتضح

للأسف أن محاوليها يجتهدون فى طريق ليس هو الأمثل لإجلاء المستعمر . المرة الوحيدة التى يمكن أن تكون قد هزت استقرار القوات البريطانية فى مصر وهو هدف من أهم أهداف الوجود العسكرى فى أى دولة محتلة كانت فى ثورة ١٩١٩ ولكن من سوء حظ مصر وسوء حظ قادة هذه الثورة الشاملة أن هذه الثورة جاءت فورا فى أعقاب انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى والبريطانيون فى عز نشوتهم بالانتصار والعالم كله يدين لهم بكل الولاء فكيف يسمحون لمصر أن تخرج عن مجال غطرسة المنتصرون .

ولم يتغلبوا على هذه الثورة إلا بالطريقة التى يجيدونها « فرق تسد » فاعملوا الفرقة بين قادة الثورة وللأسف نجحوا فانطفأت الثورة وعاد لهم الاستقرار والسيادة المطلقة التى يريدونها .

من المؤكد خصوصا فى مرحلة ما قبل الخمسينيات أنه من المستحيل أن تخرج قوات احتلال أى دولة استعمارية من دولة تحتلها وتسيطر عليها وخاصة دولة فى مثل موقع وظروف مصر دون عوامل قوية جابرة .

فلا المظاهرات ولا الاحتجاجات ولا المفاوضات وحدها كانت كافية إلى منتصف القرن العشرين فى الإجبار على إنهاء الاحتلال . ولم يجبر بريطانيا على الخروج نهائيا من مصر عام ١٩٥٦ إلا عاملان رئيسيان فى نظرى .

أولا : ظروف اقتصادية حيث بدأت بريطانيا تشعر وطأة الكارثة الاقتصادية المقبلة عليها في أعقاب حرب مكلفة شديدة القسوة إستمرت أكثر من خمس سنوات وكان لابد من تخفيف الأعباء المالية العسكرية .

ثانيا : ظروف نفسية ضاغطة تعرضت لها القوات البريطانية فى منطقة القناة وصدى ذلك على عائلاتهم فى بريطانيا نتيجة الحياة القاسية ثم الحياة المفزعة التى تعرضت لها أفراد هذه القوات وعائلاتهم بالحوادث الفدائية الانتقامية فى منطقة قناة السويس . وبالحرب النفسية التى حققت نجاحا كبيرا خلال عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ بعدما ظن المجتمع البريطانى كله أنه يتنفس الصعداء من ضحايا الحرب العالمية الثانية ولم يعد على استعداد لمزيد من الضحايا والتوتر النفسى . وفى الواقع كانت الحرب الخفية المعلنة على القوات البريطانية كأفراد وكوجود منظمة ومحكومة وذات فعالية .

من التعاليم العسكرية أن أى قرار يتخذه القادة العسكريون يجب أن يبدأ بتقدير موقف ولم يكن غريبا على العسكريين قادة ثورة ٢٣ يوليو أن يقودهم تقدير الموقف الذى استخلصوه من الوجود العسكرى البريطانى فى مصر وكيفية التخلص منه إلى أن أحسن وسيلة لفرض الجلاء العسكرى البريطانى فرضا ملزما عن مصر هو أن تقتنع السلطات

البريطانية فى لندن والقوات البريطانية فى مصر أن الوجود البريطانى العسكرى فى مصر لم يعد يحقق أهدافه بل ويطيل بلا نتيجة من التوتر النفسى للمجتمع البريطانى الذى سئم الحرب وقاسى بالكفاية من ويلاتها ويريد لشبابه أن يبدأ فى استرخاء حياته من جديد فى الوقت الذى يزيد هذا الأمر من الأعباء المالية لخزانة تكاد تكون خاوية .

يقول تقدير الموقف هذا أن الهدف من الوجود البريطانى العسكرى فى مصر هو :

ـــ حماية خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية التى لا تغرب عنها الشمس وبصفة خاصة درة التاج البريطانى فى ذلك الوقت « الهند » ومرابطة القوات البريطانية على شاطىء قناة السويس خير ضمان لذلك .

ـــ ضرورة التواجد فى منطقة متوسطة يسهل منها إعداد قوة الضربة الأولى السريعة توجه فى أقل وقت ممكن إلى أى منطقة ساخنة تريد بريطانيا أن تتدخل فيها .

ووجود القوات البريطانية فى مصر يخدم دائرة كبيرة مركزها مصر ويغطى قطرها كل الشرق الأوسط والدول المحيطة به وأفريقيا بسودانها ووسط وشرق أفريقيا وساحلها الشمالى .

ـــ الحاجة إلى وجود مكان مناسب يسمح للقوات العسكرية البريطانية بالتدريب وتخزين وصيانة المعدات والراحة والاستشفاء إن لزم الأمر . والمناخ فى مصر وطبيعة الأرض فى مصر من أنسب ما يحتاج إليه العسكريون لمثل هذه الأمور الهامة .

كان هذا هو ما يقوله تقدير الموقف عن الهدف من الوجود البريطانى العسكرى فى مصر ثم يستكمل تقدير الموقف اقتراحاته لكيفية إجلاء هذه القوات جلاء تاما عن مصر ويصل من تحليل كل المقترحات إلى أن الحل الأمثل هو أن تهدر مصر ما يأمل فيه البريطانيون من هدف وجودهم بمصر .

ـــ من حسن الحظ أن الأحداث العالمية تكفلت بالتغلب على الهدف الأول : وهو حماية خطوط مواصلات الامبراطورية البريطانية التى كانت لا تغرب عنها الشمس فقد غربت الشمس عنها فعلا باستقلال الهند وباقى الموجات الاستقلالية للدول التى كانت تستعمرها بريطانيا .

ـــ كان على مصر أن تجعل من التواجد فى منطقة متوسطة يسهل منها إعداد الضربة الأولى السريعة أمرا متعذرا وغير قابل للتحقيق .

ـــ وكان على مصر أن تجعل من الحاجة إلى وجود مكان مناسب يسمح للقوات البريطانية العسكرية بالتدريب وتخزين وصيانة المعدات والراحة والاستشفاء أمرا متعذرا وغير قابل للتحقيق .

وانتهى تقدير الموقف بأن جلاء القوات البريطانية العسكرية من مصر لن يتم إلا يوم أن يصبح وجود هذه القوات غير محقق لأهدافه ويحمّل الخزانة البريطانية عبئا ماليا مهولا لا يتناسب مع ما ينفق فى سبيله خصوصا وقد خرجت بريطانيا وغيرها من الدول المحاربة من الحرب العالمية الثانية وخزائنها خاوية وليست فى حمل إنفاق لا يحقق أهدافه .

وكان القرار « لا بد أن نشعر متخذ القرار البريطانى أن الوجود العسكرى البريطانى فى منطقة القناة أمرا غير مأمون متعثرا مخيبا للآمال مسبب للمزيد من الإنفاق » .

ومن هنا رأى الزعيم جمال عبد الناصر ورفاقه أن الحرب يجب أن تكون شرسة داخل المعسكرات البريطانية نفسها إلى الحد الذى يفقدهم الأمان والاستقرار تماما حاليا ومستقبلا . وحرصا على العلاقات الدولية وتفاديا لأى مشاكل للثورة وما زالت فى سنواتها الأولى وفى أشد الحاجة إلى ألا تلفظها التوازنات الدولية تقرر أن تكون هذه الحرب خفية غير معلنة يقوم بها من يمكن اعتبارهم انفعاليون ليس للسلطة الحكومية سيطرة عليهم .

واعتمدت هذه الحرب الخفية فى تقديرى على الترتيب التالى :

١ - الاعتراف مؤقتا وظاهريا بشرعية الاتفاق الموقع بين مصر وبريطانيا وحق القوات البريطانية فى الوجود فى منطقة القناة فى حدود تنظيمات وإعداد وشروط محددة مع التزام الطرفين بنصوص هذه الاتفاقية وحدودها (معاهدة ١٩٣٦) .

ومن خلال هذه الحدود التى لا ينكرها الطرفان تشتد الضغوط المصرية محاولة أن تحيل الحياة فى هذه المنطقة إلى واقع غير محتمل إنسانيا وعسكريا .

ومن أمثلة ذلك

(أ) الاتفاقية تحدد عدد القوات البريطانية بحوالى ٨٣,٠٠٠ فرد وعلى هذا ليس من حق القوات البريطانية أن تحصل على تموين محلى يزيد عن اللازم لهذا العدد .

ومن هذا الحق تولد التفكير فى عمل كردون تموينى حول القوات البريطانية لمنع تهريب ما يزيد عن حقهم التموينى - وعانت القوات البريطانية معاناه كبيرة من عدم كفاية التموين ولكن لا مجال لاعتراضهم .

(ب) وهذا الكردون التموينى تدرج إلى كردون أمنى حصر القوات البريطانية فى معسكراتهم الجافة وحرم عليهم الترويح فى المدن الكبرى فى منطقة القناة كالاسماعيلية والسويس وبورسعيد .

وترتب على ذلك تبرم وضيق لا مزيد عليه لأفراد القوات البريطانية وعائلاتهم والمزيد من الصرف الاستهلاكى على الخزانة البريطانية لمحاولة تعويضهم بإنشاء مراكز الترفيه والحياة اليومية داخل كردون المعسكرات .

كما نفع هذا الكردون الأمنى فى إعطاء المزيد من الحرية للحركات الفدائية فى التمركز بلا خوف فى مراكز آمنة بها كل الوسائل اللازمة لإنجاح مهمتها مع إحاطتها إحاطة تامة بالمعسكرات البريطانية .

(جـ) ألغت الثورة قرار وزارة الوفد بمنع تعامل المصريين فى الأعمال الإدارية فى المعسكرات البريطانية .

وحققت بذلك غطاء مفيدا جدا للحركات الفدائية مستخدمة بعض هؤلاء المصريين فى داخل المعسكرات كعيون للمعلومات مفيدة ومستخدمة البعض الآخر كشبكات للعمليات الفدائية المزعجة داخل المعسكرات وأماكن تواجد القوات البريطانية نفسها وعائلاتهم ثم تطور الأمر إلى تدريب بعضهم تدريبا قتاليا مركزا لاستخدامه كشبكات مسلحة لحرب التحرير إن فرضت علينا .

وكان ذوبان هذه القلة وسط آلاف العمال عاملا مساعدا فى عمليات التمويه والإخفاء للنوايا والعلمليات .

٢ – نجحت الثورة فى تجسيم فكرة حرب التحرير فأنشأت معسكرات الفدائيين وهى للأسف وإن كانت فى رأيى غير إيجابية إلا أن أثرها لدى القوات البريطانية كان إيجابياً تماما وأثار لديهم الكثير من التخوف والتحفظ سواء من جهة أمن الأفراد وعائلاتهم وسواء وهو الأهم من جهة أمكانية وفعالية قاعدة عسكرية محاطة بجو عدوانى منظم ومسلح مفسدا لفكرة وجودها راعيا إلى الصرف عليها بما يزيد من أعباء الخزانة البريطانية المقبلة على مشاكل اقتصادية عنيفة .

٣ – ظهرت فكرة الحرب النفسية ضد القوات البريطانية وعائلاتهم ونظمت تحت إشراف بعض أساتذة علم النفس وبعض الملمين بالطبائع البريطانية وتم إعداد العديد من المنشورات المثيرة .

وكان توزيع هذه المنشورات داخل الوحدات البريطانية ومنازل العائلات ناجحا فاق كل تقدير وكان الفضل الأساسي في ذلك للتنظيم المكلف بالحرب الخفية ضد الوجود البريطاني في مصر مستعينا بأفراد الشبكات التي نجح هذا التنظيم في تجنيدها من المصريين العاملين لدى القوات البريطانية .

٤ - ثم كان التنظيم السرى ضد الوجود البريطاني في منطقة القناة وفعاليته حيث تشكل في المخابرات وحدة خاصة لزعزعة أمن واستقرار القوات البريطانية داخل معسكراتها على ضفاف قناة السويس .
واختير للعمل في هذه الوحدة كل من الضباط .

في الإدارة المركزية بالقاهرة :

كمال رفعت (رحمه الله) وسعد عفرة ومحمود عبد الناصر وعبد المجيد فريد (رحمه الله) .

في مكتب المخابرات الرسمى في الاسماعيلية :

عمر لطفي (رحمه الله) وعبد الفتاح أبو الفضل - وسمير محمد غانم .

في ميدان المعركة :

لطفي واكد (عضو مجلس الشعب عن التل الكبير) في مدينة التل الكبير ويتولى مسئولية المعسكرات البريطانية في منطقة التل الكبير وما يحيط بها .

عاطف عبده سعد (رحمه الله) في مدينة بور سعيد ويتولى مسئولية المعسكرات البريطانية في منطقة بور سعيد وما يحيط بها .

الضابط الطيار محمود سامي حافظ في مدينة الاسماعيلية ويتولى مسئولية معسكرات منطقة الاسماعيلية ومايحيط بها .

محمد محمود سليمان في مدينة السويس ويتولى مسئولية معسكرات منطقة السويس وما يحيط بها .

محمد غانم في خدمة القوات البريطانية بالداخل يعمل كرأس حربة داخل المعسكرات متخفيا تحت ساتر مناسب .

كان هذا هو التنظيم السرى ويسير موازيا له تنظيمات أخرى لها صفة العلانية توجهها وتتحكم فيها في منطقة القتال المخابرات المصرية في ذلك الوقت . مثل تنظيمات الشرطة والمباحث وتنظيم التموين والسكة الحديد وغير ذلك .

وحتى تستقيم الأمور أعطيت إدارة المخابرات العامة السلطة الكاملة فى تصريف أمور منطقة القناة وعهد إليها بادراة معركة محاربة الوجود البريطانى فيها ولا شك أن تركيز السلطة كان من العوامل المؤثرة تماما فى نجاح إجبار القوات البريطانية على الجلاء . ويدير هذه الحرب الخفية ويتابع أعمالها ويوجهها باقتدار البكباشى زكريا محى الدين مدير المخابرات العامة ناقلا منها وإليها ومن وإلى الزعيم جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة تطورات الخطة الموضوعة لإجلاء القوات البريطانية من مصر أولا بأول .

وحتى تستكمل الخطة وسائلها الفعالة اجتمع جمال عبد الناصر مع سفير بريطانيا بالقاهرة وأخطره بأن الثورة تحترم كل ارتباطاتها الدولية ومن أهم هذه الارتباطات معاهدة ١٩٣٦ التى ألغتها من طرف واحد حكومة الوفد وعلى هذا فإن حكومة الثورة ستلغى اعتبار كل من يخدم القوات البريطانية خائنا ولا مانع لديها من أن تسخدم القوات البريطانية أى عدد من المصريين تراه مناسبا لها ومتمشيا مع قواعد معاهدة ١٩٣٦ كما ستسمح الدولة مرة أخرى بتموين القوات البريطانية فى حدود ما يكفى العدد الذى حددته معاهدة ١٩٣٦ من القوات البريطانية المرابطة على الشاطىء الغربى لقناة السويس والمقدر بعدد ٨٣,٠٠٠ فرد فقط بشرط الحصول على تراخيص من مكاتب وزارة التموين المختصة بما لايزيد عن حاجة هذا العدد فقط .

وما ورد فى هذا الاجتماع كان جزءا من الخطة حيث أنه فى وجود عشرات آلاف المصريين داخل المعسكرات البريطانية ما يسمح بتجنيد القلة المناسبة منهم للمهام التى سيكلفون بها لتجميع المعلومات ولإثارة القلق والفزع داخل المعسكرات نفسها ، والكثرة الصامته ستكون بلا شك ساترا حاميا لهم أما بخصوص تراخيص التموين فبالإضافة إلى كونها تحد من استهلاك البريطانين للتموين اللازم للمصريين إلا أنها فى الوقت نفسه ستستخدم هذه التراخيص فى التحكم فيمن ستكلفه القوات البريطانية بتدبير المواد التموينية اللازمة للقوات البريطانية وعن طريق ما يخصص لكل معسكر نوعا وكمية يمكن تحديد إعداد وتجهيز وتوزيع القوات البريطانية .

وخلال أربعة عشر شهرا انطلقت هذه الوحدة القتالية فى تنفيذ الخطة وجعلت من إقامة القوات البريطانية فى مصر جحيما لا يعرفون من أين يأتيهم ومتى يأتيهم كل يوم وبهذا تحقق بعون الله وفضله النجاح الكامل فى أن تصل الحكومة البريطانية لقرارها بأن الوجود العسكرى البريطانى فى مصر عبء لا مبرر له ولا فائدة من وجوده .



مجموعة الكفاح ضد الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس

١٩٥٤ / ١٩٥٥

الواقفون من اليمين : عبد الفتاح أبو الفضل / عاطف عبده سعد / عبد المجيد فريد / عمر لطفى / سامى حافظ / لطفى واكد

الجالسون من اليمين : محمود عبد الناصر / سعد عفره / وأمامه محمد غانم / البكباشى زكريا محيى الدين وأمامه سمير غانم / كمال رفعت / محمود سليمان

لا شك أن لمعركة القناة فى سبيل إجلاء القوات البريطانية عنها فى الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ جوانبها المتعددة . وقد يختلف تصور تطور الأحداث لو تابعنا هذه الأحداث من خلال متابعة دور كل من له دور فيها .

وحتى يكون تصورى واقعيا سيكون تصويرى لخلفيات معركة إجلاء البريطانيين عن قناة السويس مواكبا لدورى شخصيا فى هذه المعركة وسيكون التركيز على بعض الأحداث التى شاركت فيها شخصيا فى صورة لقطات متفرقة قد لا ينظمها تسلسل زمني ولكنها تفيد فى توضيح كيف تم تنفيذ الجزء الأساسى من الخطة وهو خلق المناخ الغير مناسب إطلاقا لتحقيق أهداف الوجود العسكرى البريطانى فى مصر - وقد يضطرنى هذا إلى بعض الخصوصيات التى حاولت التخلص منها ولكنى وجدت أنها ضرورية لتأكيد مصداقية وواقعية ما حدث بكل الصدق بل لابد أن أعترف أن هذه الخصوصيات بمستنداتها وقرائنها هى الأدلة التى ساعدتنى على الاحتفاظ بذكرى هذه الأيام .

ولا شك عندى أن باقى رفقاء الكفاح لديهم الكثير مما يثرى تصوير خلفيات معركة جلاء البريطانيين عن مصر بدأ دورى فى هذه المعركة باستدعاء السيد زكريا محى الدين مدير إدارة المخابرات العامة لى للعمل فى المخابرات العامة فى أوائل عام ١٩٥٣ أكثر من مرة وكان رجائى فى كل مرة ألا يكون عملى مكتبيا أو أمنيا وإنما أفضل أن يكوّن عملى مرتبطا ببعض الجوانب الفدائية لصالح البلد استكمالا لدورى كقائد لقوة الفدائيين فى رئاسة القوات المسلحة المصرية فى الحقبة الأخيرة من معركة فلسطين عام ١٩٤٨ / ١٩٤٩ .

وفى أوائل مايو ١٩٥٣ استدعيت مرة أخرى لمقابلة السيد زكريا محى الدين فى مجلس قيادة الثورة بحضور بعض مسئولى المخابرات العامة فى ذلك الوقت أذكر منهم السيد عزت سليمان والسيد عبد المجيد فريد وأخبرنى السيد زكريا محى الدين بأنى أُخترت أحد أفراد التنظيم السرى لمحاربة الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس .

وشرح لى أبعاد هذه المعركة وسياستها ودور التنظيم السرى فيها وموقعى من هذا التنظيم .

وكان هذا الدور هو أنسب ما كنت أرجوه لعملى فى المخابرات خصوصا وقد كان لى دور سابق غير مؤثر لم أرض عنه خلال مناوشات ١٩٥١ ضد الوجود البريطانى فى منطقة القناة .

وطلب منى البكباشى زكريا استكمال التعليمات التفصيلية من الصاغ عبد المجيد فريد فى مبنى المخابرات العامة وفى ١١ / ٥ / ١٩٥٣ انتدبت للعمل فى إدارة المخابرات العامة فى فرع الخدمة السرية وكان رئيس فرع الخدمة السرية فى ذلك الوقت البكباشى حسن بلبل ونائب رئيس فرع الخدمة السرية الصاغ عبد المجيد فريد .

وفى صباح أحد أيام بدايات صيف ١٩٥٣ وبالذات يوم ١٥ مايو ١٩٥٣ وطئت قدماى للمرة الأولى فى حياتى أرض مبنى المخابرات العامة – لم تكن قدماى فى ذلك اليوم تحمل كالمعتاد اليوزباشى محمد غانم وإنما كانت تحمل « العواطلى » محمد صلاح .

فمنذ تلك اللحظة ولمدة أربعة عشر شهرا لم أعد ضابط المدفعية اليوزباشى محمد غانم بل أصبحت شخصا آخر تماما أحد ضباط إدارة الخدمة السرية فى المخابرات العامة المصرية المقيم والمتنقل داخل معسكرات القوات البريطانية على الضفة الغربية لقناة السويس مثيرا للقدر الكبير من الفزع والإزعاج مشاركا مع من ذكرت فى خطة المخابرات المصرية لزعزعة الأمان والاستقرار للوجود البريطانى العسكرى على أرض مصر أحيانا باسم محمد صلاح سائق وعتال لورى المياه الغازية أياما والسائق الخاص لمدام كونتر فورس فى زياراتها لبعض قيادات القوات البريطانية أياما والموكوجى والسفرجى وعامل النظافة داخل معسكرات القوات البريطانية ومنازل كبار قوادها أياما أخرى والمسئول عن دكان المرطبات والحلويات والشيكولاته فى FAYED SHOPING CENTER للعائلات البريطانية فى فايد أياما وعطشجى السكة الحديد باسم رمزى أرمانيوس أياما وأياما أخرى بنقلة كبيرة باسم الوجيه الأمثل محمد بك فريد عضو نادى الصيد الذى يقضى أجازة صيد من البحيرة .

فى صباح ذلك اليوم وعند مدخل مبنى المخابرات العامة سألت الاستعلامات عن الصاغ عبد المجيد فريد وكانوا فى انتظارى وعلى علم بحضورى حيث قادنى أحدهم فورا إلى مكتب الصاغ عبد المجيد فريد نائب مدير الخدمة السرية للمخابرات المصرية فى ذلك الوقت .

وفى الطريق إلى مكتب نائب مدير الخدمة السرية للمخابرات المصرية لم يلفت نظرى شىء غير عادى كما تعودنا من الأفلام السينمائية عن المخابرات فالمكاتب عادية والأفراد عاديون وخابت تصوراتى عن ذلك الجو المشحون بالأسرار والمفاجآت تغلفه الموسيقى التى توحى إليك بتوقع أحداث ومغامرات فى كل خطوة ومن أى اتجاه .

ولعل الشىء الوحيد الذى لفت نظرى وكنت أعمل له ألف حساب أن بعضا ممن قابلتهم فى الطريق إلى مكتب الزميل عبد المجيد فريد لم يلتفت إلى ولم يحاول حتى أن يحيينى وأكثرهم زملاء وأصدقاء ولم يلفت نظرهم ما أرتديه من ملابس اشتريت بعضه من سوق ميدان العتبة الخضراء مساء الأمس استعداد لتقمص دور « العواطلى » محمد صلاح كأنما مثل هذا التخفى والتنكر أمرا متعارفا عليه ومن الواجب ألا يكشفوه .

دخلت مكتب الصاغ عبد المجيد فريد الذى حيانى بعدم اكتراث ولم يدعنى للجلوس مكتفيا بأن قدمنى إلى ضيف خواجه كان عنده بأنى محمد صلاح الذى حدثه عنى والذى

يسبب الكثير من المشاكل العائلية مع زوجته فأنا أحد أقربائها من بعيد ولكن والدى المرحوم – وهذه روايته – كان له وضعه فى العائلة وصاحب عطف كبير عليها وعلى العائلة وبعد أن كان مقتدرا ضارب فى بورصة القطن وخسر كل أمواله وتوفى محسورا تاركا للحياة ابنه محمد صلاح معدما بعد أن أفسده ثراء أبيه قبل أن تضيع أمواله فلم يكمل تعليمه وأن العائلة جميعها تشعر بالتزام أدبى تجاه هدا المحمد صلاح لدرجة نغصت بها زوجته عليه حياتهما مطالبة إياه بأن يوجد له عمل مناسب يتعيش منه .

ورحب الضيف بنفاق كبير بأن يريح الصاغ عبد المجيد فريد من ناحيتى تماما وإننى من الآن سأعمل عنده وسأقيم فى الاسماعيلية بعيدا عن العائلة وما أسببه للعائلة من مشاكل .

وقبل أن يستأذن فى الخروج طلب منى أن أنتظره السابعة صباح اليوم التالى أمام الفسقية الموجودة فى آخر شارع مصر والسودان فى حدائق القبة أمام بوابة قصر القبة وسيمر على بسيارته لينقلنى إلى مقر عملى الجديد فى الإسماعيلية وأنه فى الطريق إلى الإسماعيلية سيشرح لى ما هو مطلوب منى ويحدد لى الأجر منبها على وهو يلتفت إلى الصاغ عبد المجيد أنه عيننى إكراما للصاغ عبد المجيد وأن كل ما يطلبه منى ألا أزعج الصاغ عبد المجيد وأن أعتبره (الخواجة) من الآن هو المسئول عنى تماما .

وبعد أن خرج الضيف الخواجه رحب بى الزميل الصديق عبد المجيد فريد ترحيب الزملاء الأصدقاء وجلسنا سويا فى الصالون الصغير الملحق بالمكتب يشرح لى كل ما كنت تواقا لمعرفته .

فالضيف الخواجه يونانى متمصر يعيش فى مصر من سنوات ويجيد العربية كل الإجادة كما كان واضحا ويعمل مع المخابرات المصرية ويُشك فى نفس الوقت أنه يعمل مع المخابرات البريطانية والمخابرات المصرية على حذر من ذلك وتتعامل معه على أنه DOUBLE AGENT وهو تعامل معروف فى كل أجهزة المخابرات ويحقق غالبا نتائج تفوق التعامل مع العميل بعيد الصلة بالطرف الآخر .

اسمه جونى انجليدس وكان على قدر كبير من الثراء والوجاهه وقد اتفقت السلطتين المصرية والبريطانية على اختياره متعهد توريد المياه الغازية من مصانع المياه الغازية فى الإسماعيلية إلى القوات البريطانية المرابطة على الجانب الغربى من قناة السويس فى المنطقة الواقعة بين الإسماعيلية والسويس .

وقد حددت له السلطات المصرية حمولة ثلاثة لوارى أيا كان حمولتها من المياه الغازية يوميا يوزعها بمعرفته على القوات البريطانية المعسكرة فى المنطقة بين الإسماعيلية والسويس .

ولما كان الصاغ عبد المجيد فريد هو المتحكم فى الكردون التموينى وبالتالى فى إعطاء تراخيص التموين فقد حاول طبقا للخطة الموضوعة أن يستغل هذا الإمتياز لغرس وتجنيد مندوبى المخابرات المصرية داخل المعسكرات البريطانية ومن هذا المدخل اختلق رواية زوجته ومحمد صلاح ليخفى تسللى إلى القوات البريطانية تاركا لى ولذكائى بعد ذلك وسائل تغلغلى فى المعسكرات البريطانية ثم شرح لى مجمل الخطة التى هى ببساطة أن نجعل من إقامة القوات البريطانية فى الأرض المصرية جهنم لا يطاق ولا يحقق الهدف من وجود هذه القوات فى أرض تعاديهم بشرط ألا تأخذ السلطات البريطانية مأخذا على حكومة الثورة قد يسبب بعض المشاكل لمصر وهذا ما يدعو إلى أن تكون الحرب داخل المعسكرات البريطانية نفسها وليس خارجها وألا تأخذ المظهر الرسمى بل تنسب إلى متطرفين بعيدا عن أيدى الحكومة المصرية .

وعن دورى فى هذه الخطة سأكون أحد هؤلاء المتطرفين المتمردين الذين يعملون داخل المعسكرات البريطانية نفسها بدافع وطنى شخصى وكان صريحا عندما أعلمنى بأنه إن حدثت أى مشاكل بسببى أو تعرضت لأى تصرف وقائى من القوات البريطانية داخل معسكراتهم فسوف تتنكر الحكومة والثورة لى وعلّى أن اعتمد على نفسى فى الخروج من المشاكل مع القوات البريطانية أيا كانت هذه المشاكل .

ولم يفته أن يذكرنى بدورى الفدائى فى الحملة الأولى للقوات المسلحة المصرية على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ التى رشحتنى لهذا الدور وأفاض الصاغ عبد المجيد فى تحديد أدوار الزملاء تفصيلا فى خطة المخابرات المصرية فى إخراج القوات البريطانية من مصر وكيف يتم التنسيق بيننا وبعض وبيننا وبين المخابرات بشرط الحذر كل الحذر فى أن تكشف القوات البريطانية أى ارتباط لنا بالمخابرات المصرية بصفة خاصة وأى سلطة مصرية أخرى بصفة عامة وتدرج من ذلك إلى الدور المحدد لى أنا بالذات أن أكون رأس حربة داخل القوات البريطانية نفسها تحت أى ساتر مناسب تطمئن إليه وتقبله المخابرات البريطانية ولما سألته المزيد من توضيح كيف أقوم بهذا الدور كان صريحا فى عدم قدرته على تصور كيف يتم ذلك وإن دوره ينتهى بالتمثيلية التى تمت صباح اليوم بغرسى فى المنطقة بساتر معقول وعلّى أنا بعد ذلك أن أكّيف الأوضاع من أحداث المعايشة الواقعية .

وبسؤاله عن المطلوب منى بالتحديد أكد أن المطلوب الآتى :

١ - الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس كمياتها وإعدادها وتسليحها ومواقع قياداتها ومرافقها الهامة وبصفة خاصة أماكن تخزين الوقود والذخيرة ومتابعة تجديد كل هذه المعلومات أولا بأول .

٢ – الاستفادة من العمالة المصرية التى تخدم داخل القوات البريطانية مع أمكان تجنيد من أراه مناسبا من خارج هذه العمالة ودسه وسطهم بهدف عمل شبكتين شبكة للمعلومات وشبكة أخرى للعمليات على أساس احتمال وارد أن يتم صراع مسلح ضد الوجود البريطانى فى مصر إن لزم الأمر .

٣ – تجنيد جماعات مدربة على كل ما يسبب عدم الأمان وعدم الاستقرار للقوات البريطانية فى مصر بكل الكثافة المقدور عليها وفى أكبر عدد من التكنات وأماكن تواجد هذه القوات .

ملحوظة : للأسف إن من ضمن دوافع القلق والخوف المطلوب توصيلهما للقوات البريطانية التدمير والنسف والخطف والتصفية الجسدية ورغم أنه ليس من طبيعتى أبدا الشر إلا أنى أقنعت نفسى بأنى محارب أقاتل فى سبيل بلدى والشرائع والسوابق العالمية تبيح للمحارب ضد استعمار بلده أن يستخدم كل وسائل الحروب وليس الذنب إن جاءنى الغريب مستعمرا وإن ما أقوم به دفاع مشروع عن النفس والوطن ضد مستعمر بادىء فى العدوان .

٤ – مهمة أخرى استغربت لها أن أحاول تموين ما تحتاج إليه القوات المسلحة المصرية من ذخيرة وقطع غيار وبعض المعدات العسكرية الخفيفة من موجودات الجيش البريطانى فى منطقة القنال وذلك ضمن محاولات استعواض احتياجات القوات المسلحة المصرية وكان تسليحها حتى وقتنا ذلك تسليحا بريطانيا فى الوقت الذى منعت فيه السلطات البريطانية تنفيذ تعاقداتها العسكرية مع مصر كوسيلة للضغط على حكومة الثورة .

ولتأكيد وضعى تسلم منى الصاغ عبد المجيد فريد بطاقتى العسكرية وبطاقتى الشخصية وكل ما يوحى بارتباطى بالشخص الآخر اليوزباشى محمد غانم وسلمنى بديلا عن ذلك بطاقة شخصية قديمة مستهلكة باسم محمد أحمد صلاح الدين يعمل كومبارس بنفس سنى ورخصة قيادة عمومية وودعنى متمنيا لى التوفيق محذرا إياى من أن تكشف المخابرات البريطانية صلتى بالمخابرات المصرية لافتا نظرى أن العمل فى الخدمة السرية له ضوابطه وموازينه أن التصفية الجسدية عند أى شبهه أمر متعارف عليه وأن الحكومة المصرية قد يصعب عليها التصرف فى مثل هذه الأمور .

وقبل أن أغادر الغرفة فهمت من الصاغ عبد المجيدأنى سألتقى فى الاسماعيلية بالسيد شوقى عباس وهو من رجال الزميل كمال رفعت الموجود فى المنطقة من فترة وسيقدم لى المساعدة حيث مضى على غرسه بالمنطقة فترة .

وفى اليوم التالى وقبل السابعة صباحا كنت أمام فسقية مدخل سراى القبة فى نهاية شارع مصر والسودان فى انتظار مستر جونى انجليدس .

وكمبتدىء فى الخدمة السرية اكتشفت الخطأ الكبير باختيارى هذه الفسقية مكانا لانتظارى مستر انجليدس عندما طلب منى تحديد المكان الذى يناسبنى للقاء – اخترت هذا المكان بقصر نظر على أعتبار أنه قريب من مكان سكنى فى ذلك الوقت غير مدرك أن هذا المكان يعج بمساكن الكثير من الضباط وأكثرهم زملائى وغير مدرك أنى ربيب هذه المنطقة من سنوات والكثير فيها يعرفنى .

وهكذا كنت فى غاية الحرج والضيق من كثيرين يمرون أمامى يعرفوننى وأعرفهم وكل منهم يحملق فى مشبّها مستنكرا ما ارتديه من ملابس لا تناسبنى أتعمد تجاهله كما لو كنت شخصا آخر مستعينا بما أرتديه من ملابس تستبعد أن تكون هى ملابس اليوزباشى محمد غانم وزاد من ضيقى وحرجى تأخر حضور مستر انجليدس فقد مرت ساعة وساعتين وثلاثة وأنا أتملل فى وقفتى مقدرا أنى مرؤوس صغير جدا عليه أن ينتظر رئيسه بالساعات محذرا نفسى من الظهور بمظهر الآمر والمفروض أنى مأمور . وحوالى الحادية عشر رأيت ضرورة الاتصال تليفونيا بالصاغ عبد المجيد فريد وفعلا اتصلت به واستاء جدا من هذا التصرف وطلب منى الاتصال به تليفونيا مرة أخرى بعد ساعتين .

وكانت حيرتى الثانية كسنة أولى خدمة سرية أين أقضى هاتين الساعتين . وكم هو مضحك لى الآن أن أتصور أن هذا الأمر البسيط كان فى حكم المشكلة بالنسبة لى .

استبعدت تماما العودة للمنزل وهو قريب منى لأ تحدث فى تليفون المنزل بعد ساعتين مع الصاغ عبد المجيد إذ كيف أدخل على والدتى ووالدى وقبلهم البواب والجيران بالملابس الغير مناسبة التى أرتديها والتى فرضت على أن أغادر منزلى فى الصباح الباكر جدا قبل استيقاظهم وقبل تنبه الجميع لخروجى . وبماذا أبرر عودتى لوالدتى ووالدى وقد أخطرتهم بالأمس أنى متوجه فى الصباح الباكر جدا للمشاركة فى مناورات للمدفعية قد تستغرق بعض الوقت فى صحراء طريق السويس كما حدث من قبل أكثر من مرة وذلك تفاديا لأى قلق لهما إن علما بأنى التحقت بالخدمة السرية للمخابرات مع ما توحى به هذه الخدمة من تصور المخاطر والقلق ثم كيف أتصل بالتليفون أمامهما ليفهما أنى مقبل على خدمة فدائية .

وفى حيرتى وأمام التخوف من أن يكشفنى فى مكانى هذا أو حتى فى منطقة كوبرى القبة كلها المليئة بالأصدقاء والزملاء والجيران الذين يعرفوننى كل المعرفة وجدت نفسى أقفز فى الدرجة الثانية من الأتوبيس قاصدا منطقة سيدنا الحسين حيث الكثير من أمثالى لست غريبا عنهم بملابسى ولن يستغرب أحد منهم وجودى بينهم وإنها لفرصة أن أصلى فى سيدنا الحسين وأفطر فى أحد المقاهى الشعبية فى رحاب المشهد الحسينى الذى يجمع

بين الروحانيات التى أنا فى أشد الحاجة إليها ويجمع فى الوقت نفسه أريج منبع الثورات ضد الإنجليز ومن قبلهم الفرنسيين من صحن الأزهر الشريف .

وبعد ساعتين بالضبط من حديثى الأول مع الصاغ عبد المجيد وجدت التليفون فى إحدى فنادق الدرجة العاشرة فى حى الحسين وطلبت الصاغ عبد المجيد الذى كان فى انتظار مكالمتى ليخطرنى بأنه استدعى الخواجه جونى انجليدس وهدده بإلغاء الترخيص الممنوح له وأنه أمامه يطلب أن يتصل بى ليحدد لى موعدا آخر .

وكلمنى مستر انجليدس بكل الاحترام والاعتذارات التى تؤكد أنه ناله من الصاغ عبد المجيد شوطا كبيرا وطلب انتظاره مرة أخرى فى السابعة من صباح اليوم التالى .

وكنت حريصا هذه المرة ومستوعبا للدرس بأن أنتظر فى مكان لا يعرفنى فيه أحد فطلبت أن يكون اللقاء من أمام مبنى إدارة الأزهر فى حى الحسين . وارتحت ، وزاولنى القلق الذى كنت أعيشه وفكرت فى أن أتناول إفطارى الذى قد يكون فى نفس الوقت غذائى ودون أن أشعر طلبت من فراش هذا الفندق المتواضع جدا أن يدبر لى أى شىء وأوحت لى فكرة الإفطار أو الغذاء فى هذا الفندق أن أقيم به هذه الليلة .

وكانت ليلة تجسد لى فيها كل النكات والمشاهد التى كنت أظنها مغالى فيها لمن يقيم فى فندق درجة عاشرة أجرة المبيت فيها فى الليلة.عشرة قروش فقط أصر صاحب الفندق أن يحصلها منى مقدما .

وتحت ضغط قلق الانتظار للسابعة صباح اليوم التالى وفى ضباب المجهول الذى هيأت نفسى له ولا أعرف له شكلا ولا تصورا قضيت اليوم ما بين مصليا الصلوات فى أوقاتها فى جامع الحسين وبين متسكعا بحجة المزيد من الاستكشاف حول المكان المتفق على اللقاء فيه غدا ، وبين متصفحا بلا تركيز لكل ما وقعت عليه يداى من مقروآت .

وانتهت فترة الانتظار القلقة وبعد السابعة بقليل كنت فى المقعد الخلفى للسيارة الفارهة للوجيه الأمثل الخواجه جونى انجليدس – كان هو سائقا ولم يدهشنى حرصه على الحضور هذه المرة فى الموعد تماما ولكن أدهشنى أن يجلس بجواره سيدة أفرنجية فى أواخر العشرينات قمة فى الجمال والأناقة والشياكة .

لم يمنع وجود هذه السيدة مستر انجليدس من أن يقطع الطريق من القاهرة للاسماعيلية متحدثا إلّى تقريبا طول الوقت غير متحرج من أى مما قاله ولعله كان مطمئنا إلى أنها لا تعرف العربية تكلم مستر انجليدس فى أشياء كثيرة وبعضها ما كان من المفروض أن يكون مجال حوار بين رئيس كبير مثله وبين تابع لم يمضى فى خدمته إلا دقائق .

قدم لى نفسه أنه رجل أعمال فى كثير من الأنشطة من أهمها تعامله مع القوات البريطانية كمقاول ومتعهد توريدات مواد غذائية ومنها التصريح الممنوح له من السلطة المصرية بحمولة ثلاثة لوارى مياه غازية يوميا ومنها توريدات حدايد وأسمنت وخامات أخرى ومعدات .

وشرح لى دورى معه فى أنى سأكون موزعا لحمولة إحدى هذه اللوارى بزجاجات سينالكو من مصنع سيناكو للمياه الغازية بالإسماعيلية وعلى أن أوزعها لحسابه وحساب شركته المسماه انتركونتيننتال يوميا على المعسكرات البريطانية فى المنطقة من الإسماعيلية حتى السويس مقابل مرتب شهرى سبعة جنيهات + عمولة قرش صاغ من كل صندوق (حمولة اللورى كانت ٣٠٠ صندوق كل صندوق يحوى دستين) بخلاف الإقامة فى فندق على حساب الشركة ضمن جهاز خدمة الفندق .

ولم أحتاج لذكاء لأستخلص من حديثه فى أكثر من مناسبة أنه يريد أن يكسبنى أو بمعنى أصح يكسب الصاغ عبد المجيد فريد عن طريقى كما لم يتحرج من أن يوحى إلىّ بأن نصيبى محفوظ لو استغلت شركة انتركونتنال صلتى بالصاغ عبد المجيد فريد فى الحصول على الكثير من تصاريح أخرى إضافية لمزيد من السلع الغذائية وغير الغذائية .

ومن ضمن حديثه الذى لم ينقطع طوال المسافة من القاهرة للإسماعيلية عرج على غزواته النسائية وإن من بجواره فى السيارة هى آخر غزواته سيقضى معها يومين فى بور سعيد كما تعمد أن يدس بين وقت وآخر ما يفهمنى منه أنه يخدم المخابرات المصرية بكل إخلاص وأنه كثيرا ما يستخدم علاقاته القوية مع بعض القيادات البريطانية وثقتهم فيه فى إمداد المخابرات المصرية بأخبار هامة تسعد للحصول عليها المخابرات المصرية وأنه إن لزم الأمر يستعين بفاتناته وعشيقاته للاستفادة من ورائهن لصالحه الشخصى وصالح المخابرات المصرية ناعتا قيادات القوات البريطانية بأن ابتعادهم لفترات طويلة عن الحياة العاطفية والجنسية فى مهمتهم فى مصر تجعل لعابهم يسيل بسرعة وبكثافة .

وكما لم تنطق الخواجاية طوال الطريق وإنما انشغلت فى الزهو بجمالها وشياكتها لم ينطق محمد أحمد صلاح الدين وهو فى ملكوت آخر يفكر فيما هو مقبل عليه حتى وصلنا الإسماعيلية وفى فندق ما زال موجودا حتى الآن قرب محطة الإسماعيلية كان اسمه فندق المسافرين وكان قبل ذلك اسمه فندق بسطا ولا أعرف ما اسمه الآن كانت نهاية الرحلة وبداية أربعة عشر شهرا من الخدمة السرية فى أعماق القوات البريطانية المرابطة كرمز للاستعمار على الضفة الغربية لقناة السويس بين سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٤ .


وزارة الداخلية
الثمن ١٠٠ مليم
(أورنيك رقم ٢١٧ «ك»)
رخصة سواق سيارة عمومى
محافظة
رقم ٩٩٩ تاريخ ١٢/١٠/٩٥٢
اسم ولقب صاحب الرخصة محمد أحمد حسين صلاح الدين
تبعيه
صناعته
عنوانه
أعطيت هذه الرخصة طبقاً لأحكام المادة رقم ١٧ من لائحة السيارات الصادرة فى ١٦ يوليه سنة ١٩١٣ والمعدلة بالقرارات الصادرة فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٥ و ٣٠ يونيه سنة ١٩١٧ و ٣ ... سنة ١٩٣٠ وتبيح سياقة المذكور مدة سنة ...
إمضاء الضابط
امضاء أو ختم صاحب الرخصة
Signature ou cachet du permissionnaire

رخصة قيادة عمومى

باسم

محمد أحمد حسين صلاح الدين

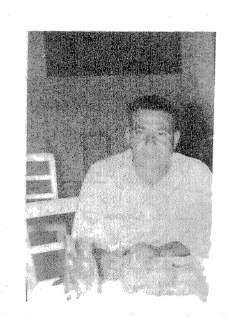
خلال استراحة قصيرة تناول فيها الخواجة جونى انجليدس وفاتنته قهوته فى صالون فندق المسافرين (بسطا) بالإسماعيلية سلمنى إلى مدير أعماله ومدير الفندق فى الوقت نفسه الخواجة ايفانجلو ستاماتيو ثم تأبط ذراع فاتنته متوجها إلى سيارته . وفى الطريق إلى السيارة معيدا ماردده أكثر من مرة من أنهما فى سبيلهما ليومى غرام فى مدينة بور سعيد دس فى يدى بطريقة تعمد فيها أن تكون مكشوفة للجميع ورقة مالية اتضح فيما بعد أنها خمسة جنيهات وكان هذا فى ذلك الوقت مبلغا مرموقا له هيبته ثم انطلق بسيارته الفارهة وبجواره فاتنته مثيرا فى كل الموجودين الكثير من التعليقات والتكهنات .

ومحاولة منى لتفهم الجو الذى قدر لى أن أعيش فى محيطه حاولت أن أستوعب كل هذه التعليقات وخصوصا بالنسبة لرئيس المجموعة الذى كان المعبر لى لحياة جديدة تكتنفها الأسرار والإثارة – وكانت كل التعليقات وإن اختلفت مصادرها في ذلك اليوم تؤكد لى ما وصلت إليه فى رحلتى معه من القاهرة الإسماعيلية من أنه شخصية حبوبه يجيد اجتذاب محبته ... قمة فى الذكاء ... يعرف كيف يصل إلى أهدافه ... حياته كلها أسرار ... يتعمد بحِرفَيّة أن يخفى ما يريد أن يخفيه ويبرق ما يريد أن يعلنه ويتستر ما شاء له التستر خلف بعض ما يظهره ... ومن الواضح أن الجميع يحبه لنفسه لا لمركزه الرئاسى عليهم ويقدره ويحترمه بلا نفاق ولا تملق .

وفى ظل وهم كبير صورة لى أنى أصبحت رجل الخدمة السرية وعلّى أن أقتدى بشرلوك هولمز وأحلل كل ما تقع عينى عليه لأصل إلي نتائج لا يستطيع إلا الجهابذة من أمثاله أن يتوصلوا إليها ساءلت نفسى إلى أين يذهب الآن الخواجه انجليدس ورفيقته ... هل صحيح كما يدعى لقضاء يومى غرام فى بور سعيد !!

وهل ضاقت به القاهرة ليذهب بفاتنته إلى بور سعيد !! ولماذا تعمد كثيرا كثيرا أن يوحى إلينا أنه ذاهب لقضاء يومى غرام فى بور سعيد !! إنه ليس مراهقا ليفخر بيومى غرام مع من نجح فى اصطيادها ثم إنه رئيس لشركة تسعى جهدها للمزيد من الأرباح وهو الشخص المسئول فى هذه الشركة عن إيجاد التوازن بين المخابرات المصرية بتوقعاتها الغير آمنة ، والقوات البريطانية بتوقعاتها الغير آمنة فما مبرر أن يزج فى هذه المعمعة بمن لا دور لها فيها أم لعل لها دور وما هذا الدور وإلى أين هما ذاهبان فعلا .

وقبل أن أجد لتساؤلاتى ردا استدعانى الخواجه ستاماتيو وتفرس فىّ بعينيه الضيقتين النفاذتين وسألنى بعض الأسئلة عن اسمى وعملى السابق وطلب الاطلاع على تحقيق الشخصية ورخصة القيادة وأخبرنى أنى سأعمل عندهم سائق سيارة لورى وموزع فى نفس الوقت لحمولتها من زجاجات السينالكو على المعسكرات البريطانية فى المنطقة من الاسماعيلية إلى السويس وأن التعليمات النهائية لعملى واستلامى السيارة اللورى سيتأخر



زميل الكفاح
عباس شوقى
الذى كان لخفة روحه
ما يرطب حياتنا الجافة

بعض الأيام حتى يستخرجوا لى الـ PASS (تصريح دخول المعسكرات البريطانية) وأنى سأقيم فى إحدى غرف ملحق الخدمة بالفندق مع شخص آخر اسمه عباس شوقى ثم استدعى أحد سفرجية الفندق وطلب منه توصيلى إلى غرفة عباس شوقى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها عن عباس شوقى وكنت متحرجا أن أسأل عنه فالمفروض أنه سيكون مرشدى فى المرحلة الأولى لمهمتى وكنت أعول عليه كثيرا أن يفهمنى أمورا تبدو هلامية أمامى .. كيف أعيش وأتعايش مع نفسى فى شخصية أخرى بعيدة كل البعد عن شخصيتى .. كيف أبدأ مهمتى وكيف أتعمق فيها وعلى من أعتمد .. صحيح انى فدائى وتمرست على أن أكون فدائيا ولكن العمل الفدائى شىء والخدمة السرية شىء آخر تماما وإن شملت الكثير من الأعمال الفدائية .

ووصلت إلى الغرفة المتواضعة التى ستجمعنى مع الزميل عباس شوقى ولكن صدمنى أنى لم أجده فيها وكان علّى قبل أن أخطو أى خطوة أن أنتظره وانتظر نصائحه وتوجيهاته .

ولليوم الثانى على التوالى أقضى يومى فى انتظار ممل كله قلق وترقب .

وأخيرا قبيل العشاء بعد انتظار ممل لم أبرح فيه غرفتى وجدت أمامى شابا فى أواخر العشرينات قصير القامة ممتلىء الجسم قليلا كله حيوية كثير الصخب خفيف الظل وقد حكمت من أول وهله بحيويته وصخبه من الطريقة التى دفع فيها باب الغرفة ليدخل والطريقة الصاخبة التى بدأ بها تعريفى بنفسه وتعرفه علّى .

ـــ « أهلا أبو صلاح .. أنا اسمى عباس شوقى ... قالوا لى إنك هاتقعد معايا فى الجناح السوبر اللى محجوز لنا .. إيه رأيك تنزل نتعشى سوا برّه .. أنا عازمك ما تخافش » .

اندفعت كل هذه الجمل فى صخب وتهكم أفصحت عن طبيعته الصاخبة المرحة ولم يترك لى فرصة للتفكير أو حتى الرد بل جذبنى بشدة من ذراعى ساحبا إياى سحبا من باب الغرفة حتى الباب الخلفى للفندق حيث من المفروض لأمثالنا استخدامه للدخول والخروج .

وكمن يعرف طريقه تماما قادنى إلى مطعم شعبى متواضع جوار الفندق ليبدأ معى حديثه الجاد .

ـــ « كان لازم تيجى هنا ... محتمل الجواسيس حاطين لنا سماعات تسجيل فى الأوده ... اسمع ... خد بالك .. إحنا هنا متحوطين بالجواسيس الخونة وكل حركة محسوبة علينا ... أنا فهمونى إنك قريب حضرة الصاغ عبد المجيد فريد وإنك هاتكون من رجّالتى » وهكذا فهمت إنه لا يعرف أنى ضابط فى المخابرات وإنما أنا مجرد رجل فى مجموعته وتحت قيادته ومع أنه من المفروض أن يعمل هو تحت إدارتى إلا أنى ارتحت بإن أتظاهر على الأقل فى المراحل الأولى بأنه لا وزن لى فى المخابرات وإنما أنا مجرد قريب لأحد ضباط المخابرات يريد أن يجد له فرصة لكى يتعيش .

وخلال حوالى عشر دقائق لم ينقطع السيد عباس شوقى عن الحديث إلا ليطلب من الجرسون عندما حضر إلينا طبقين من الكشرى بالدّقة .

ورغم أنى حاولت أن أركز فى الاستماع إلى حديثه الذى يخلط فيه بين الجد والهزل . إلا أنه كان من الصعب على أن أركب جمل مفيدة تساعدنى فى الضباب الذى أعيشه من أيام .

ولعل أهم ما وعيته هو اسم كرره أمامى أكثر من مرة عن شخص يدعى محمود الكنج وأن الكنج هذه أطلقت عليه عندما سيطر سيطرة كاملة على جزء كبير من مدينة الاسماعيلية فى بعض أيام الأسبوع الأخير من يناير ١٩٥٢ عقب مذبحة الشرطة فى الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ قبل أن تستعيد سلطات الأمن مرة أخرى سيطرتها الأمنية الكاملة على مدينة الاسماعيلية .

وأن هذا المحمود كنج أحد « الهبيّشة » الكبار المتعيشين من غزواتهم لمعسكرات القوات البريطانية على شط القنال يمكن الاعتماد عليه جدا فى مهمتنا لأن قلبه زى الحديد جرىء جدا ويعرف أغلب كامبات الجيش الإنجليزى كما يعرف أى فرد منا حجرات منزله .

السؤال الوحيد الذى سمحت لى ظروف ارتوائه بكوب ماء أن أقطع حديثه لأسأله عن كيفية اللقاء والاجتماع بهذا الصيد الثمين لمهمتنا .

وبدأ يشرح لى كيف نلقاه أمام أو داخل سينما معينة شعبية فى حى العرب بالإسماعيلية تعرض أفلام « الشجيع » حيث المغامرات واستعراض القوة .

وقبل أن يكمل حديثه وفجأة بلا توقع اندفع السيد عباس شوقى بقوة وحيوية ليمسك بتلابيب جار لنا فى الطاولة المجاورة ثم يلكمه لكمة قوية طرحته أرضا ويصر على أن يأخذه للقسم .

ورغم محاولاتى تهدئة الموقف ومحاولة احتواء الأزمة وجدنا أنفسنا أمام ضابط الشرطة فى النقطة القريبة من المطعم والضابط يستمع إلى شكوى السيد عباس شوقى بانفعال شديد من أن هذا المواطن من جواسيس الإنجليز . ويبدو أن ضابط النقطة كان على علم بصلة السيد عباس شوقى بالمخابرات حيث هدأ من ثورته وانفعاله وطلب منه الانصراف وسيتولى هو أمر هذا الجاسوس الإنجليزى (وقد علمت فيما بعد أنه أخلى سبيله فور إنصرافنا أنا والسيد عباس شوقى) وانصرفنا من نقطة الشرطة إلى الفندق حتى دون تناولنا الكشرى بالدقة لأنام تلك الليلة ولم يدخل معدتى شىء منذ إفطار فندق سيدنا الحسين فى ذلك الصباح وفى الطريق من نقطة الشرطة إلى غرفتنا بالفندق اتفقنا على تأجيل الحديث عن مهمتنا إلى اليوم التالى محذرا إياى من الجواسيس المنتشرين فى كل مكان مؤكدا أنه اكتشف أن جارنا فى المطعم أحد هؤلاء الجواسيس من طريقة تلصصه على الحديث بيننا خصوصا عندما تطرقنا للحديث عن كامبات الجيش الإنجليزى وحتى الآن لا يعلم إلا الله إن كان هذا الجار سىء النية أو حسنها فى تصنته على حديثنا .

وقبل طلوع شمس اليوم التالى أيقظنى فجأة السيد عباس شوقى منزعجا وطلب منى بسرعة إعداد نفسى للعودة معه فورا للقاهرة حيث أن أمرنا انكشف وأنه استيقظ على صوت الدبابات البريطانية فى طريقها للفندق للقبض عليه وعلىّ نتيجة وشاية الشخص الذى تشاجر معه فى الأمس فى المطعم والذى يؤكد أنه جاسوس بريطانى . وفعلا كانت أصوات جنازير دبابات ضخمة تقترب بوضوح فى اتجاه الفندق وللمرة الأولى خالفت ما عاهدت نفسى عليه بأن أتظاهر أمامه بمظهر المرؤوس المطيع مؤكدا أن قرارا كهذا لابد وأن يصلنى من الصاغ عبد المجيد فريد شخصيا وإلا تعرضت للمهانة منه خصوصا وأنه لا يرتاح لى كثيرا (كنت دائما أصور أن علاقتى بالصاغ عبد المجيد فريد رغم قرابتى المزعومة لزوجته علاقة فى غير مصلحتى وأنه لا يحبنى وإنى مفروض عليه عائليا) . ولما لم يجد السيد عباس شوقى فائدة من قبولى لتعليماته لى بالعودة معه للقاهرة . لم يضيع وقته معى بل تركنى فى عجلة من أمره إلى القاهرة رغم تجاوز الدبابات للفندق دون أن تدرى شيئا عن تخيلات السيد عباس . حياه الله السيد عباس شوقى الذى لا أشك للحظة واحدة فى وطنيته وحماسه فى هذه الوطنية ولكنه كان فى نفس الوقت انفعالى التفكير وعندما ينفعل تصور له انفعالاته الكثير من الخيال مما يفقده القدرة على التصرف السليم .

وهكذا وجدت نفسى من اليوم الأول فى المهمة بلا موجه ولا مرشد وكان على أن أدبر أمورى بنفسى وأن أخرج من الضباب الذى يكتنفنى بنفسى وأن أجمع المعلومات عن الإنجليز وغيرهم بنفسى وأن أنظم شبكات المعلومات والعمليات بنفسى وكانت مهمة شاقة يزيدها مشقة أن الزملاء باقى التشكيل السرى كانت إقامتهم بأسمائهم الحقيقية فى المدن الكبرى التل الكبير بور سعيد الإسماعيلية السويس فى حماية كاملة من السلطات المصرية وفى حرية حركة كاملة بينما كان على أن أدبر بنفسى وسيلة وجودى المستمر داخل المعسكرات البريطانية وتحت سيطرتهم المباشرة بأسماء مستعارة وكيانات تخالف كيانى الشخصى . والمفروض أنه لدخولى هذه المعسكرات ترتيبات خاصة ليست سهلة وليست مأمونة وللإقامة داخل المعسكرات البريطانية ترتيبات أخرى أشد وأكثر مجازفة .

كان للبريطانيين فى ذلك الوقت فرقة ونصف تتوزع نصف الفرقة بين المعسكرات الموجودة داخل زمام مدن التل الكبير وبور سعيد والإسماعيلية والسويس وترابط فرقة كاملة فى المنطقة المسئول أنا عنها فى معسكرات مقفلة على الإنجليز وتحت سيطرتهم وحدهم فى المنطقة الصحراوية فيما بين الإسماعيلية والسويس .

بدأت الخطوة الأولى بمحاولة التعرف على المجتمع المحيط بى من أفراد شركة انتركونتننتال . يرأس الشركة الخواجه جونى انجليدس وسبق التعرف عليه .

وللشركة مركزان أحدهما بالقاهرة يديره الخواجة ارتين وهو فى رأيى المخ المخطط لهذه الشركة ويدير المركز من شقته فى إحدى عمارات شارع ألفى بالقاهرة فوق قهوة باريزيانا فى ذلك الوقت (حاليا مركز الاتصالات السلكية واللاسلكية والفاكس فى شارع الفى) وكان الخواجه ارتين فى الخمسينيات أو أكثر قصير بدين غير معقد يشع الذكاء من عينيه متزوج من بدينه قصيرة مثله متفقة معه كل الاتفاق رغم أنهما لم ينجبا وكان لهما كلب وولف ضخم فى منزله ابنهما .

ورغم أن صلتى بهذا المركز كانت محدودة إلا أنه من الإنصاف ألا أجحد مساعدة مستر ارتين لىَ فى كل الأزمات التى كانت كثيرا ما تنشأ بينى وبين مركز الإسماعيلية ومع مستر استماتيو بالذات .

وفى يقينى أن الخواجه ارتين كان الوحيد فى هذه المجموعة الذى استشف بذكائه أنى أكثر من مجرد قريب لضابط مخابرات يبحث له عن عمل يعيش منه ومن ذكائه أيضا لم يشعرنى أبدا أنه يعرف قدرى ومركزى فى المخابرات وكان فى معاملته معى رقيقا غاية الرقة ولكن فى حدود مركزى الوظيفى المتواضع فى الشركة ولكنه كان يؤيد ويساند كل متطلباتى دون استفسار ودائما ينجح ، ومن ذلك مطالبتى فى مرحلة ما بسيارة فان صغيرة تساعدنى فى سرعة التحرك داخل المعسكرات دون الحاجة إلى سيارة لورىّ متخمة

بصناديق وزجاجات السينالكو بحجة أن هذه السيارة الصغيرة سأستطيع أن أهرب بها مواد تموينية غالية الثمن مثل البيض والشيكولاته وغيرها إلى المعسكرات البريطانية لصالح شركة انتركونتننتال ومن ذلك أيضا إقناع الشركة باستئجار محل أديره بنفسى لصالحهم فى منطقة FAYED SHOPING CENTER وغير ذلك من الأمور التى لم أكن أجد خيرا من الخواجة ارتين لإقناعهم بتدبيرها لى وهى أمور أغنتنى كثيرا عن إقحام السيد عبد المجيد فريد والمخابرات فى كل مرة للضغط على الخواجه انجليدس .

أما مركز الإسماعيلية وهو مركز العمليات التطبيقية للشركة فكان تحت إدارة الخواجه افانجلى استماتيو كبير السن ربما بعد الستينيات عنيف فى إدارته لمركز الإسماعيلية وللفندق وكانت لى معه الكثير من الخلافات ويقيم فى نفس الفندق مع زوجته الكثيرة الشجار معه الغيورة كل الغيرة على زوجها وبصفة خاصة من مدام كونتر فورس .

ويلى مستر استماتيو فى الأهمية مدام كونتر فورس امرأة قوية الشخصية فى أواخر الأربعينات ذات جمال غابر ما زالت آثاره باقية عليها يتردد عنها كثرة علاقاتها العاطفية والجنسية مع كبار المسئولين فى الجيش البريطانى وتعتبر عن طريق هذه العلاقات حلقة الوصل بين شركة انتركونتيننتال والقوات البريطانية تسهل لهم كل الأمور وتحل كل المشاكل وتدبر الحصول على تصاريح دخول معسكرات القوات البريطانية للعاملين فى شركة انتركونتيننتال .

هذا بالإضافة إلى أن لها هى بصفة خاصة بعض التعاملات والتوريدات لحسابها الشخصى مقابل عمولات لا تخضع لدورها فى مجموعة شركة انتركونتيننتال .

أما زوجها الخواجه كونتر فورس فكان على النقيض تماما ضعيف الشخصية لا عمل له طول النهار إلا احتساء جميع أنواع الكحوليات لا يهش ولا ينش كما يقولون .

هذه كانت مجموعة إدارة شركة انتركونتيننتال فى مركز الشركة بالإسماعيلية وكلهم يونانيون متمصرون لديهم إقامة دائمة فى مصر من فترة طويلة يجيدون اللغة العربية كل الإجادة .

أما جهاز الشركة ومصدر إيرادها فكان ثلاثة لوارى بسائقيها وموزعى المياه الغازية عليها وعتاليها وسيارة ركوب قديمة متهالكة تستخدمها مدام كونتر فورس فى زياراتها لمراكز القيادة البريطانية .

ومن المفروض أنى أحد هؤلاء الموزعين وأذكر موزعا آخر أحمد مرشدى كان فى حكم رئيس الموزعين ولا أذكر الموزع الثالث . ونظرا لعنف الخواجه استماتيو كان

السائقون ولهم فرصة عمل كبيرة بمرتبات أكبر فى خدمة القوات البريطانية لا يستقرون فى العمل فى شركة انتركونتيننتال لدرجة انى كلفت بأن أسوق أحد اللوارى بجانب عملى كموزع .

وأذكر سائقا آخر شرس غاية الشراسة ولشراسته وسابق مخالفاته فى خدمة القوات البريطانية سحبوا منه تصريح العمل بالقوات البريطانية ووضعوه على القائمة السوداء لمن يعينون فى أى مكان فى القوات البريطانية ولهذا لم يكن أمامه إلا أن يستمر فى العمل مع شركة انتركونتيننتال فارضا نفسه فرضا بشراسته على الخواجه استماتيو الذى كان يتحمله لحاجته إلى سائقين . كان اسم هذا السائق الشرس أيضا صلاح ولا أذكر باقى الاسم وللتفرقة بينى وبينه ميزونى أنا باسم صلاح أفندى وهو باسم الأسطى صلاح وكان الأسطى صلاح هذا يسوق أحد اللوارى ووقت الحاجة يسوق سيارة الركوب المتهالكة فى المشاوير الخاصة بمدام كونترفورس التى لم تكن تستخدمها إلا فى المرات القليلة التى لا يحضر لها فيها سيارات خاصة من الجيش البريطانى .

كان هذا هو مجتمع إدارة عملى الجديد حاولت أن أتفهمها جيدا وقد رسمت لنفسى أن أحاول بكل اجتهاد إرضاءهم واكتساب ثقتهم وأظننى نجحت فى ذلك كل النجاح رغم صدامات الخواجه ستاماتيو معى من وقت لاخر نتيجة لطبيعته الفظة ولعصبيته الزائدة معى ومع غيرى التى تحملتها حتى لا أفضح شخصيتى .

ولما كانت مهمتى مع القوات البريطانية مؤجلة بطبيعتها حتى أتسلم الا PASS الذى يسمح لى بدخول المعسكرات البريطانية وأتسلم اللورى بحمولته من السينالكو التى سأتستر من خلفها لتحقيق مهمتى فقد حاولت إلى أن أتسلم هذا الـ PASS أن أجد هذا المحمود كنج .

ولم يكن صبعا أبدا التعرف عليه فعند أول سؤال لى لأول شخص صادف أن وجدته أمام السينما الشعبية التى أشار إليها عباس شوقى قادنى بنفسه إلى لقاء محمود كنج فى المقهى البلدى القريب من باب السينما فالجميع يعرفه والجميع يخشاه والعجيب أن الجميع أيضا يحبه . ودون تردد جلست معه وكان وحيدا وعزمت نفسى على كوب شاى معه وعلى حسابه وعرفته بنفسى إنى صديق وزميل عباس شوقى .

ويبدو أن السيد عباس شوقى كان قد أعطاه فكرة عن توقع انضمامى لهم فقد رحب بى متسائلا عن السيد عباس شوقى الذى أخبرته أنه فى مأمورية فى القاهرة وسيعود قريبا .

كان لقاءا سهلا جدا على غير ما توقعت إذ وجدت محمود الكنج كنزا من المعلومات عن كامبات الجيش الإنجليزى والأهم من ذلك وجدته مستعدا لتوظيف كل إمكاناته وإمكانات من يجندهم بمعرفته من زملائه الهبيشة لخدمة الوطن .

وبرقت لى فكرة استوحيتها فى لحظتها متذكرا فيلما أمريكيا معروفا باسم دستة أشرار 12 DEVILS بطولة لى مارفن على ما أذكر عن ١٢ شريرا خارجا عن القانون استخدمتهم القوات الأمريكية بنجاح فى إحدى عملياتها الفدائية الكبيرة فى الحرب العالمية الثانية . واستهوتنى الفكرة وكان توفيقا كبيرا من الله على غير توقع وانتظار .

طلبت منه أن يجمعنى مع عدد من هؤلاء الأشرار . ولما وجدته يتكلم بكل حرية ودون أى حذر لفت نظره إلى أهمية التستر وأن يراعى كل الحيطة فى الاختيار وكل الحذر فى تحديد أماكن اللقاء .

وانتهى لقاءنا على موعد بلقاء بعد يومين فى مكان أمين مع عدد من هؤلاء الهبيّشة يختارهم بنفسه على أن أتقابل معه عند مزلقان نفيشة للسكة الجديد عند مدخل مدينة الإسماعيلية ليقودنى إلى وكر اللقاء .

كان يوم ٢٠ مايو يوما مشهوداً لى إذ يمكن اعتباره يوم البدء الحقيقى فى مهمة ضابط المخابرات اليوزباشى محمد غانم بآليات جديدة تحت اسم محمد أحمد حسين صلاح الدين الشهير باسم محمد صلاح موزع السينالكو لمعسكرات الجيش البريطانى على ضفة قناة السويس .

فى ظهر ذلك اليوم تسلمت الـ PASS باسمى الجديد الذى يسمح لى بدخول المعسكرات البريطانية (ما عدا بعض الأماكن الحساسة للبريطانيين) وتسلمت سيارة لورى أكبر حمولة للوارى كانت معروفة فى أوائل الخمسينيات ولاحظت أنها سيارة ذات أجناب مرتفعة جدا لتستوعب أكبر قدر من صناديق المياه الغازية فقد كان ترخيص المخابرات لشركة انتركونتيننتال يحدد حمولة ثلاثة لوارى فقط للمياه الغازية يوميا فكان على الشركة أن تستخدم أكبر حمولات لوارى فى ذلك الوقت وترفع جوانبها إلى أقصى حد بأكبر حمولة من الصناديق تتحملها السيارة .

وفور استلامى اللورى جلس بجانبى الموزع أحمد مرشدى ليدلنى على مصنع السينالكو فى مدينة الاسماعيلية وليعرفنى إلى إدارة هذا المصنّع وليخطرهم أنى الموزع الجديد وعليهم أن يسلمونى يوميا ٣٠٠ صندوق كل صندوق به ٢٤ زجاجة سينالكو والحساب مع شركة انتركونتيننتال .

وفى مساء نفس اليوم كان اجتماعى مع عصبة الشياطين الأشرار

تقابلت فى ستار الليل مع محمود الكنج عند مزلقان نفيشة بعد أن اتخذت للحيطة أكثر من وسيلة نقل وبعد ما تأكدت تماما أنى غير مراقب .

وقادنى محمود الكنج إلى ما يعرف حاليا باسم المساكن العشوائية فى أحد أطراف مدينة الإسماعيلية بجوار مزلقان نفيشة .

وبلا تمهيد وجدت نفسى فيما يشبه الخرابة المسقوفة محاطا بتسعة شياطين أشرار أكثر من نصفهم هارب من أحكام بالأشغال الشاقة وأحدهم هارب من حكم إعدام يجمعهم سابق نشاطهم المشبوه ضد القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس وأكثر أحكامهم من تعديات على معسكراتهم وأفرادهم .

لم يكن أمامى الكثير من الوقت بالإضافة إلى أن رهبة الموقف وخشونته فرضت على أن أجعله اجتماعا قصيرا ساعد فى قصره أن محمود الكنج شرح لهم الوضع من قبل . مطلوب منهم تنظيم عملياتهم الشرانية ضد القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس وأن تكون هذه العمليات بتوجيه منى شخصيا دون اجتهاد منهم فى غير وقته وفى غير مكانه ومطلوب منهم المساعدة فى موافاتى بأكبر قدر من المعلومات عن القوات البريطانية مع تجديدها أولا بأول وقد يطلب منهم الاستحواز على بعض الذخيرة والأسلحة والمعدات الحربية من مخازن الجيش البريطانى لصالح الجيش المصرى على أن يكون من حقهم كل سرقاتهم من المهمات المدنية . وفى مقابل ذلك ستسعى المخابرات المصرية لاستخدام الحق الدستورى لرئيس الجمهورية فى الإعفاء عن أصحاب الأحكام القضائية بشرط التزامهم التام بتعليماتى وعدم التعرض لأى مواطن مصرى مهما كان المبرر .

لن أنسى هذا الموقف أبدا ولن أنسى هذا اليوم أبدا .

وانتهى الاجتماع بتعاهدنا وأن يكون محمود الكنج هو الموصل لتعليماتى واخترنا شخصا آخر له كشك سجاير به تليفون لاستخدامه عند الحاجة أو فى حالة أى ظرف طارىء .

وللمرة الأولى من فترة حسبتها دهرا زاولنى القلق فقد عرفت طريقى وحلت الرهبة من إمكان النجاح محل القلق فصليت لله شاكرا مستلهما منه التوفيق ونمت .

وقبل السادسة من صباح اليوم التالى ٢١ مايو ١٩٥٣ كنت أقود اللورى ذا الجوانب المرتفعة جدا فى طريقى لمصنع السينالكو بمدينة الاسماعيلية لابدأ بذلك يومى الأول كضابط خدمة سرية فى المخابرات المصرية مدسوسا على القوات البريطانية المرابطة قسرا وعدوانا على أرض الوطن على الشاطىء الغربى لقناة السويس فى بداية دورى فى خطة الثورة لاجلاء القوات البريطانية نهائيا عن ارض مصر بعد احتلال دام اكثر من سبعين عاما ضمن جهاز أنشأته الثورة خصيصا لتنفيذ تلك الخطة .

وفى مصنع السينالكو وجدت فى انتظارى طبقا لاتفاق مسبق عم عويس العتال المعين على اللورى الذى اقوده واوزع مياهه الغازية . رجل هجر قريته فى الصعيد سعيا وراء رزقه فى الاسماعيلية تخطى مرحلة الشباب وفى بداية مرحلة السن الكبير يكاد ينهك قواه تناوله نهارا السجاير المحوّجه بالحشيش وتقطع انفاسه ليلا الجوزة المعمرة ايضا بالحشيش ولكنه مع ذلك ما زال يحتفظ بقدر من صلابة العود قادرا على تأدية ما هو مطلوب منه فى حدود تعتيق صندوقين سينالكو لا أكثر فى كل مرة من اللورى يسلمهم مقابل استلام المقابل لهم زجاجات فارغة فى صناديق سينالكو مرتجعه وفى الطالع والنازل تسمع بسهولة حشرجة داخلية فى صدره ينفس عنها من وقت لآخر بسعال ذا صوت خاص معروف عن مدمنى الحشيش .

ومن باب الرأفة وايضا من باب الحماس ساعدت عم عويس فى نقل وتستيف ٣٠٠ صندوق سينالكو كل صندوق يحوى ٢٤ زجاجة مليئة بالسينالكو ووقعت على فاتورة الاستلام وتوكلت على الله .

كانت تعليمات الخواجة استماتيو ان اوزع هذه الصناديق على كامبات الانجليز فى الصحراء بين الاسماعيلية ومدينة السويس مقابل استلامى خمسة تعريفه (٢,٥ قرش صاغ) عن كل زجاجة مع التشديد باستلامى فوارغ (زجاجات فارغه) بنفس العدد المسلم من الزجاجات المليئة بشرط ان تكون سليمه ومستفه فى صناديق سينالكو بالذات على ان اسلم صناديق الفوارغ كاملة وسليمة لشركة سينالكو عند العودة من المأمورية قبل توجهى للفندق مقابل ايصال تسليم من شركة سينالكو اسلمه للخواجه استماتيو مع الايراد اليومى من النقود . وفى صباح اليوم التالى اتسلم ٣٠٠ صندوق سينالكو جديدة مقابل ايصال استلام أوقع عليه .

وكانت نصيحة المعلم احمد مرشدى رئيس الموزعين ان « أدلق » الصناديق فى عدد محدود من الكامبات بالدور يوميا حتى اعود سريعا بلا ارهاق خصوصا وكنا فى الصيف والكل متلهف لاكبر عدد من زجاجات المياه الغازية وكانت نصيحته ايضا ان هبش الانجليز

حلال وان الصيف والخوف من اشاعة تسميم الفدائيين لمصادر المياه الجارية فى مواسير شبكات المياه بالمعسكرات البريطانية تشجع الانجليز على سداد أى ثمن يطلب فى زجاجة المياه الغازية وانه شخصياً لا يقبل اقل ٣,٥ صاغ للزجاجة واكثر مبيعاته بخمسة قروش للزجاجة ووصل فى بعض ايام الصيف الشديدة القيظ إلى بيع الزجاجة ببريزه (١٠ قروش صاغ) يسلم منهم « بأمانه » للخواجه استماتيو ٢,٥ قرش صاغ عن كل زجاجة والباقى حلاله اذ لا يكفيه كما كان يدعى المرتب الصغير الشهرى الذى يحصل عليه من شركة انتركونتيننتال بالاضافة إلى عمولة توزيع قرش صاغ عن كل صندوق أى ثلاثة جنيهات عن كل يوم للموزع . ولعل هذه الارقام - وكانت تعتبر فلكية فى ذلك الوقت - تعبر عن مدى اهتمام شركة انتركونتيننتال والخواجه جونى انجليدس فى ارضاء المخابرات المصرية . لهم الحق كل يوم فى توزيع ٣ لوارى × ٣٠٠ زجاجة مياه غازية أى ٢١٦٠٠ زجاجة يدفعون فيها لشركة سينالكو ٩ مليم للزجاجة اى ١٩٤,٤٠٠ جم ويتسلمون من الموزعين يوميا على الاقل ٢,٥ قرش × ٢١٦٠٠ زجاجة = ٥٤٠ جم بفارق ٣٠٠ جنيه يوميا بعد خصم ٢٧ جنيه عمولة توزيع ثلاثة موزعين ونصف هذا المبلغ يومية العتالين أى ٩٠٠٠ جنيه شهريا بخلاف تعاملات شركة انتركونتيننتال الاخرى مع القوات البريطانية .

ودون تردد كنت قد قررت الا آخذ بنصيحة المعلم مرشدى فدورى يحتم على ان ادخل اكبر عدد من المعسكرات لاستطلاعها بنفسى وتجميع كل البيانات عن كل المسعكرات وزرع رجالنا فى كل المعسكرات وهذا يفرض على ان امر يوميا على أكبر عدد من المعسكرات بحجة توزيع قدر محدود من زجاجات السينالكو على هذه المعسكرات مهما خلق ذلك لى من ارهاق كما انى قررت الا آخذ بنصيحته المادية اولا بطبيعتى لا تتحكم الماده فى وثانيا لتحقيق سياستى التى قررتها لنفسى باكتساب ثقة شركة انتركونتال واكتساب ثقة من اتعامل معهم من البريطانيين حتى اكون مقبولا لديهم ومرغوبا عندهم لوقت الحاجة .

توكلت على الله ودخلت اول معسكر فاستوقفنى حرس المدخل وتأكد من وجود الـ PASS وان صورته مطابقة لشكلى ثم فتش اللورى تفتيشا صوريا كالمتعود عليه وسمح لى بالدخول بعد ان حصل على ضريبته عددا من زجاجات السينالكو وزعها على افراد الحرس بلا مقابل وكان هذا امرا عاديا يخصم من عمولة الموزع .

قادني عم عويس إلى الكانتين ثم إلى ميس الضباط وتم تبادل الزجاجات الغازية بأخرى ملآنه وسددوا الثمن وكانت مفاجأة ساره لهم ان اكتفيت بقرشين ونصف فقط ثمنا للزجاجة وغادرت المعسكر الاول بعد ان تعمدت « التلكع » اكبر وقت ممكن لأملأ عينى

ومخيلتى بطبوغرافية المعسكر وتفاصيل منشئاته والاهم من ذلك للتحدث مع اكبر عدد من العمال المصريين الذين يخدمون فى الكانتين وفى الميس محاولا خلق صداقات معهم وتخير من يصلح لتجنيده فيما بعد فى شبكتنا بأمان .

وما حدث فى أول معسكر تكرر فى عدد كبير من المسعكرات حتى انتهت الزجاجات المليئة وحل محلها ٣٠٠ صندوق فوارغ بعد العصر وكنت قد قاربت الوصول إلى السويس ولم يكن امامى الا العودة لتسليم الفوارغ لشركة سينالكو وتجريش اللورى فى حوش المصنع ثم التوجه إلى الفندق لتسليم الايراد للخواجه استماتيو حوالى التاسعة مساء .

وقد وجدت الخواجه استماتيو منزعجا غاية الانزعاج من تأخرى فقد تعود ان يأتيه الموزعون بعد ساعتين أو أقل قليلا أو أكثر قليلا بعدما (يدلقون) زجاجات المياه الغازية فى عدد محدود من المعسكرات وكان بطبيعته الشكاكة قد تخوف من ان اكون قد اختلست الاموال وهربت بها للقاهرة أو أكون قد تصرفت تصرفا مريبا ومخالفا لتعليمات أمن القوات البريطانية وقبضوا علىّ وسحبوا منى جواز المرور مما يسىء إلى مركز شركة انتركونتيننتال لدى السلطات البريطانية ويفرض عليهم اجراءات جديدة لموزع جديد . ولكنه وان لم يعلن صراحة عن رضائه كان راضيا عن تصرفى فى خدمة اكبر عدد من المعسكرات .

اذكر اننا كنا فى رمضان وكنت صائما وخلال شهر رمضان كله فى ذلك العام وحتى فى فترة عيد رمضان كان برنامجى اليومى صباحا قبل السادسة فى مصنع السينالكو اتسلم طريحة اليوم ٣٠٠ صندوق احاول تسويقهم على اكبر عدد من المعسكرات فيما بين الاسماعيلية والسويس بالكاد مسيطرا على توازن اللورى الذى ان ملت بعجلة القيادة يمينا يكاد ينقلب اللورى يمينا من ضغط الصفوف العالية من صناديق السينالكو الثقيلة على الحاجز الخشبى الايمن المرتفع ارتفاعا غير طبيعى ليستوعب اللورى اكبر حمولة وان ملت بعجلة القيادة يسارا يكاد ينقلب اللورى على جنبه الايسر .

وعند كل معسكر تأخذنى الشفقة بعم عويس فأتناوب معه حمل الصناديق بالزجاجات المليئة والفارغة وتعتيقها وتحميلها من وعلى اللورى . ولا يمنعنى هذا من ان املأ عينى بمنشئات المعسكر ونظام حراساته محاولا فى نفس الوقت خلق اكبر قدر من الصداقات مع اكبر عدد من العاملين المصريين فى المعسكر ومحاولا تجميع أكبر قدر من المعلومات عن المعسكر منهم متوخيا منتهى اللباقة والحذر حتى لا ينكشف امرى مع التركيز على محاولة اختيار الانسب منهم ليكون ضمن شبكة المعلومات أو شبكة العمليات المفروض الاسراع فى تكوينهما .

وحوالى التاسعة مساء يكون الخواجه ايفانجلى استماتيو فى انتظارى فى فندق بسطا (المسافرين) بالاسماعيلية ليتسلم منى ايصال تسليم الفوارغ والايراد اليومى بعد خصم يومية عم عويس وعمولتى . بعد ذلك اتوجه إلى المطعم الشعبى القريب من الفندق لتناول افطارى الذى كان هو سحورى فى نفس الوقت واعود لغرفتى فى ملحق الخدمة بالفندق اصلى صلوات اليوم كله ثم ابدأ فى اجترار ورسم وتسجيل معلومات اليوم المخزونه فى ذاكرتى مضيفا ومصححا لبيانات اسبق ومسجلا ومعدلا ترشيحاتى لاسماء العاملين الممكن تجنيدهم فى كل معسكر .

ومن وقت لآخر اتوجه إلى السينما الشعبية للالتقاء مع محمود الكنج ليخبرنى باخبار التسعة شياطين وما فعلوه فى كامبات الانجليز وللحصول منه على قدر كبير من المعلومات عن هذه الكامبات سواء اجتهادا منه دون طلب منى أو استجابة لطلبات محددة كنت قد حددتها له فى لقائى الاسبق .

واخيرا قسطا ضئيلا من النوم العميق لتبدأ الدائرة من جديد قبل السادسة صباحا فى مصنع السينالكو .

واذكر انه حوالى منتصف الشهر لم يحضر عم عويس صباحا كالمعتاد متأثرا بما تحمله من اعباء تجاوز الحد الممكن تحمله من انفاس الجوزة وانفردت بالعمل وحدى سائقا وعتالا وموزعا فى ذلك اليوم ووجدت ذلك انسب لى خصوصا بعدما عرفنى عم عويس بكل مسالك الكناتين والميسات وتعودت من ذلك اليوم الا يحضر عم عويس وينتظرنى كل يوم فى مصنع السينالكو ليتحصل على يوميته ليصرفها فى مجلس الجوزة والدخان وزادت بذلك فرصتى فى تحقيق ما خططت له من دخولى وحدى أكبر عدد من كامبات القوات البريطانية على الشاطىء الغربى لقناة السويس بين الاسماعيلية والسويس .

وكانت خطتى التى تخيلتها ونجحت تماما فى تحقيقها تمر خلال ثلاثة مراحل .

المرحلة الاولى : وهى تثبيت وضعى تماما ضمن شركة انتركونتال واكتساب ثقة المسئولين في هذه الشركة ومحاولة الاستفادة منهم فى الحصول على تصاريح المرور ومبرر الدخول الآمن فى المعسكرات البريطانية وابعاد الشبهة بقدر الامكان عنى خصوصا مع علم الجميع بقرابتى المزعومة لحرم الصاغ عبد المجيد فريد احد قادة المخابرات العامة المصرية ومع كثرة مباهاة الخواجه جونى انجليدس لتحقيق مصالحه الخاصة فى المنطقة بارتباطه شخصيا وارتباط شركة انتركونتال والعاملين فيها بالمخابرات المصرية حتى انه صدر من قيادة القوات البريطانية فى المنطقة منشور بوضع شركة انتركونتال وكل العاملين فيها فى القائمة

السوداء سرعان ماتدخلت مدام مارى كونترفورس ونجحت فى الغاء هذا المنشور عن طريق اصدقائها القادة البريطانيون ذوى النفوذ . واستغرقت منى هذه المرحلة طوال شهر رمضان من ذلك العام تم فيها تدعيم تواجدى الشخصى فى المعسكرات البريطانيه مما هيأ لى دراسة ميدانية شاملة لهذه المعسكرات ازدادت مع الايام تفصيلا لكل معسكر على حدة .

وهكذا كان لدى قيادة المخابرات العامة المصرية رسومات وبيانات دقيقة عن عدد كبير من المعسكرات البريطانية تتجدد باستمرار وباختصار كل ما يهم المخابرات ان تعرفه عن القوات البريطانية ومعسكراتها تمهيدا لاتخاذ ماتراه عن اجراءات تستلزمها معركة اخراج القوات البريطانية من مصر نهائيا ولو بحرب عصابات سافرة .

وخلال تلك المرحلة الأولى من خطتى خلال شهر رمضان كان تعارفى على العاملين المصريين فى هذه المعسكرات ولقائى معهم يوميا بمبررات أمن مشروعة لفترة ليست قصيرة مما هيأ لى النجاح فى اختيار انسبهم وتجنيدهم وتنظيم شبكة معلومات بأحسن امكانياتها تغطى عددا كبيرا من المعسكرات البريطانية فى المنطقة وفى امكان بعضهم الوصول إلى أدق الاماكن بوسيلة أو بأخرى . ومن هنا يظهر بعد نظر خطة القيادة السياسية للثورة فى عودة السماح للمصريين بان يخدموا القوات البريطانية داخل معسكراتهم .

ولعل من اهم ما حققته المرحلة الأولى ولم أكن مخططا له هو تعرفى على عدد ليس قليلا من رؤساء العمل داخل القوات البريطانية من القبارصة والمالطيين الذين استعانت بهم القوات البريطانية فى مرحلة مقاطعة التعامل مع القوات البريطانية عندما قررت وزارة الوفد قبل الثورة الغاء معاهدة ١٩٣٦ من طرف واحد هو الطرف المصرى وحرمان تشغيل الافراد المصريين فى خدمة القوات البريطانية كنتيجة لمجزرة الشرطة يوم ١٩٥٢/١/٢٥ فى الاسماعيلية .

كان هؤلاء القبارصة والمالطيون وبصفة خاصة القبارصة متعاطفون داخليا مع الشعور المصرى بحقه فى الاستقلال فقد كانت بلادهم ايضا تواقة إلى هذا الاستقلال وكان القبارصة بصفة خاصة يقدرون لمصر وثورة مصر مساندتهم القوية فى ذلك الوقت لزعيمهم مكاريوس .

وقد حاولت بنجاح كبير ان اوطد علاقتى مع بعض هؤلاء مستغلا اساسا الشعور الموحد لامل بلدينا فى الاستقلال ومستغلا فى بعض الاحيان الكرم فى الهدايا والاكراميات بداية من منح السيناالكو مجانا أو تلبية بعض طلباتهم من خارج المعسكرات التى يكادوا يكونوا اسرى فيها ولم يستغنى الامر عن مشترى البعض منهم ماليا .

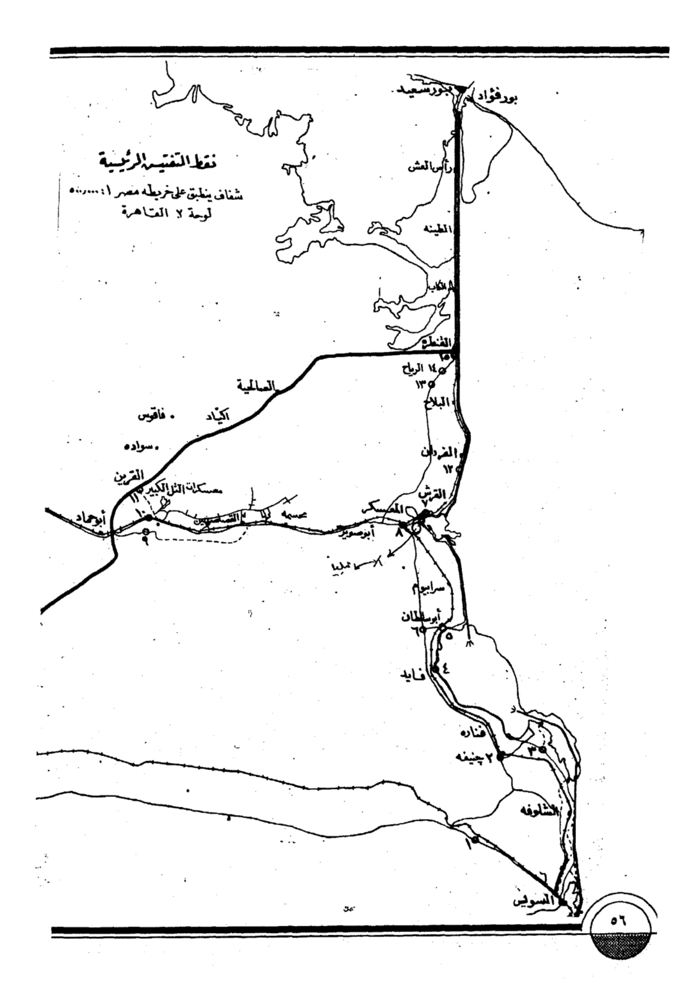
ودخول بعض هؤلاء المالطيون والقبرصيون فى الشبكة كان عونا كبيرا جدا فى جمع وتصحيح المعلومات وفى الحصول على بعض الاسرار وثبتت فائدتهم تماما فيما بعد فى مرحلة تمويل الجيش المصرى باحتياجه من الذخائر والمعدات العسكرية من المخازن البريطانية حيث كانت مهمة امانة المخازن مناطه بهم .

المرحلة الثانية : كان فى تخطيطى للمرحلة الثانية ان تشمل اعداد وتجهيز وادارة شبكة العمليات الفدائية داخل المعكسرات البريطانية وتنفيذ احد التكليفات المكلف بها وهو الحصول على بعض احتياجات التسليح للجيش المصرى من مخازن الجيش البريطانى .

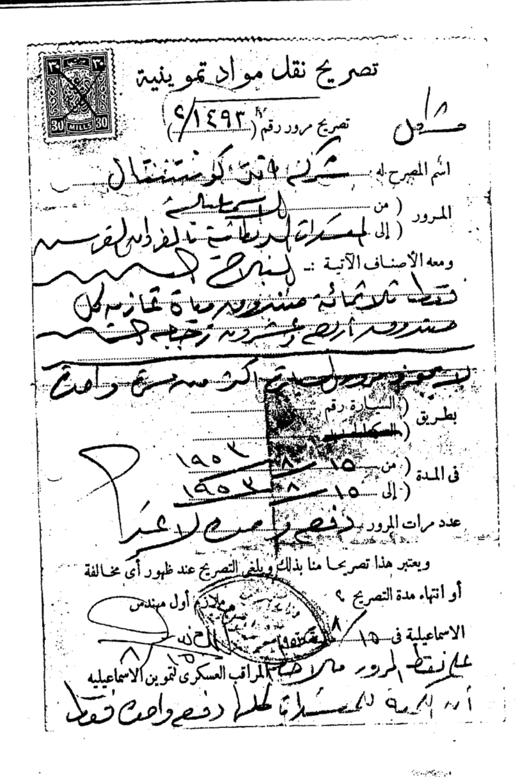
ورغم إن فترة المرحلة الاولى خلال شهر رمضان من عام ١٩٥٣ كان التركيز فيها على شبكة المعلومات الا انه اثناء المرحلة الأولى كانت اتصالاتى مستمرة مع محمود الكنج الذى كان يبلغنى أولا بأول باخبار التسعة اشرار ومايفعلونه فى القوات البريطانيه من عمليات تساعد فى هز الوجود العسكرى البريطانى على ارض مصر مع تزويدى ببعض المعلومات التى يحصلون عليها بمعرفتهم أو استجابة لتكليف منى لهم طبقا لما كنت ادبر واخطط لهم معه ومن وقت لآخر كنت اشارك مع بعضهم مجتمعين أو متفرقين فى بعض العمليات داخل المعسكرات البريطانية تحت قيادتهم لما يتمتعون به من خبره فائقة . وتمهيدا لخلق شبكة العمليات داخل المعسكرات بخلاف عصابة التسعة اشرار نجحت فى الايام الاخيرة من المرحلة الأولى فى زرع بعض افراد شبكة العمليات المستقبلية ضمن الافراد العاملين فى خدمة القوات البريطانية بالمعسكرات رشحهم لى محمود الكنج وعصابته وكان ذلك بمساعدة بعض القبارصة رؤساء شئون العاملين فى بعض المعسكرات البريطانية وبعض المصريين العاملين فى القوات البريطانية ولهم صداقات مع اجهزة شئون العاملين فى معسكراتهم .

اما المرحلة الثالثة : فقد كانت فى علم الغيب مفروض ان تديرها قيادة المخابرات المصرية بتشكيلاتها المختلفة عندما يتأزم الموقف ويحتاج إلى حرب عصابات منظمة مكشوفة ضد الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس .

وهذه مرحلة كانت فى بالى ولكن لم يكن لدى فى فترة المرحلة الأولى اى تصور لها وقدرت ان اترك التفكير فيها والاستعداد لها فيما بعد .



نقط التفتيش الرئيسية
شفاف ينطبق على خريطة مصر ١ : ٥٠٠,٠٠٠
لوحة ٢ القاهرة
بورسعيد
بورفؤاد
رأس العش
الطينه
الكاب
القنطرة
١٥
١٤ الرياح
١٣
البلاح
الفردان
١٢
القرش
٧
المعسكر
الصالحية
فاقوس
سواده
القرين
معسكرات التل الكبير
١١
١٠
أبو حماد
٩
القصاصين
أبو صوير
٨
سرابيوم
أبو سلطان
٦
٥
٤
فايد
فناره
٢ جنيفه
٣
الشلوفه
١
السويس



تصريح نقل مواد تموينية

تصريح مرور رقم (٩/١٤٩٣)

اسم المصرح له

المرور (من

(إلى

ومعه الأصناف الآتية :-

بطريق (السيارة رقم

(العملية

فى المدة (من ١٥ - ٨ - ١٩٥٢

(إلى ١٥ - ٨ - ١٩٥٢

عدد مرات المرور

ويعتبر هذا تصريحا منا بذلك ويلغى التصريح عند ظهور أى مخالفة

أو انتهاء مدة التصريح ؟

ملازم أول مهندس

الاسماعيلية فى ١٥ / ٨

المراقب العسكرى لتموين الاسماعيليه

تصريح التموين لنقل ثلاثمائة صندوق مياه غازية كل صندوق ٢٤ زجاجة وكان يصدر يوميا عن كل سيارة

CONFIDENTIAL

HQ NAAFI
HQ BTE
MELF 14

All Officials (except Inspectors).

580/97/SE.1
25th July, 1953.

c.c. Staff Manager, NAAFI, Egypt.
c.c. Chief Works Office, NAAFI, Egypt.
c.c. Transport Manager,
NAAFI, Middle East.

SECURITY OF CONTRACTORS AND
THEIR EMPLOYEES

Hereunder please find extract from letter E3/3 G (Int) from HQ BTE dated 22nd June, 1953, regarding attempts by a firm of contractors named INTERCONTINENTAL to dominate other firms having contracts with British forces in the Canal Zone. Will you please note the contents of this letter and arrange for necessary action to be taken on Para. 4 with any contractors who may come under your supervision.

اخطار بوضع شركة انتركونتيننتال فى القائمة السوداء بالنسبة للتعامل مع القوات البريطانية

بعض تقارير عن بيانات ورسومات وصور فوتوغرافية اجتهد محمد صلاح فى ارسالها للمخابرات العامة تنقل صورة كاملة واضحة للمعسكرات البريطانية والمرافق ومراكز الترفيه والاندية ومراكز التسويق ومحطات المياه والكهرباء ونقط التفتيش ومراكز الحراسات وموقع الدشم وغير ذلك وباختصار كل ماجعل الوجود البريطانى كتاب مفتوح للمخابرات العامة ولهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية وذلك فى المنطقة المسئول عنا محمد صلاح فيما بين الاسماعيلية والسويس .

ويراعى انه لم تكن هناك بطبيعة الحال آلة كاتبة ولا معدات هندسية وكانت ادارة المخابرات العامة فى القاهرة تعيد نقل هذه المعلومات ومايصلها من مصادر اخرى بالطريقة الهندسية المناسبة ويراعى ايضا بعض التأشيرات الاخوية من السيد سعد عفرة احد مسئولى القاهرة .

مع ألف شكر

وصل يا سيدى

وصل يا عينى

مما يؤكد روح الأخوة والتجاوب التى كانت تربط كل أعضاء جهاز مكافحة الوجود البريطانى فى مصر .

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

نرفع مع هذا بيان المرافق الحيوية لقطاع فايد

(ابو سلطان فايد فنارة) علما بأن جاري الاتفاق مع زعيم عصابات

السطو على المعسكرات البريطانية بمنطقة فنارة ويدعى عبد الرحمن بدوي

للاستفادة من رجاله ويقدر عددهم بحوالي ٢٠٠ رجل مدرب من

اهالي الصعيد يدينون له ويأتمرون بأمره

وهو كما يبدو لي لا تنقصه الوطنية وقد سبق له أن تعاون

مع السلطات عام ١٩٥١

وسأفيد حضرتكم أولا بأول بما يتم بهذا الخصوص .

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

توزيع

ص خا...

٥٢/٨/٢

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

نرفع مع هذا رسومات منطقة ابو سلطان

وهي تشمل

١- رسم كروكي لمنطقة أبو سلطان اجمالاً

٢- رسم كروكي لمحطة توليد الكهرباء والمياه

٣- رسم كروكي لمعسكر 9 BAD

علماً بأن ① نقطة تفتيش ابو سلطان سبق تقديمها

② ومصنع أبو سلطان تم تقديم كل البيانات الخاصة به

بالتقرير الخاص بمصانع ومطارات القوات البريطانية

③ سيناء أرسلنا الرسم الخاص بها مع التقرير

الخاص بسيناء

④ مخازن الذخيرة جاري تجميع البيانات والرسومات الخاصة

بها وسنقدمها بمجرد الانتهاء من ذلك

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

٢/٨/٥٢

حضرة المحترم مدير إدارة المخابرات

مرفقه مع هذا رسم كروكي للمنطقة بيانه

فايد وكذا بعض المعلومات التي أمكن الحصول عليها.

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

مدير

[illegible]

٨/٢

حضرة المحترم مدير إدارة المخابرات

مرفقه مع هذا بيان المصانع والإصلاحات

التي تستخدمها القوات البريطانية على طول ساحل

القناة ٥ × ٩ سماحية لي قارة

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

مدير

[illegible]

١/٨/٥٢

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

مرفق مع هذا الرسومات الخاصة ببعض دور السينما بالمستعمرات البريطانية وتشمل

١- سينما كاليدونيا

٢- سينما بالاديوم

٣- سينما هيبودروم

٤- سينما ماجستيك

وجاري عمل باقي الرسومات ~~[illegible]~~ منطقة فايد

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

٢/٨/٥٢

حضرة المحترم مدير ادارة الخابرات

مرفق مع هذا رسم تخطيطي اجمالي للوحات

منطقة فايد وفنارة والحمراء وجنيفة وسرابيوم

١ لوحة ارشادية اجمالية شيبوك عدد ١٢ لوحة تفصيلية

٢- لوحة رقم "١" منطقة الميرنيا من Round about بفايد الى ٤ كيلو جنوبا

٣- لوحة رقم "٢" من الكيلو "٤" السابق الى ك ٦ (فايد)

٤- لوحة رقم "٣" من الكيلو "٦" السابق الى ك ٩ (فنارة)

٥- لوحة رقم ٤ " " "٩" السابق الى ك ١١ (الحمراء)

٦- لوحة رقم ٥ من الكيلو "١٦" الى الكيلو "١٩" (جنيفة)

٧- لوحة رقم "٦" منطقة Shopping Center وشارع Shell sea avenue

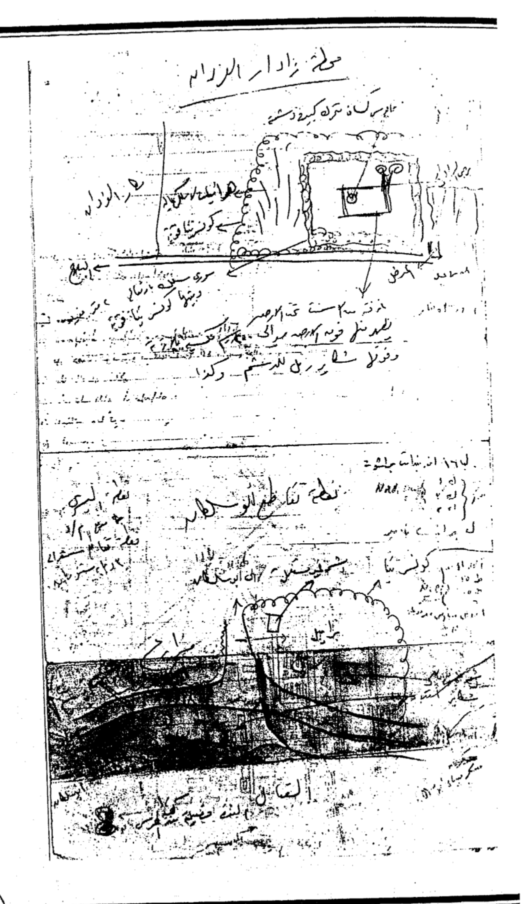
٨- لوحة رقم "٧" شارع كوبري السويس

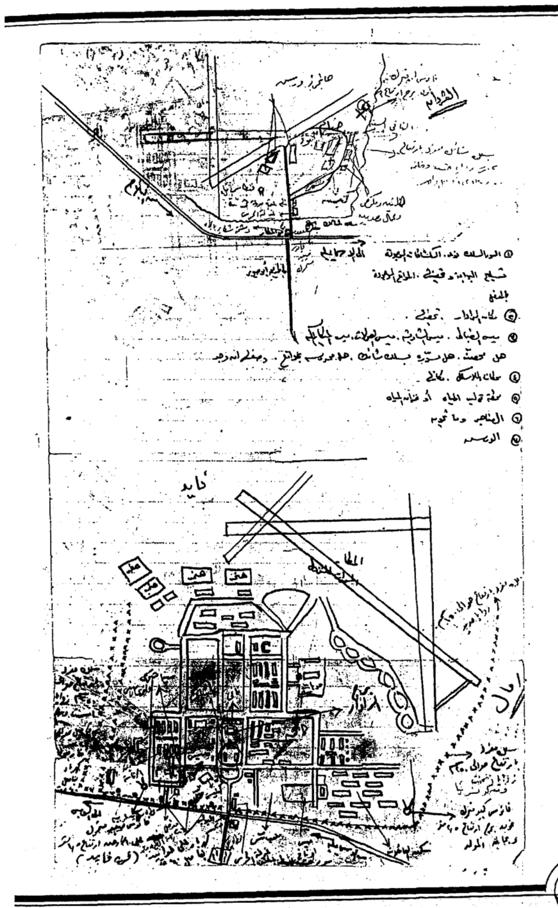
٩- " " "٨" " السساد

١٠- " " "٩" " " قنارة

١١- } لوحة رقم "١٠" } المنطقة من Round about شرقاوي طارق ناصر
١٢- } " " "١١" } مع الشرق

١٣- اللوحة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام قدام ٢ ...
٩/٢





حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

مرفقه مع هذا وصف لـ

Flare Trip Wire M-4

ومعه نموذج من الشائع

نموذج من البالى الخاص

نموذج من بكرة السلك

رجاء جرام بالحجم الطبيعي للجهاز

اللازم لمعرفة كيفية تثبيت الجهاز

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

وصل يا عمي

٢/٩/٢٠

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

مرفق مع هذا رسم اجمالي لوحدات معسكر North Camp المحيط معسكر الاسماعيلية وموضح به اسماء الوحدات واماكنها وعلاماتها التكتيكية - وارقامها

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

وصل يا ...

نوره

خان

٢/٩/٥٢

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

مرفق مع هذا رسم تفصيلي لدار سينما ارسكية الصنعة بابي سلطان وكذا وصف تفصيلي لها

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

وصل يا سيدي

نوره

خان

٢/٩/٥٢

حضرة المحترم مدير ادارة المخابرات

نرسل مع هذا نصف رسومات فوتوغرافية لكل من

طلمبة مياه فاسد
- الموتور
- المواسير
- الزاوية الشاشية
- فلتر داخلي
- الخزانة

احدى طائرات النفاثة حركية

وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام

وصل يا سيدي

توقيع

٠٢/٩/٢

حضرة المحترم / مدير إدارة المخابرات

مرفق مع هذا مجموعة من الصور الفوتوغرافية بيانها كالتالي

العدد		
٨	صورة	للورشة الكهربائية الكبرى بفنارة (وهي تحوي ع لعدد كبير من السيارات)
١	"	لمنزل خارجي لسينما ميدنيا بفايد
٤	"	لترعة البارابشوت
٥	"	لمنار فنارة البحري
٢	"	لأنقاض من الفانزات لسامة
١	"	مدخل قيادة طائرات
١	"	لنقطة كوبري البيسري
١	"	مدخل مدرسة الزقازيق الأولى على الطريق المؤدي لفنارة
١	"	كوبري نفيشة وفنارة نفيشة نفيشة
١	"	مدخل معسكر الحساسية من الدراجات
٢	"	مكتب رئاسة المخابرات معسكر ساحلي
١	"	مرصد بيارة فنارة على ترعة السويس
١	"	لمرصد للكلاب
١	"	للكوبري الجانبية بفايد
١	"	لنقطة تفتيش أبو سلطان الجديدة
١	"	لوحة رئاسة اللواء ١٦ باراشوت
٦	"	صورة للنقطة الجبلية خلف معسكرات فايد

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

توقيع

٩/١٨

حضرة السيد المحترم مدير ادارة المخابرات

مرفق مع هذا

(١) وثيقة الأوامر لضابط الدورية الثانية براسوت

(٢) مجموعة الصور التالية

عدد

٢ صورة جوية فوتوغرافية أحدهم لمنطقة فايد

٢ " مباني معسكر الاسماعيلية

١ " الطيارة [illegible] [illegible] الاسماعيلية

١ " ورشة كهرباء كبريت

٢ " محطة مياه كبريت

١ " مخازن المهندسين خلف ورشة الكهرباء ~~[illegible]~~ بفنارة

٢ " ورشة الكهرباء بفنارة

١ " [illegible] بوفرت

١ " [illegible] S.P.

١ " [illegible] كبريت

٢ " نقطة تفتيش الكوبري بالاسماعيلية

١ " " " كوبري [illegible] "

١ " ٢٠ البريد الحربي بفايد

٢ " مدخل [illegible]

١ " مدخل G.H.Q.

١ " " Maida

١ " في مدخل المنطقة [illegible]

لواء

٦ / ١٠

مستودعات بترول فنارة
مستودعات ذخيرة ابو سلطان
ماكينة نور فنارة
رشاشات مياه ابو سلطان (دكار ٧)
فنايد
فنارة ١ - ٢ - ٢
حنيفة
P. H. Q. د منزل القرار
رئاسة الفرقة الاولى ورئاسة حامية فايد
مينا فنارة
مينا ابو سلطان
مستر البترول
مستشار ٢
مدفعية ٢/٥ ٧١
" ٣/٤ ٧٢
" الري ٢٦
" ٢٩
مكتب الاشارة ـــــ ورشة الهندسية
مستودعات الثاني

تقرير نقطة في ... [illegible]

الرشيد ١٦ نوفمبر [illegible]

حفظ الخدم ... إدارة ... [illegible]

[illegible]

أ- نقط التفتيش

١- سبق أن ذكرت أن نقطتي [illegible] (وكانت ...

مدنيا ١٧ رجل) وكذا نقطة التفتيش عند كوبري قنا ... [illegible]

(وكانت تبعد ٣ [illegible]) قد [illegible] ولم نعد [illegible]

وما زالت [illegible] لقد [illegible] الأرضية [illegible]

النقطة [illegible]

ب- نقطة تفتيش أبو سلطان (... الفنال) [illegible]

إليه من [illegible] ثلاث [illegible] الثالث [illegible]

[illegible] ويقيم

بالعمل في هذه النقطة ... أفراد من الحرس [illegible]

[illegible]

أما أفراد الحرس [illegible]

جـ- نقطة تفتيش أبو سلطان ([illegible]) ما زالت أيضا [illegible]

عند تقاطع [illegible] أبو سلطان مع [illegible] ([illegible])

[illegible] بالرادار [illegible]

(مدفعية) والنقطة [illegible]

٣- [illegible] ١٩ [illegible]

بالموقع [illegible] كوبري سينا

د- نقط [illegible]

التي لم أتمكن من [illegible]

[illegible]

وإن كنت أعلم من دروس سابقة أن هناك نظمتين أخذها في

صيغة تبادلية مراسيم وحدات الحجم والوزن في [illegible]

الأمم [illegible] يستندون [illegible] يتكون من أجزاء [illegible]

ولذا هناك نظم [illegible] من الأجزاء العشرية [illegible] الدرهم والقنطار [illegible]

[illegible] الأجزاء الثانية [illegible]

هـ - [illegible] على مدى [illegible] نظم نسبية

أحدهما [illegible] نسبية [illegible] الأساس الباطنية [illegible]

[illegible] الكيلو [illegible]

مدى الأساس [illegible] ويقوم [illegible] من الكلمة الثالثة

[illegible] المطلق [illegible]

[illegible]

و - نظم نسبية [illegible] أي نسبة [illegible] ولكنه نظم

نسبية [illegible]

[illegible] ولكن نقسمه على [illegible] البريطانية [illegible]

[illegible] من عندها تجمع [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه النظم في [illegible] لا على [illegible]

أفراد [illegible]

[illegible] الوحدات والأوزان

[illegible] الإنجليز [illegible] (الإستاندرد) [illegible]

[illegible] نتيجة حادث [illegible] وقد [illegible] طويلة

وقد [illegible] المقاييس [illegible] وجود [illegible]

[illegible] في [illegible]

سمح لي باستخدام [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible]

أيضا اضطررت [illegible] [illegible]

وسنكون [illegible] في خلال [illegible] [illegible]

[illegible]

وقد اضطررت في هذه الفترة الى استخدام [illegible] [illegible]

نظرا لطبيعة الحال في عملية [illegible] المسيرات وتقص

أخبار [illegible]

وقد [illegible] من بعض [illegible] أبناء [illegible] [illegible] ولكن

أود دائما أن أؤكد [illegible] من الأبناء [illegible] [illegible] [illegible]

ما يلي [illegible]

٢- لم [illegible] [illegible] [illegible] المنطقة [illegible] فالوضع [illegible]

[illegible] في المنطقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٣- الوحدات التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

٤- [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ٧١ م ٥/٣ [illegible] ٣٧ م [illegible]

[illegible] الى [illegible] [illegible]

[illegible] ١١/٤ ولم [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في الفترة السابقة [illegible] [illegible] [illegible] هذه [illegible]

٥- [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الطريق [illegible] في القتال [illegible]

هـ - [illegible]

[illegible]

[illegible] الجبال [illegible]

حوالى ٤٠ [illegible]

٢٤٠٠ [illegible]

في الصباح الباكر [illegible]

[illegible]

٦/ نشاط الحكومة البريطانية [illegible]

[illegible]

[illegible] كثيرا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

السوفيت [illegible]

٥- [illegible]

[illegible]

ترخيص [illegible]

حـ - [illegible]

[illegible] المعسكرات [illegible]

[illegible]

الفرصة [illegible]

الضفة الأخرى [illegible]

Y.M.C.A. أ رعى تنافس صنا [illegible] مع [illegible] في المجلس . ②

[illegible] هشام مرا [illegible] حسب المنطقة [illegible]

د- ما زال رشدي شاكر في [illegible] وحركاته وقد تكلمت

في هذا الموضوع كثيرا [illegible] ؟!!!

هـ- ومنذ هذا تقرير منفصل عن احد المتطلبين حديثا

نزار الجندي

٤/ الاستعلامات والدعاية

١- الاستعلامات [illegible]

٢- تفتقد [illegible] حاليا الى [illegible] السودانية بالقوات البريطانية

حيث تتقدم لهم [illegible] لتشويههم [illegible]

و [illegible] لتثار [illegible] الانجليز [illegible] المصرية . وقد نجحت هذه الدعاية لم [illegible] وسط [illegible] السودانية

وان هذا لا يمنع وجود قلة لم تقم بعد هذه الدعاية [illegible]

الى معتقداتهم ويكنهم [illegible] الانفصال [illegible]

٥/ تشكيل الكتيبة السرية

هذا هو الموضوع الذي أرجو ان [illegible] حاليا [illegible]

(٥٦) [illegible] صلح [illegible]

الشئيات المعطاة لى بسم [illegible] في المنطقة [illegible]

افضل لوقتهم [illegible] [illegible]

[illegible] المقابلات اللازمة لذلك [illegible]

[illegible] المسكرات [illegible] قد تعرض [illegible]

وقد تمت مراحل هامة [illegible]

أ- [illegible] كما أشار [illegible] الأفراد [illegible] حيث أن
جاري تصفية [illegible] بالعملات
المناطق في المنطقة [illegible] إلى [illegible]
[illegible] الأفراد [illegible] المعلومات [illegible] الحماية [illegible]
[illegible] مستوياتهم وتعليمهم [illegible]

ب- تخفيض [illegible] من ٨٠ إلى [illegible]
[illegible] سبيل الاتفاق [illegible] مع [illegible] لوضعهم تحت [illegible]
[illegible]

جـ- تم اختيار [illegible] تصلح [illegible]
[illegible] إلى المنطقة حيث [illegible]

د- الاستعداد [illegible] خلال [illegible] أيام [illegible]
لكن [illegible] لم [illegible]

٦ حرس

أ- [illegible]
[illegible] البريطاني باستراتيجية [illegible] ٢٠/١١ وعدد
٣- [illegible] ضباط [illegible]
[illegible]
وكذلك [illegible] ولعل [illegible]
[illegible] بيانات [illegible]
وكذلك [illegible] الحماية [illegible]
[illegible] على [illegible] وجود [illegible]

(٩)

مصدراً للفضائح بين الجيش والحكومة بشأن الأسلحة ~~[illegible]~~

وقد أوهموا الأهالي ممن وجدوهم أنهم طليعة الفدائية وخصوصاً

أن بعضهم ينصب أفراد من استشهدوا في حوادث ١٩٥١

وبهذه المناسبة يمكن أن تحاول المخابرات جعل مثل هذه

التحركات محل شكوى على بينة من الأمر وهي لا تعرف أي هيئات

فدائية بعد دون الرجوع إلى الجهات المختصة

د -

هـ - يصل إلى قسم الإنجليز معلومات من مصادر مختلفة بعضها يكون من

[illegible] حيث اضطر للإيعاز لبعض الأفراد بالاتصال مباشرة بالمسئولين

تغطية لموقفي أو لأن البعض لا يعلم بوجودي أو لا يعترف بإعطائي

بيانات حتى إني تكون أو يطمع في مكافأة يعلم أني بوضعي الحالي لا

أتمكن من استغلالها وقد حصل ذلك ومع ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أ/ أو تكون محاولة الوصول إليها

يعمل الترتيب لكي تصلني

فأرجو أن ~~تسهم~~ هذه المعلومات أولاً بأول

و - مرفق مع هذا كشف بأسماء ورتب الضباط المسجونين من ١٦/١١/٠٠ إلى ٣٠/١١ وأسماء ~~[illegible]~~ بعض ضباط وزملائهم بالخلاف

ز - مرفق مع هذا عدد ٢

Manual of amm. — Pamphlet

Q.F. fixed amm. [illegible]

[illegible]

تقرير عن الحالة العامة للقوات البريطانية
١٢/١٢/١٩٥٢

حضرة السيد المحترم مدير إدارة المخابرات

~~الحالة المعنوية للقوات البريطانية [illegible]~~

الحالة المعنوية: إن دائماً الحالة المعنوية للقوات البريطانية بالقنال متدرجة
من سيئ إلى أسوأ ومن أوائل شهر نوفمبر أشاع المسئولين فيهم
أنه لن ينقضي وقت طويل حتى تبرم المعاهدة مع المصريين وبذلك سوف
تفك كل القيود التي طالما أقلقت وجودهم بلد. بل لقد أشاع بعضهم
أنه ستقام خلال إجازة عيد الميلاد رحلات إلى القاهرة والإسكندرية
والصعيد

ثم أخذت واقتربت إجازة عيد الميلاد ولم تبرم الاتفاقية وبالعكس
ازدادت القيود المفروضة على القوات البريطانية إما من جهة المصريين
أو من جهة القواد البريطانيين أنفسهم فازدادت الحالة المعنوية سوءاً
وازداد تمرد الأفراد المشاغبين من ذوي الحالة العصبية المتطرفة
وكثرة حوادث الانتحار.

لقد بلغ عدد الهاربين نسبة كبيرة في الشهر الماضي في رتب القوات الغير
البريطانية بعد أن كان هذا الجيش إنجليزي ... نسبة منه سوى ... من
المشتركين قد بلغت حوالي ٣٠ وهي نسبة كبيرة جداً لم تكن
تزيد من قبل عن حوالي ١٠ ... من عساكر جنسية (اثنا كبير)
ولكن تتغلب نزعة القيادة البريطانية على هذه الحالة ... تشغل
ازداد ... ٪ تعداد لعدد الأعوام من الفدائيين المصريين [illegible]

خلال اجازة اعياد الميلاد وغيرها من ذلك

أ. ~~شغل~~ فرصة التفكك من الحالة السيئة التي وصل اليها الجنود
ب. تعطي الدعوة السابقة الخاصة بزيارة الاماكن الحيوية للبلد
ج. اتاحة الوعي بين جنودهم بانه تنالهم انما هو رفع معنويات
د. الاستعداد فعلا خلال الاجازة التأكيد على الجودة والخبرة لدى اعمالات متوقعة من المصريين

وبالرغم من ان هذا الاجراء زاد القلق والخوف من قبل السلطات المصرية وبصفة خاصة لدى العاملين ولكن القواد الانجليز دائمي التأكيد بان الزيارة قد حسنت خطة الترفيه عن العسكريات بالمعسكرات

~~[illegible]~~

التموين

لعل مشكلة التموين من اهم مضايقات الافراد البريطانيين بالقنال ~~وخاصة~~
~~تكون الخضروات الطازجة [illegible] رغم انهم [illegible]~~
~~من قبرص ولبنان وتركيا~~ وبصفة خاصة الخضروات ~~الطازجة~~ والفواكه والبيض
الطازجة اذ كانت تكون معدومة رغم استيراد الجزء الاكبر من قبرص ولبنان وتركيا وكذلك بالطائرات كميات ضئيلة بالنسبة للعدد الكبير من الافراد وكان توزيعها يكون مقصورا على بعض العائلات والضباط —
وتعتمد الافراد في التغذية على الاكل المحفوظ وموجود منه كميات كبيرة وقد ونشر احيانا جزء كبير من الجنود بسبب نقص مواد اساسية في تغذيتهم.
اما الملابس والمهمات فقد حاول الناخ [illegible] انجلترا [illegible] ملابس (كالو جاكت) مصروف ١٥٫٠ [illegible] المثل الكل من يرغب في الشراء

ولكن المشروع فشل لأسباب كثيرة منها أن المحلات لم تأت [illegible]
[illegible] الطلب وعدم جودة الأصناف بل لقد كانت معظم الأصناف
[illegible] مهملة وغير صحية وقدمت شكاوى ضد النادي فأغلق المشروع
وقد نشرت الصحف الإنجليزية بالشكوى لعدم وجود [illegible]
وكانت مطلوبة لقوة الجنود

أما المشروبات الروحية فيوجد منها كميات كافية ولكنهم يفرضون
قيودا على توزيعها وقد لاحظ مراسلنا أنه حاول جنود الحلفاء
[illegible] جميعهم تقريبا أن يدخلوا النادي محطة طيران [illegible] ساحلية
[illegible] على [illegible] البحر وقامت معركة كبيرة بينهم وبين الجنود
الطليان [illegible] فيها [illegible] النادرة وأخذها بعدها [illegible]
[illegible] عدم السماح لجنود الحلفاء بدخول النادي

والملاحظ أنه كان من جراء الضغط على shopping center
والحكم عليهم أثر كبير جدا في [illegible] التجار [illegible] بل في تفكير
أكثرهم في تصفية أعمالهم وترك المنطقة نهائيا
وزاد على ذلك ~~[illegible]~~ تفكير الإنجليز في إدارة
جميع المحلات بمعرفتهم وفعلا تقوم الآن شركة Y.M.C.A. بمفاوضة
التجار لإدارة محلاتهم * كما [illegible] كثير من التجار القبارصة والمالطيين
~~[illegible]~~ للحلول محل المصريين [illegible] من مؤسسات التموين البريطانية
(وقد [illegible] أحد الضباط أنه لولا الأزمة [illegible] لما كانت [illegible]
مغادرة [illegible] (التر[illegible]) اللازم وليس هناك رأي [illegible]
[illegible] في ذلك الجيش الكندي وقد صرح لي أحد الجنود أنه لو

استمرت مقاطعة المصريين البيع لهم والتعامل معهم تحدياً للبلد وذلك كونه (... طريقاً ... بين الاشتار)
~~...~~ وقد تأكدت الآن أنه سيحصل قبل اجازة الميلاد ... ١٠٠٠ ضد ابواد تمويه من تركيا
الضبط والربط

النتيجة الطبيعية لحالة التذمر السائدة هي انخفاض مستوى
الضبط والربط بين الجنود وقد اصبح بعضهم لا يطيع الأوامر الصادرة
اليهم من ضباطهم والمشاجرات والحوادث العصيان في كل شيء وقت
الى ... (والدليل على ذلك زيادة نسبة المحاكمات العسكرية في الأشهر
الأخيرة) وقد حاولت القيادة البريطانية نصح الضباط والجنود كل
يوم أن يطمئنوا ويهدأوا وطالبت الضباط أن يكونوا أكثر لطفاً
في معاملة الجنود لكي لا يفقدوا روحهم العسكرية. ولكن الجنود لا يثقون
في ... وقد يكون ذلك بسبب كثرة الخدمات الليلية والإرهاق ~~...~~
ولما رأى المسؤولون انه ليس هناك أمل في معاملة الجنود
الذين اشتد بهم السخط واصبح السجن العسكري يزدحم بالجنود
المحكوم عليهم والعاصين وفي الوقت نفسه اصدرت القيادة بياناً للعساكر
تشرح لهم فيه ما يجب أن يفعله الجندي الذي يرى انه مظلوم من
رؤسائه أو من قائده واصبح من حق العسكري أن يتصل مباشرة بالقائد
الأعلى نفسه ولكن الذي حدث أن الضباط يعتبروا ذلك تحدياً لهم
وقدموا الجنود امام محاكم عسكرية وسجنهم من ٢٨ الى ٦٠ يوماً وبعدها
لاستعمالهم في المطابخ والمغاسل تحقيراً له
واكثر اسباب العصيان هي الخدمات الليلية الكثيرة ورغبة السائقين

في أعقابه ثلاثة حراس منهم [illegible] وإلا [illegible] بضربه بالدوار (٢)
ولم يغادروا المعسكرات فوفاة [illegible] عليهم في الطرقات .

الحالة السياسية

كان التعاسة السياسية بين الجنود [illegible] وتناقضت آراؤهم ومنها

١- ان تتشكل في [illegible] وليس يجاري أن ينهى حياة السياسة الملكية بالمواقف التي يعترف بالموافقة على الجلاء [illegible] ومنها تفقد الإيمان بالحرية كما تعنى الأمة البريطانية

٢- أن تتشكل رجل [illegible] في [illegible] ويعرف وأن سياسة ضعفاء وستجر الخراب على الثلاث الانجليزية [illegible] ؟

٣- ان تتشكل رجل حرب ولا نستقر له قرار الا إذا رأى الدماء وسنقودهم حتما الى الدمار

٤ - كل بلد يجب أن يحمي نفسه ويحمي ممتلكاته ولا داعي للبقاء رغم أنف أهالي البلد .

٥- [illegible] نقطة التوازن وتجردهم مثل تشهي مصالحهم وتبور تجارتهم .

٦- انجلترا الحالة بها سيئة جدا [حتى أن [illegible] مجندي الخدمة يرفضون التجنيب في حالة عودتهم الى انجلترا ولا يفضلون البقاء بعد وجودهم أن يذهبوا الى أي مكان ولو كينيا] وكل شيء في انجلترا يدخل في بطاقات التموين لعدم وجوده بحجة أنه يصدر الى القوات خارج انجلترا ولكنهم في الحقيقة يخدعون الشعب البريطاني لأن القوات هنا لا يصلها أي شيء

٧- لا يجمع الجميع على أن الرئيس [illegible] سالم . ولا نكره الانجليز ونتمله .

بمثل فاروق ~~[illegible]~~ لا يرى داعيا لمعاداة الانجليز ولكنه مضطر بحكم مركزه
الى التظاهر بكرههم والدعوة لقتالهم أما اعداء الانجليز فعلا
فهم البكباشي جمال عبد الناصر والصاغ صلاح سالم الذي يدعونه
(الصاغ الوزير الراقص)

٨ - يصرح الانجليز بأنهم على علم بأن [illegible] المصرية في قناة القنال لا [illegible]
الفدائيين بينهم بل أن بعض ~~[illegible]~~ ضباط المخابرات المصرية يتصل كثيرا وكثيرا بالجيش ~~[illegible]~~
ولا يعلم الانجليز الا الآن بأي شيء يقوم حول أحدهم

الهيئات المتطرفة

بلغني أن نشاط الهيئات المتطرفة (الشيوعية) في ازدياد ضد القوات
البريطانية وانهم يوزعون منشورات ويعقدون اجتماعات
ولكني لم أتأكد من هذا النشاط ولم أحصل على أي منشور وكل
ما أعرفه في هذا الموضوع هو [illegible] بعض الانجليز على أن [illegible] حتى
أن أحدهم صارحني بأن العلم الأمريكي لن يلبث أن يرتفع
الى جوار نجم جديد هو ولاية انجلترا!

~~وتفضلوا بقبول فائق الاحترام~~

وبصفة عامة فازدياد القوات البريطانية في خوف من الثوار والارهاب والموت
ولكنهم [illegible] لا يشكون من الأمر الا أن يقفوا موقفهم السلبي ~~[illegible]~~
بعيدا عن منشوراتهم الشخصية ورفاهية عائلاتهم ومستقبلهم

وتفضلوا [illegible]

[illegible]

وهكذا بانتهاء شهر رمضان كنت قد حققت بنجاح وبتوفيق من الله ما خططته كمرحلة أولى من دورى كرأس حربة فى خطة الثورة لا جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر مشاركاً زملاء لى كانت لهم أيضاً نجاحاتهم كل فى القطاع المكلف به .

١ - حوت ذاكرتى دون أى أوراق احتفظ بها وانتقلت إلى المخابرات العامة المصرية كروكيات تفصيلية بكل البيانات التى يهم المخابرات المصرية أن تطلع عليها تشمل كل صغيرة وكبيرة فى عدد كبير من معسكرات القوات البريطانية على جانبى طريق الإسماعيلية السويس على الضفة الغربية لقناة السويس .

(سرابيوم - أبو سلطان - فايد - فناره - كبريت - كسفريت - جنيفة - الشلّوفه) .

وتحدد البيانات والكروكيات بقدر الإمكان .

اسم الوحدة وأسماء قيادتها وارتباطها بتشكيل القوات البريطانية فى مصر - عدد قوات الوحدة وتقسيم هذا العدد على الرتب المختلفة والتخصصات المختلفة - تسليح الوحدة وأماكن تواجد الأسلحة وذخيرتها ونوعيات الأسلحة واعدادها ومدى التدريب عليها - نظام الحراسة وكفاءة الحراسة وأماكن الدشم وتصميمها ووسائل الحماية ومدى الروح المعنوية لدى الحراس وتيقظهم - مصادر المياه والكهرباء وأماكنها فى كل وحدة .

بيانات تفصيلية عن المرافق الرئيسية فى المنطقة كلها من شبكات ومحطات توزيع المياه والكهرباء وأماكن الخدمات الجماعية مثل المصايف ودور السينما والتجمعات التسويقية ومساكن العائلات .

٢ - تم استكمال شبكة المعلومات بصورة فعالة فى كل المعسكرات البريطانية من عدد من المصريين القادرين على ضخ المعلومات الصحيحة وتجديدها أولاً بأول .

٣ - بداية زرع عدد من المندوبين المكونين لباكورة شبكة العمليات فى بعض المعسكرات .

٤ - التعرف ومحاولة تجنيد بعض مفاتيح المعسكرات من غير المصريين وبصفة خاصة القبارصة والمالطيين وعدد محدود من شاويشية القوات البريطانية من الجزيرة البريطانية نفسها .

ولم يكن ليتم كل ذلك إن لم أنجح فى سياسة محاولة اكتساب ثقة مسئولى شركة انتركونتيننتال الذين تركوا لى حرية الحركة طالما يصلهم يومياً الإيراد الموعود وطالما لا أتسبب لهم فى مشاكل أمنية مع القوات البريطانية .

وبحمد الله ومع اتصالاتى المكثفة داخل المعسكرات فلم أتسبب فى أى مشكلة أمنية مع أمن القوات البريطانية فقد كان الغطاء الذى أعمل فى ستره كموزع للمياه الغازية مناسباً تماماً يسمح لى بالدخول الآمن لكل المعسكرات ويسمح لى بالاختلاط المشروع مع عدد كبير من المصريين العاملين فى كانتين كل وحدة وميس الضباط وميس صف ضباط بهذه الوحدة كما أن مرورى شبه اليومى على حراس وأمن هذه المعسكرات وطمعهم فى بعض زجاجات السينالكو المجانية كانت تزيد من تقاربى من هؤلاء الحراس واطمئنانهم من جهتى .

صحيح أنه فى أكثر من مرة ضبطونى أسير وسط المعسكرات بعيداً عن لورى السينالكو وبعيداً عن مراكز تسليم زجاجات السينالكو ولكنها جميعاً كانت تنتهى سلمياً بفضل معارفى من القبارصة والمصريين ممن لهم صلة وثيقة برجال الحرس وفى أسوأ الحالات خصوصاً فى المراحل الأولى كانت تنتهى بحبسى ساعة أو أكثر فى سجن الوحدة لتفتيشى واستجوابى ثم يتدخل الأصدقاء ولا يجدو من تفتيشى وسؤالى ما يخيفهم فيطلقون سراحى ولا بأس فى بعض الحالات من خبطة بدبشك البندقية فى جنبى أو ضربة يد خشِنة لم تترك جزءاً من وجهى أو جسمى إلا وزارتها لتذكيرى بدورهم وواجبهم فى الحراسة .

ولعله من المناسب أن أشير هنا إلى أنى لم أكن احتفظ فى غرفتى بالفندق أو فى ملابسى بأى أوراق أو مستندات أو رسومات تديننى تحوطاً لاحتمال تفتيشى بمعرفة رجال الأمن البريطانيين كما انى لم اكن ساذجا لاستبعد تفتيش الخواجة استماتيو لغرفتى من وقت لآخر .

الفترة الحرجة الوحيدة كانت فى مرحلة كتابة التقارير وعمل الرسومات من الذاكرة كل ليلة فى غرفتى بالفندق بعد تناولى افطار رمضان . وسحوره فى نفس الوقت . فى المطعم المجاور وعودتى متأخراً إلى غرفتى وكنت فى الصباح الباكر فى طريقى إلى مصنع السينالكو أحمل معى كل أوراقى ومستنداتى ليتسلمها منى مندوب من المخابرات مفروض أنى ألقاه بالصدفة وهو فى طريقه لمحطة الاسماعيلية القريبة من الفندق ليحمله القطار مباشرة للقاهرة ليسلم الأوراق لزميل آخر رحمة الله عليه اسمه أمين أحد أقرباء البكباشى حسن بلبل رئيس مجموعة العمل الخارجى فى المخابرات فى ذلك الوقت وكان يعمل سكرتيراً لجمعية الكشافة الجوية ومكانها فى إحدى عمارات شارع رمسيس القريبة من محطة مصر بالقاهرة (والد كل من اللواء شرطة حسن أمين وفاروق أمين) وكثيراً ما كان يسلمنى مندوب الاسماعيلية قصاصة صغيرة من الورق بها الاحتياجات والتكليفات المطلوبة منى فاحفظها فى ذاكرتى واعدم هذه الورقة قبل دخولى مصنع السينالكو بتقطيعها قطعا صغيرة جداً أوزعها على عدد من الأماكن .

ورغم محاولاتى الدائبة لاكتساب ثقة مسئولى شركة انتركونتيننتال فى فندق بسطا بالاسماعيلية إلا أن فظاظة وعصبية الخواجة ايفانجلى استماتيو كانت كثيراً ما تسبب لى انزعاجاً ومصادمات معه ، اضغط على نفسى كل الضغط لهضمها إلى أن طفح الكيل منه عندما أنهى أحد هذه المشاحنات بطردى من الفندق مصحوباً بشتمى بأقذع الشتائم مع إلقاء متعلقاتى فى الشارع .

لم أكن طرفاً مباشراً فيما سبب له كل هذا الانفعال .

ولكن لذلك قصة لا بأس من سردها .

كان الخواجة استماتيو كثير التودد إلى مدام مارى كونترفورس مما كان يثير غيرة زوجته ويتشاجر ثلاثهم أمام الجميع .

وفى يوم من الأيام كانت مدام مارى كونترفورس على موعد هام فى قيادة القوات البريطانية لإنهاء مصالح لشركة انتركنتيننتال تهم مدير الشركة فى الاسماعيلية الخواجة ايفانجلى فانتظرت السيارة الموعودة بها من القوات البريطانية ولما لم تحضر طلبت السيارة العتيقة المخصصة لها والتى يسوقها لها الأسطى صلاح المشاغب ولم يكن الأسطى صلاح موجودا أيضاً فقد خرج باللورى المخصص له مع الموزع المشارك له فى تسويق المياه الغازية وكنت بالصدفة موجوداً لخلل فى اللورى المكلف بقيادته وكان تحت الإصلاح فكلفنى الخواجة استماتيو بقيادة السيارة العتيقة لتوصيل مدام كونترفورس إلى قيادة القوات البريطانية .

وفى الطريق إلى قيادة القوات البريطانية فى فايد وانتهاجاً للسياسة التى حددتها لنفسى باكتساب ثقة مسئولى شركة انتركونتيننتال أشعرت مدام كونترفورس بكل الاحترام الذى كانت تفتقده من السائق المتعب الأسطى صلاح فكان أن اتفقت معى أن أكون سائقها الخاص كلما احتاجت إلى سائق وصادف ذلك قبولاً وترحيباً كبيرين منى فهذه فرصتى لدخول أماكن فى القوات البريطانية لا يسمح لى بارتيادها عن طريق الـ PASS الذى احمله .

ورغم عدم وجود PASS يسمح لى فى ذلك اليوم باجتياز بوابة قيادة القوات البريطانية إلا أن الحراس وكانوا يعرفونها حق المعرفة سمحوا لى بتوصيلها ثم العودة للانتظار خارج البوابة كما يحدث دائماً مع الأسطى صلاح المشاغب ولكنى فى طريق العودة الححت عليها لتستخرج لى هذا الـ PASS الخاص بالأماكن الحساسة .

لم يعجب ذلك الخواجة استماتيو ولكنها مع ذلك استخرجت لى هذا الـ PASS الذى جاءنى كنجدة لاستكشافى لكثير من المناطق الحساسة للقوات البريطانية فى كل زيارات مدام كونترفورس .

إلى أن كان مساء ذلك اليوم عند محاسبتى الخواجة استماتيو على الإيراد اليومى أن طلبت منى مدام كونترفورس ألا أذهب فى الصباح الباكر لمصنع السينالكو لأنها سوف تحتاج لى كسائق لسيارتها فى مأمورية فى القيادة (كنت عادة فى مثل هذه المأموريات أعود بالسيدة كونترفورس حوالى الظهر لأبدأ جولتى فى التوزيع بعد الظهر) .

وما أن سمع الخواجة استماتيو هذا التكليف حتى ثار ثورة عارمة لا أدرى لها سبباً وان قيل لى فيما بعد أن مدام استماتيو افتقدت زوجها فى نومه بجوارها بعد ظهر ذلك اليوم بعد الغذاء وكانوا معتادين على النوم بعد الغذاء ولما بحثت عنه وجدته فى الطريق أمام باب مدام كونترفورس فهاجت وماجت وظنت كل الظنون عن حق أو غير حق يعلم الله وكان عصرا أو مساءً مكفهراً على الجميع زاد من عصبية الخواجة ايفانجلى انتهى بطردى من الفندق .

وعدت مساء ذلك اليوم مكسور الجناح للقاهرة وتوجهت من فورى إلى الخواجة أرتين فى شارع ألفى الذى هدأ من روعى ورحب بى كل الترحيب واعتذر لى وطلب منى ألا أخبر أحداً (يقصد الصاغ عبد المجيد فريد) وأنه سيتولى الموضوع بنفسه وانتهزتها فرصة وأصررت على عدم العودة مرة ثانية إلى الفندق وإلى الخواجة استماتيو وطالبته بالضغط على الخواجة انجليدس لتنفيذ ما سبق أن طلبته منه ولم يهتم به .

كنت بعد أن أنهيت المرحلة الأولى بالساتر المناسب لها أعد نفسى للمرحلة الثانية وهى مرحلة العمليات وكانت هذه المرحلة تستلزم حرية حركة وتواجد مستمر ليلاً ونهاراً وسط المعسكرات وساتراً مناسباً للإعداد للعمليات وفكرت فى أن خير وضع يحقق كل ذلك هو أن يستأجر لى الخواجة انجليدس أحد المحلات فيما يسمى FAYED SHOPING CENTER وهو مجمع للمحلات التجارية التى تخدم عائلات القوات البريطانية داخل المعسكرات البريطانية فى منطقة فايد يسمح فيه للمدنيين المصريين باستئجار محال مختلفة فى هذا التجمع يبيعون فيها مختلف السلع التى تحتاج إليها العائلات البريطانية تحت إشراف وتفتيش القوات البريطانية واخترت أن يختص هذا المحل ببيع كل المهربات التموينية التى لا يوجد لها ترخيص وتحتاج إليها العائلات البريطانية وبصفة خاصة الأطفال مثل الشيكولاته والحلويات والمكسرات والبيض والجيلاتى ولعب الأطفال والهدايا وبصفة خاصة هدايا أعياد الميلاد والخردوات بصفة عامة على أن أكلف بإدارة هذا المحل على أن أقيم فى الجزء السكنى منه خلف المحل وكان هذا هو نظام فايد شوبنج سنتر مع تكفلى بتهريب البضاعة لو اشترى لى الخواجة انجليدس سيارة FAN مقفولة صغيرة أسوقها بنفسى واستخدمها فى التهريب .

كنت فى حاجة إلى تواجد مستمر وإقامة دائمة داخل المعسكرات وكنت فى حاجة إلى سيارة صغيرة مغطاة تنقلنى بسهولة إلى المعسكرات فى أى وقت بحجة توصيل المهربات إلى المحل وإلى داخل المعسكرات على مسئوليتى وفى الحقيقة احتاجها لنقل الأسلحة والمتفجرات ولأدخل بها المعسكرات بسهولة فى أى وقت دون الحاجة إلى لورى السينالكو ذا الجوانب العالية والمواعيد المحددة للتوزيع .

وأكدت للخواجة ارتين أن العائد لشركة انتركونتيننتال من هذا المشروع يزيد عن عائد توزيعى حمولة لورى سينالكو مهما كانت جوانب اللورى عالية نظراً لاستعداد البرّيطانيين المحرومين من مثل هذه المهربات إلى دفع مبالغ كبيرة للحصول عليها وأن مسئولية التهريب سأتحملها .

وكان الخواجة أرتين من الذكاء أن يعرف سلفاً أنه لن يكون هناك تهريب وانى سأحصل على ترخيص تموين بكل ما أريده يسمح لى باجتياز نقاط التفتيش التموينى المصرية وكان ذكاء أكبر منه أن أشعرنى فعلاً بأنى سأخدم شركة انتركونتيننتال أكثر بعملى كمهرب .

ودعانى للنوم عنده حتى الصباح حيث سيحضر الخواجة انجليدس وسيقنعه بتحقيق ذلك .

ولتأثير الخواجة ارتين على الخواجة انجليدس وبعد جلسة غير طويلة بينهما وحدهما استدعانى الخواجة انجليدس وكرر أسفه الشديد لتصرف الخواجة استماتيو وأخبرنى بموافقته على مشروعى وأنه سيكلف مدام كونترفورس بإعداد كل الترتيبات اللازمة فى فايد من إيجار المحل والإجراءات الأمنية وحصولى على التراخيص اللازمة وكلف أمامى الخواجة ارتين ليشترى سيارة فان مستعملة فى حالة جيدة وتسليمها لى وكلفنى بتدبير المشتريات بعد أن أعطانى دفعة مالية تكفى محلين لا محل واحد واهباً إياى الفرق مؤكداً أن الأيام أثبتت أمانتى وانى سأحصل على نسبة ٢٠ ٪ من أرباح المحل والباقى أسلمه من وقت لآخر للخواجة ارتين .

رب ضارة نافعة .

كنت غاية فى الاستياء من تصرف الخواجة استماتيو ولكن القدر عوضنى بسخاء كبير عما كنت أظنه موقفاً لنشاطى ومحبطاً لتنفيذ التكليفات المكلف بها .

خرجت من عند الخواجة ارتين متوجهاً فوراً للصاغ عبد المجيد فريد لأحيطه علماً بكل ما حدث وتدارسنا سوياً ومع الزملاء سعد عفره ومحمود عبد الناصر الخطوة التالية واستجابا لطلبى بتزويدى بمساعدين جدد هما الشاب ضياء حسنين والشاب إسماعيل مرزوق

كما أخطرانى بأن السيد عباس شوقى سيعود ثانية للمنطقة وتحت قيادتى وقد عرف موقعى تماماً وملتزم بتعليماتى .

بعد ذلك عدت لوالدى ووالدتى بعد فراق دام أكثر من شهر ونصف كانت صلتى بهما من وقت لآخر حديث تليفونى قصير يطمئنهم ولا يشفى غليلهم .

وكما تعودت منهما بكل الحنان وكل التقدير لم يلحا علىّ فى السؤال ولكنهما طالبانى فقط بأن أكثر من الاتصال بهما تليفونياً مؤكدين دعواتهما لى بالسلامة والنجاح وإن كانا لا يعرفان أين أنا وماذا أفعل .

يومان آخران قضيتهما فى القاهرة فى بلبلة حياتى وتصرفاتى المزدوجة حينا بشخصية الضابط محمد غانم وحينا آخر بشخصية العامل بالجيش البريطانى محمد صلاح أفندى كما كانوا يطلقون علىّ – وقد كانت هذه البلبلة أكثر قسوة من تصرفى ببساطة كاملة فى تقمص شخصية واحدة هى شخصية المستوظف فى خدمة الجيش البريطانى صلاح أفندى .

وباستلامى السيارة الفان الصغيرة المستعملة ولكن بحالة جيدة شددت الرحال مرة أخرى إلى موقعى الجديد فى قلب المعسكرات البريطانية فايد شوبنج سنتر . وبترتيب مسبق مررت فى طريقى إلى طريق الاسماعيلية الزراعى (وكان فى ذلك الوقت الطريق الوحيد للاسماعيلية) مررت على أحد معسكرات سلاح المهندسين المصرى لإملاء صندوق السيارة الفان ببعض الألغام ومستلزماتها والقنابل اليدوية ورشاشات البرن والمسدسات تمويلاً لشبكة العمليات المقرر أن تشملها المرحلة الثانية من خطتى – وبطبيعة الحال زودت بالمستندات التى تسمح لى باجتياز نقاط التفتيش المصرية على طريق الاسماعيلية كما تخيرت بعض الدروب الخلفية التى توصلنى بأمان بعيداً عن نقاط التفتيش البريطانية إلى قهوة المعلم الأمير فى فايد البلد القرية التى تخدم ويقيم بها المصريون العاملون فى القوات البريطانية والذين لا مجال لهم للإقامة فى المعسكرات .

كان المعلم الأمير (رحمه الله) هو صاحب ومعلم القهوة البلدى فى قرية فايد البلد المعروفة باسم قهوة المعلم الأمير وكان كعادة المعلمين شهماً ذو شخصية اخاذه قوية كله طيبة من الداخل مهما حاول أن يكسو مظهره الخارجى وقار وهيبة المعلمين وكان رحمة الله عليه من أوائل وخيرة قادة تنظيم إحدى فصائل شبكة العمليات التى كنت قد بدأت فى تشكيلها فى المرحلة الأولى . عرفنى عليه وزكاه لى بشدة عدد لا بأس به من أفراد شبكة المعلومات من المصريين العاملين بالقوات البريطانية التى استكملتها فى المرحلة الأولى . وكنت قد اتفقت معه من قبل على أن يجهز لى مجموعة من « الجدعان » الممكن الاعتماد

عليهم فى إثارة الفزع داخل المعسكرات على أن أعلمهم كيف يستخدمون المتفجرات والألغام بعد أن أكد لى أنهم جميعاً يجيدون استخدام الرشاشات وإلقاء القنابل .

لم يكن دخولى قهوة المعلم الأمير فى فايد البلد مفاجأة له أو لغيره من رواد القهوة فطالما كنت أمر على القهوة فى طريق عودتى اليومية من مشارف السويس بالزجاجات الفارغة من السينالكو « لأكسر » صيامى بعد موعد الإفطار بكوب شاى كان لى فى شربه والله فى تلك الأيام متعة ما بعدها متعة .

ولا حتى حمولة السيارة القّان من متفجرات وأسلحة كانت لتفاجىء المعلم الأمير الذى طلب منى بهدوء عندما أخبرته بهذه الحمولة أن نتركها كما هى فى السيارة حتى موعد تشطيب القهوة ثم ننقلها بأمان إلى مخابئه .

وحتى يبدو الأمر طبيعيا ألح على بصوت عال أمام زبائنه بأن أبيت معه ليلتى ووافقت بطبيعة الحال . وما أن أغلق عامله باب القهوة بخروج آخر الزبائن بعد منتصف الليل وبعد تناول العشاء حاول أن يكون فيه غاية فى الكرم بأصناف غاية فى الدسامة لم أتعودها ولكنى اضطررت لابتلاعها مخفياً تغصبى عليها تناولنا الشاى ثم بدأ طاقمه من الجدعان ينقلون المتفجرات والسلاح إلى حيث أشار لهم المعلم الأمير . وفى داخل القهوة المغلقة أبوابها قضيت والمعلم الأمير وجدعانه الوقت حتى صلاة الفجر فى تعليمهم تجهيز المتفجرات للانفجار وتوصيلاتها المختلفة وعوامل الأمان المطلوبة ونمت تلك الليلة أو بمعنى أصح تلك « الصباحية » وقد اطمأننت إلى أول فصيلة جدعان أفخر واطمئن إلى أن أقودها بنفسى كبداية لمرحلتى الثانية فى خطة مرحلة العمليات داخل المعسكرات البريطانية نفسها .

فى حوالى ظهر اليوم التالى كنت فى حضرة مدام مارى كونترفورس بالاسماعيلية التى كانت تنتظرنى لأقود لها السيارة المتهالكة مرة أخرى وأخيرة إلى قيادة القوات البريطانية لتتسلم وتسلمنى ترخيص استئجار واستغلال المحل فى فايد شوبينج سنتر وكذا الـ PASS الخاص بهذا التجمع الاقتصادى . ولما أخبرتها بأنى مضطر للاستعانة بمساعدين بائعين ومحاسبين فى المحل خصوصاً وأن تواجدى سيكون غالباً خارج المحل فى محاولات تهريب البضاعة ، وأعطيتها اسمى ضياء حسنين وإسماعيل مرزوق أخطرت المسئول البريطانى بذلك وحصلت على موافقته المبدئية تمهيداً لتسليمى مندوبه فى التجمع الاقتصادى صور وبيانات كلاً من السيد ضياء حسنين والسيد إسماعيل مرزوق وسيصدر لهما الـ PASS بعد التأكد من أنه ليس هناك ما يمنع ذلك أمنياً .

Name Mohamed Ahmed Salah
Nationality Egyptian
Age 29 years.
Nature of Employment Grocer Grocery
90 N. G. Contrafouris
Height 5'6" Colour of Eyes Gray
Colour of Hair Chesnut
Distinguishing marks if any
Nil
Employing Unit S. S. O. Fayed
Area in which employed Fayed
Date of issue 30-5-53

Signature of holder M. Salah

Permit Officer
British Troops in Egypt

إحدى تصاريح العمل داخل ثكنات القوات البريطانية لمحمد صلاح كعامل
في محل بقالة في فايد تملكه مدام كونترفورس.

Pass sent for restamping

TEMPORARY PASS.

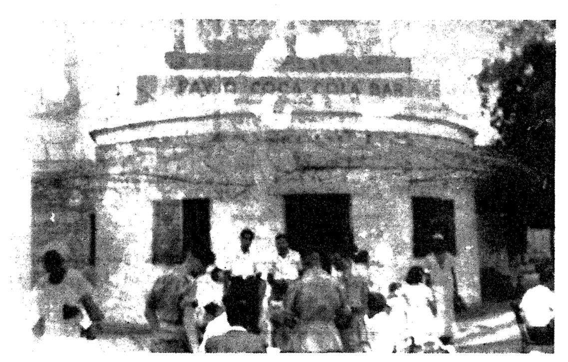
FULL NAME (In BLOCK Letters) Mohamed Ahmed Salah
No. of Pass
Nationality Egyptian
Valid from 29-7-53 to 5-8-53
Nature of Employment Salesman
Maximum period of validity is 7 DAYS.
Age 29 yrs Eyes : Brown/ Grey
Signature or right thumb print of employee.
Hair : Black/ Chesnut Height 5'6"
Moustache/Beard/Clean Shaven.
Special Marks
Bearer may enter Fayid - Moascar
UNIT Stamp
Unit or establishment where employed :
Signature of employing Officer
CAPTAIN,
S.S.O. H.Q. FAYID GARRISON.
PS/8104/GHQP MEF/ 27/100/...-53/81-32

تصريح دخول المعسكرات في المنطقة من فايد إلى المعسكر (يقصدون معسكر الاسماعيلية)
لمحمد أحمد صلاح

TEMPORARY PASS.

FULL NAME (In BLOCK Letters) MOHD AHMED SALAH
No. of Pass
Nationality Egyptian
1 DEC 53 to 2 Dec 53.
Nature of Employment
Maximum period of validity is 7 DAYS.
Age
Eyes : Brown
Signature or right thumb print of employee.
Hair : Black/
Height 5'7"
Moustache/Beard/Clean Shaven.
Special Marks
Bearer may enter Fayid Shopping
Unit or establishment where employed : Centre.
UNIT Stamp
Signature of employing Officer
Shopping CENTRE.

تصريح دخول FAMILY SHOPING CENTER باسم محمد صلاح



فايد كوكا كولا بار فى فايد شوبينج سنتر المحل الذى كان مركزا هاما من مراكز مقاومة الوجود العسكرى البريطانى فى منطقة قناة السويس والذى كان تحت إدارتى



محمد صلاح يشرح أحد الخطط الهجومية لبعض الفدائيين

بعد أن ساعدتنى مدام كونتر فورس على استلام عقد استغلال المحل فى شوبنج سنتر فايد وبعد حصولى على الـ PASS الخاص بهذه المنطقة الحساسة عدت مرة أخرى إلى قهوة المعلم الأمير لأدرب مجموعة أخرى من فدائى مجموعة المعلم الأمير .

وبعد ليلة لم أشعر أنها انتهت حيث ظللت مستيقظاً حتى سمعت آذان الفجر من المسجد القريب من قهوة المعلم الأمير ، ومازلت على الأرض فى القهوة المغلق أبوابها علينا ومعى المعلم الأمير وعدد جديد من رجالته أعلمهم التفجير وأؤكد عليهم إجراءات الأمن وإجراءات توقيت التفجير .

وبعد صلاة الفجر أخذت قسطاً من النوم حتى قبيل الظهر وشددت الرحال بالسيارة الفان إلى مكان الشوبنج سنتر الذى دخلت أسواره للمرة الأولى مستعيناً بالباص الذى استخرجته لى مدام كونترفورس وعملا أيضا بتوجيهاتها سألت عن إدارة الشوبنج سنتر ولم يكن أكثر من كشك متواضع به صول قبرصى واثنان من الكتبة المصريين قادنى احدهم إلى مكان المحل المدفوع إيجاره لحساب شركة انتركونتيننتال وسلمنى إياه فاركاً يديه مهنئاً أو بمعنى أكثر إيحاءاً بطلب البقشيش واشترطت عليه كى أعطيه بقشيشاً أن يحضر لى عامل نظافة .

كان المحل مناسباً جداً لما كنت أخطط له وهو عبارة عن صالة أرضية دائرية كبيرة تعتبر من أكبر مساحات المحلات فى فايد شوبنج سنتر يعلوها اعلان كبير للكوكا كولا ويافطة فضلت أن تبقى كما هى مكتوب عليها FAYID COCA COLA BAR .

وأسعدنى أكثر وجود ملحق خلف المحل مهيأ لمبيت وراحة مدير المحل ومؤثث باثاث متواضع لا بأس به مع دورة مياه ليست قذرة كل القذارة ولكنها أيضاً ليست نظيفة كل النظافة .

ومن حسن الحظ كان المحل جاهزاً للاستخدام الفورى برفوفه ومكتب الإدارة وحتى بثلاجة المرطبات .

وما ان اطمأننت إلى أن هذا المحل هو قمة ما كنت أتمناه مع السيارة الفان للمرحلة التالية تركت المحل لعامل النظافة الذى أحضره لى كاتب الإدارة لتنظيفه استعداداً لملئه بالبضاعة التى كان على أن أسارع إلى مدينة الاسماعيلية لشرائها والحصول على تصريح تموينى لاجتيازها الكردون التموينى المحاصر للقوات البريطانية فى منطقة القنال .

وقبل غروب الشمس كان المحل يزهو بما احضرته له من بضاعة مياه غازية أنواع مختلفة وحلويات وشيكولاته وبسكويت من جميع الأصناف ولب وفول سودانى وبيض وجيلاتى وأدوات مكتبية بأنواعها المختلفة وبعض لعب الأطفال وبعض الهدايا المناسبة لجميع الأعمار .

وعندما أقول يزهو فإني أعنى فعلاً ذلك لأنه كما بلغنى فيما بعد أن ترنح هذا المحل مع مستأجره السابق لعدم إمكانه الحصول على تصاريح تموينية ولعدم قدرته على التهريب .

ولم أكن أتصور أن ما أحضرته من بضاعة سيكون لها هذا الصدى وهذه المفاجأة ليس فقط لدى العائلات البريطانية المفتقدة تماماً لكل ما زهى به المحل نتيجة الضغوط التموينية من السلطات المصرية على كل ما تسمح به لاجتياز الكردون التمويني وإنما أيضاً لدى المصريين العاملين فى خدمة القوات البريطانية وبصفة خاصة فى محلات فايد شوبنج سنتر وأغلبهم إن لم يكن كلهم فى القائمة السوداء لدى السلطات المصرية ولا يستطيع أكثرهم أن يتجاوز حدود أجهزة الأمن البريطاني وإلا قبضت عليه السلطات المصرية . ولأن أكثر ما أحضرته كان يعتبر فى حكم الممنوعات ولأن أحدهم لم يكن ليتصور أنى أحصل على تصريح تموين رسمى لإدخال مثل هذه البضاعة للمنطقة البريطانية داخل الكردون التأمينى فقد تأكد لديهم أنى مهرب كبير وأنى واصل مما جعل لى مركزا مرموقا فى الشوبنج سنتر من اليوم الأول لوجودى فيه وقد تعمدت أن أعزز هذا الفكر بما أحضره باستمرار من بضائع يتهافت عليها الإنجليز والمصريون .

ويبدو أن السمعة التى خلعوها علىّ وخلعتها على نفسى بأنى مهرب كبير قد وصلت إلى الجانب الآخر فبعد ثلاثة أيام وأنا فى طريقى إلى فايد أقود السيارة الفان مليئة بالبضائع المُتصور أنها مهربة فوجئت بكمين تموينى مصرى يضبطنى متلبساً بالجرم وقد لمحت من بينهم بعضاً ممن أعرفهم فى الشوبنج سنتر لهذا فضلت ألا أظهر تصريح سلطات التموين المصرية تأكيداً على أنى مهرب وحتى ينقل هذا الشخص لمجتمع الشوبنج سنتر أنى مهرب وانه تم القبض على .

ساقونى بعد الكثير من الإهانة إلى مكتب المخابرات العامة المصرية فى مدينة الاسماعيلية حيث كانت إدارة المخابرات العامة المصرية تقود كل التصرفات فى منطقة القوات البريطانية على ضفاف قنال السويس وهى المختصة بإصدار تراخيص التموين وإحكام الكردون التموينى والكردون الأمنى .

استقبلنى اليوزباشى سمير غانم أحد ضباط مكتب مخابرات الاسماعيلية فى ذلك الوقت الاستقبال الغير كريم الذى يستحقه مهرب يخون وطنه ويخدم أعداء الوطن وأمر أحد الشاويشية بإيداعى سجن المكتب وشكر أفراد الكمين على يقظتهم ووطنيتهم وأمرهم بالإنصراف حيث ستتولى إدارة المخابرات تأديب هذا الخائن .

وبانصرافهم استدعانى وضحكنا كثيراً وتركنى أعود لأكمل مأموريتى .

(بالمناسبة اليوزباشى سمير غانم ليس قريباً لى وإن صادف تشابه اللقب ولكنه زميل كفاح عزيز) .

وفى نفس ذلك اليوم وبعد موعد إغلاق محلات الشوبنج سنتر وكانت بالأمر تغلق جميعها فى موعد محدد كإجراء أمنى توجهت إلى قهوة المعلم الأمير فقد كانت تلك الليلة موعدنا لننفذ سوياً أول عملية مباشرة لى فى المنطقة .

كانت تلك الليلة إحدى المناسبات التى يحتفل بها الإنجليز وكنا نعلم أن كل الميسات فى المنطقة ستحتفل هذه الليلة بتلك المناسبة بسهرات راقصة يشترك فيها كل عائلات المنطقة .

وكان التدبير أن ننسف كشك توزيع الكهرباء الذى يغذى المنطقة بالكهرباء بما فى ذلك العديد من الميسات وننتهز فرصة الهرج الذى سيحدث بإطلاق عدد من خزائن البرن بقصد المزيد من الإزعاج والتخويف لا بقصد الإصابة .

ومنذ العاشرة مساء كان أمام قهوة المعلم الأمير سيارة (بك اب) ذا صندوق مغطى منزوع عنه لوحة رقم السيارة .

حملنا الصندوق بالمتفجرات والأسلاك وكل ما يلزم العملية بعد أن أتممنا التوصيلات المبدئية وركبت بجوار السائق وركب المعلم الأمير ومن سيساعدون فى عملية التفجير فى صندوق (البك اب) ووصلنا بلا أى معوق إلى مكان كشك توزيع الكهرباء وكان خارج المعسكرات وبلا حراسة إلا الدوريات السيارة التى لم نصادفها لأننا استكشفنا الموقع جيداً من قبل وعرفنا موعد مرور هذه الدوريات .

وفى دقائق كان الكشك محاطا بالألغام وأسلاك التفجير وابتعدنا فى هدوء عن مكان الإنفجار وما هى إلا خمس دقائق وانفجرت الألغام مفجرة معها كشك الكهرباء .

بعدها سمعنا طلقات الرشاشات البرن من أكثر من مصدر ثم سكتت أصوات الانفجار وأصوات طلقات الرصاص لتمتلىء المنطقة بصفارات الإنذار وسيارات الأمن والإسعاف البريطانية متجهة فى كل الاتجاهات .

نجحت مساهمتى الأولى المباشرة فى حرب التحرير مشاركة مع آخرين فى خطة الثورة لإخراج العدو الغاصب عن أرضنا بعد احتلال مقيت تجاوز السبعين عاما . العملية الأولى التى خططت لها واعددتها ودربت عليها ثم شاركت فيها بنفسى والمفروض انها بداية للكثير مثلها وأشد منها ولعل الأكثر نجاحاً فى تقديرى كان الاستيعاب الكامل لتدريباتى وتعليماتى من المجموعة التى كانت هذه أول مرة لها تزاول مثل هذا العمل .

ورغم هذا النجاح لم أشعر بيني وبين نفسي بمظاهر الرضا والاعتزاز مثلما بدا ذلك واضحا على أفراد المجموعة وبصفة خاصة المعلم الأمير الذى للمرة الأولى أراه يكاد يفقد رزانة معلمته ويكاد يصيح من الفرح والابتهاج ويقبل رجّالته ويتصرف تصرف الطفل الذى نال مناه وقد اوعزت هذا الشعور الغامض منى وأنا فى البك أب فى طريق عودتنا للقهوة بانه قلق على باقى أفراد المجموعة حاملى الرشاشات البرن وخشيتى عليهم إذ المفروض أن لهم طريق عودة آخر ولم نعرف بعد ماذا حدث لهم .

ولكن هذا القلق استمر رغم تأكدى من عودة الجميع سالمين موفقين يحكون لى ولزملائهم مظاهر الفزع والهلع التى أصابت أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم الذين فاجأتهم الضربة فقلبت صخبهم من النشوة والبهجة إلى صراخ من الخوف والانزعاج .

كان هذا هو الهدف المطلوب وإحقاقاً للحق داخلنى شعور بالندم الشديد حتى انى لم أشارك المجموعة فرحتهم وهم يحتفلون بنجاحهم بتناول الشاى داخل القهوة المغلقة والكل يتسابق فى الحديث عن دوره فى العملية واستأذنت متوجهاً إلى الكنبة فى الغرفة المتواضعة التى تعودت أن أنام عليها كلما كنت فى ضيافة المعلم الأمير ومازال القلق يساورنى .

لم يكن من الصعب أن أفسر هذا القلق بشىء من تأنيب الضمير .

كيف تسمح لى نفسى - وهى بطبيعتها ليست نفساً شريرة - أن أدبر وأشارك فى عمليات مهما كان مبررها فهى عمليات قتل وإزهاق أرواح ؛

ماذا فعل لى هؤلاء الجنود وعائلاتهم حتى أشارك فى قتلهم أو على الأقل إخافتهم وإزعاجهم .

صحيح كونى ضابط جيش يعنى تماماً أنى مقاتل محترف تهيئنى أمتى كما تهىء كل الأمم على مر كل العصور حتى فى عهد النبوة قواتها ومقاتليها كى تشارك فى الذود عن حرمة الوطن وعرض وكرامة ومصالح مواطنيه قاتلاً أو مقتولاً فى حروب لم تنتهى ولن تنتهى إلى يوم القيامة .

لقد بلغ من شرعية هذا التصرف أن وعد الله عباده الشهداء فى مثل هذه الحروب بالجنة وهذه أعلى مراتب التقدير الربانى وهذا يعنى أن شريعة السماء وهى أعدل شريعة تقر القتال فى سبيل الوطن بل وتمجده طالما أنه دفاعا مشروعا عن أهل البلد وليس اغتيالاً لصالح رأى أو لصالح جماعة مهما كان المبرر لهذا الرأى وهذه الجماعة .

وبدأ هذا التفسير يزيح الغمة عن قلبى متذكراً انى قاتلت من قبل فى أرض فلسطين وأبليت بلاء مشرفاً مازلت أفخر به وأفخر بما نالنى عنه من تكريم .

ولم يداخلنى هذا الشعور الغامض النادم أبداً وأنا أقاتل فى فلسطين ليقينى من أنى أقاتل للوطن ولجموع المواطنين وليس لصالح هوى شخصى أو منفعة شخصية أو لصالح فرد أو جماعة مهمى كان انتمائى وتقديرى لهذا الفرد وهذه الجماعة .

واقنعت نفسى أن الوضع هنا لا يختلف أبدا عن الوضع فى فلسطين بل لعل الأكثر استحقاقاً لقتالنا وجود عدو غريب عنا جاثم على أرضنا بلا حق ليس منا وليس من ملتنا ولم نفعل له شيئاً يغضبه ولكنه يحقق مصالحه على حسابنا ويمتص دماءنا لصالحه .

انها حرب تحرير بعد سبعين عاما من المهانة وقد راودنى فى صراعى النفسى مع نفسى تلك الليلة ذكريات اليمة عن مساخر أفراد القوات البريطانية فى بلادنا خصوصاً ما عاصرته بنفسى خلال الحرب العالمية الثانية من اختطاف لسيداتنا وبناتنا من الشوارع وانتهاك أعراضهن وتجسد أمامى فى رقدتى والدى الوقور رحمة الله عليه وقد عاد يوماً من صلاة العشاء فى الجامع المفضل عنده وفاجأه عدد من السكارى الإنجليز وخطفوا طربوشه وتبادلوا لعب الكرة بالطربوش والوالد فى فزع من أن يتمادوا أكثر من ذلك ولكن الله سلم فعاد والإنزعاج والحسرة يقبضان على صدره .

نعم انها حرب تحرير ومن حقنا أن ندافع عن أنفسنا ونطرد هذا الضيف الثقيل ومن حقنا أن نستخدم فى سبيل ذلك كل ما نقدر عليه وليس العيب عيبنا اننا نقاتل للاستقلال وللتحرير وحتى إن كان من نقاتلهم ليسوا واضعى سياسة الاحتلال ولكنهم منفذوه فإن كان ما نفعله معهم لا يروقهم فمسئوليتهم أن يفرضوا على حكومتهم أن تمنح الآخرين حريتهم واستقلالهم بدلاً من أن تحتل هى الدول الأخرى لتحمى بأنانية حريتها واستقلالها .

ارتحت .. ارتحت تماماً وعادت لى قناعتى ورضائى بأنى على الطريق السليم وأنى مع الآخرين يجب أن نكثف عمليات الإزعاج حتى يرحل المستعمر إن كانت هذه هى الطريقة الوحيدة الموصلة إلى الحرية والاستقلال .

ارتحت تماماً وشعرت عن يقين وقناعة أنه ليس من حقنا الندم أن اتخذنا الإجراء المناسب لمحاولة طرد مغتصب آثم ترك بلاده باختياره ليحتل بلادنا بلا مبرر ودون أن نبادئه العدوان محطماً كبريائنا متنكراً لحقوقنا مشاركاً دون رغبتنا فى أرزاقنا سبعون عاما وأكثر لم ينفع فيها المحاولات المستمرة للاتفاق معه بالحسنى على الرحيل عنا – وعلى العكس قد نستحق اللوم والندم لو تقاعس القادرون منا عن أن يقوموا بما يفرضه عليهم حق الوطن والمواطنين وتدعو إليه وتباركه كل الشرائع السماوية وهكذا تحول قلقى وندمى إلى قوة دفع لا تعرف التقاعس عن الدفاع عن بلدنا وعرضنا .

كان تركيز استخدامى للمحل فى فايد شوبنج سنتر هو بداية المرحلة الثانية التى خططتها لنفسى من قبل والتى سميتها مرحلة العمليات والتى ما كان بالمستطاع تحقيقها قبل استكمال المرحلة الأولى مرحلة تدعيم شبكة المعلومات من المصريين العاملين داخل الكامبات البريطانية وانتقاء المناسب من أفرادها لبدء تكوين شبكة العمليات التى أديرها مباشرة والتى تعمل من مواقعها داخل المعسكرات البريطانية بالإضافة إلى شبكات عمليات أخرى ساعدنى فى تشكيلها مفاتيح لها قدراتها فى المنطقة أذكر منهم شبكة المعلم الأمير صاحب قهوة المعلم الأمير فى فايد البلد وشبكة عبد العال بدوى (عليه رحمة الله) وهو صاحب مكتب بيع وشراء سيارات مستعملة فى المنطقة ومن كبار المتعاملين فى متعلقات الجيش الانجليزى وغيرها هذا بخلاف الشبكة المحترفة شبكة الأشرار التسعة التى يرأسها محمود الكنج .

ولعلها مناسبة لا يحب أن تفوتنى الإشادة كل الإشادة بوطنية وحماس وتجاوب والتزام كل من عملت معهم فى هذه الفترة وبصفة خاصة محمود الكنج ورجالته والمعلم الأمير والمواطن المتعدد الكفاءات عبد العال بدوى ورجالهم .

ان القليلين من يعرفونهم ولكن التاريخ الحديث لمصر لن ينكر أبدا ما قاموا به فى معركة التحرير .

فقد كبت الأشرار عصابة محمود الكنج وأشراره التسعة ميولهم الشرانية واستخدموها بالكامل فى تنفيذ ما يصدر إليهم من تعليمات ولم يتجاوزوا أبدا هذه التعليمات ولو تعارضت مع ما جبلوا عليه وتعودوه أو تعارضت حتى مع مصالحهم المادية إذ يكفى التزامهم الكامل بوقف العمليات عندما تصدر إليهم التعليمات بذلك تمشيا مع توجيهات القاهرة من وقت لآخر على ضوء تجاوب الجانب البريطانى فى المفاوضات مضحين بما تعودوا أن يحصلوا عليه من مغانم كلما سمحنا لهم بالعمليات .

عندما تصدر لهم التعليمات بالعمليات يصبحوا كالشياطين المردة لا يعوقهم ولا تخيفهم كل أسلحة الجيش البريطانى وترسانته ولا يردهم عن تنفيذ المطلوب منهم كل الإجراءات الأمنية البريطانية مهما كان تعددها وارتفاع درجة فعاليتها – كنت أستعين بهم فى المهام الشاقة التى تحتاج إلى محترفين أشرار يعرفون بخبرتهم وحسهم الذاتى بدون أى توجيه أو تدريب كيف يتصرفون فى المواقف الصعبة سواء نفذ العملية فرد وحده أو عدد من الأفراد أو الجماعة كلها – ومن العمليات التى تخصصوا فيها العمليات المقصود منها منتهى الإزعاج للوجود البريطانى على أرض مصر مثل الهجوم القتالى المركز على بعض الأهداف أو عمل بعض الكمائن لأهداف من المعدات أو الأفراد ذوى الحجم الثقيل والأهمية العظمى والمحروسة حراسة خاصة مكثفة . وهذه عمليات كانوا غالباً ما يقومون

بها وحدهم بعدما أحددها لهم ونشترك سوياً فى التخطيط لها وقليلاً ما كنت أشارك فيها بنفسى فقد كنت مطمئناً لحسن تنفيذهم وأهليتهم لما خططنا له – أما العمليات التى كان لا بد وأن أشاركهم فيها فقد كانت عمليات تدبير تموين احتياجات القوات المسلحة المصرية من مخازن الجيش البريطانى . وقد نجحت هذه العمليات واتسعت وحققت أكثر مما كان مقدرا لها . وكانت بطبيعتها لابد من مشاركتى لهم فيها لأدلهم بخبرتى العسكرية على ما نحتاج إليه .

كان تسليح القوات المصرية من جيش وطيران وبحرية فى تلك المرحلة كله بريطانيا قبل توقيع عقد الصفقة التشيكية المشهورة عام ١٩٥٥ بإعادة تسليح القوات المسلحة المصرية بالأسلحة والمعدات الروسية وبداية وصول هذه المعدات وتمام تدريب القوات المصرية عليها – ولما كانت العلاقة فى ذلك الوقت غير طيبة بين الثورة والإنجليز حيث كان أحد الأهداف الرئيسية للثورة إجلاء القوات البريطانية عن مصر والقضاء على النفوذ السياسى لهم على مصر كما لم يغيب على الإنجليز إمكانية تأثير الثورة المصرية معنوياً على الامبراطورية البريطانية التى لم تكن يغرب عنها الشمس فى تلك الأيام . هذه المخاوف التى تحققت فعلا فيما بعد وانحلت هذه الامبراطورية وغربت عنها الشمس بتأثير لا ينكر من ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر بجانب أسباب ومبررات أخرى لا يمكن أيضاً إنكارها .

ونتيجة لهذه الحساسيات تلكأت بريطانيا فى الاستجابة لطلبات التسليح التى تطلبها مصر من بريطانيا مما ألجأ مصر بكل السبل لتدارك أهم ما ينقصها من تسليح .

كانت عمليات تموين بعض احتياجات القوات المسلحة المصرية من مخازن الجيش البريطانى بالنسبة لى تبدأ بتكليف يصلنى من القاهرة ببعض نواقص لها أهميتها تحتاج إليها القوات المسلحة المصرية أذكر منها إبر ضرب نار المدافع ٢٥ رطل وأذكر منها مواتير الطائرة النفاثة فانبير وأذكر منها ذخيرة بعض المدافع الثقيلة المضادة للطائرات والمدافع الساحلية وبعض مواسير وقطع غيار المدافع المختلفة بالإضافة إلى كل ما يمكن أن تصل إليه أيدينا دون تكليف من القاهرة من أسلحة وقطع غيارها ومدافع هاون وخلافه – وطبعاً الاحتياج إلى مثل هذه النواقص المكلفين بها لم تكن الحاجة إليها بأحجام كبيرة ولكنها كانت احتياجات ملحة بذلنا جهداً كبيراً للتعرف أولا على أماكن تخزينها ثم بذلنا جهدا مركزا مع أمناء المخازن المعنية وأكثرهم قبرصيون لتدبير الوصول إلى ما نحتاج إليه ثم بعد ذلك يتم التخطيط للعملية وتنفيذها .

ولعل هذه العمليات بالذات كانت أهم ما يسعد عصابة الأشرار التسعة القيام به لما يجنون من وراءها من أرباح فقد كان اتفاقى معهم أن يتولوا تنفيذ الوصول للمخازن وأنا معهم لأدلهم فى عجالة عن المعدات العسكرية التى أريدها يتولون نقلها بسرعة إلى خارج

سور المعسكر من نفس الطريق الذى دخلنا فيه ثم أسمح لهم خلال دقائق أخرى بأن ينقلوا لصالحهم كل ما يريدون من المخزن وتتولى سيارات خفر السواحل بتدبير مسبق نقل المعدات العسكرية ومتعلقات القوات البريطانية الأخرى التى اختارتها العصابة إلى بر الأمان فى بلبيس أو التل الكبير خلال دروب وممرات سرية تعلمتها قوات خفر السواحل من مطاردتها لعصابات تهريب المخدرات عبر صحراء محافظة الشرقية وهناك تنقل سيارات القوات المسلحة ما يخصها ويتم تسليم المتعلقات البريطانية الأخرى إلى مندوب عصابة الأشرار .

والمخضرمون ممن عاصروا الخمسينات مازالوا يذكرون متعلقات الجيش البريطانى التى كانت تملأ الأسواق بأسعار رخيصة من بطاطين وسكاكين وشوك وملاعق وأطباق صينى وأطقم شاى وقهوة صينى وشرابات حريمى نايلون وأصابع الروج وأدوات التجميل وخلافه . ولما كان الشيء بالشيء يذكر لبعض ما لا يمكن نسيانه فى هذا الخصوص فقد نجحنا يوما فى الحصول على موتورين كاملين من مواتير الطائرة النفاثة البريطانية فانبير التى كان يتسلح بها سلاح الجو المصرى فى الخمسينيات رغم وزنهم الثقيل وأذكر أيضا أنه فى إحدى المرات استكبرت العصابة صندوقين كبيرين على أمل أن يحققا لهم أكبر نفع مادى وعندما فتحاهما فى التل الكبير فوجئوا بأنهما للأسف صناديق موتى محفوظ فيهما جثتى ضابط وجندى بريطانى معدان لشحنهما للوطن وقد أمرت بإعادتهما مرة أخرى حيث تركتهما العصابة فى الليلة التالية مباشرة بجانب سور المعسكر الذى كانا به .

هذه كانت المهام المكلف بها من وقت لآخر عصابة الأشرار التسعة وكانت تقوم بالمهام الصعبة .

أما باقى الشبكات فقد كانت قدرات هذه الشبكات وإمكانياتها البشرية والتدريبية والمكانية تفرض حجم نجاح الاستفادة منها . فمثلا شبكات الهواة التى نظمتها من العاملين داخل المعسكرات فقد كانت قدراتها محدودة وخبراتها الإزعاجية أيضا محدودة وكان أكثر استخدامها فى عمليات فردية داخل المعسكر نفسه وأقصاها وضع لغم مزود بساعة تفجير سبق ضبطها له فى أحد الأماكن ذات الأهمية الخاصة ولكن هذه الشبكة الداخلية كان نجاحها مذهلاً فى حرب المنشورات التى سيأتى ذكرها فيما بعد كما كان لهذه الشبكة دور وإن كان ثانوى فى إنجاح مهمة عصابة الأشرار إلا أنه كان جوهريا ، خاصة فى التعرف على أماكن المعدات العسكرية المطلوبة والتوسط فى الاتفاق مع أمناء المخازن ورؤساء دوريات الحراسة والمساعدة فى تحديد أسلم طريق للوصول إلى المخزن المعنى ثم بعد ذلك التمويه

على أجهزة الأمن البريطانية بعد اكتشاف العملية بادعاءات متناقضة تخلق البلبلة وتذكى إشاعة وجود أرواح شريرة هى التى تتولى وتدبر ما تشكو منه أجهزة الأمن البريطانية من اختراق .

ويأتى بعد ذلك شبكات انصاف الهواة انصاف المحترفين وهم بالذات شبكات المعلم الأمير ومتعدد الكفاءات عبد العال بدوى وكان أكثرهم من صغار الهبيشة أو من جيش من لا عمل له ، أو له عمل متواضع ومستعد أن يؤجر على أى عمل يعود عليه بالنفع المادى واشهد الله وكلهم مرتزقة انهم لم يشعرونى أبدا بأنهم ينفذون ما أطلبه منهم طمعا فى مال بل كان حماسهم الوطنى يزيدنى إعجابا وتقديرا لهم ولا أذكر أبدا أن جادلنى واحد منهم فيم أقدره له من مكافأة أعرف أنها أصبحت مصدره الوحيد فى الحياة ولم يستحثنى أبدا واحد منهم كى أكلفه بعمل يتكسب منه بل كانوا جميعا ينتظرون تكليفاتى لهم حسبما أقرر .

وقد دربت هؤلاء على عمليات التفجير وما يلزمها من توصيلات وإجراءات أمن وتوقيت انفجار وكانوا يعملون كجماعات فى مهام يكلفوا بها أشارك فى بعضها ولا أشارك فى البعض الآخر وقد أحسن التحفظ على الألغام ومعدات وأسلاك وساعات التفجير كلا من المعلم الأمير والمناضل عبد العال بدوى وكنت أحصل بانتظام على ما نريد من هذه المتفجرات من أحد معسكرات الجيش المصرى على طريق مصر الاسماعيلية كما كانا يدبران لى أماكن التدريب وأماكن الإعداد للعملية بكل الحرص والأمان .

ورغم أننا كنا مازلنا فى المرحلة الثانية وهى مرحلة العمليات إلا أنى تجهيزا للمرحلة الثالثة وهى مرحلة حرب العصابات بدأت فى اختيار بعض الأفراد من شبكات الهواة وشبكات أنصاف الهواة الممكن الاعتماد عليهم فى مثل ما تستلزمه حرب العصابات لارسالهم فى أفواج متلاحقة إلى المعسكر الخاص لتدريب الفدائيين فى انشاص ليحصلوا على دورات تدريبية مكثفة على حرب العصابات .

وكان هذا المعسكر فى انشاص قد أقامته الثورة بصورة سرية لتدريب أفواج من الفدائيين المحسن اختيارهم على حرب العصابات استعدادا لوقت قد لا تنفع فيه خطة الثورة فى إزعاج الوجود البريطانى فى منطقة القنال للدرجة التى تفضل فيه بريطانيا الانسحاب طواعية مما قد يستلزم محاولة إخراجهم عن طريق ما يشبه حرب العصابات .

واختارت لهذا المعسكر خيرة الضباط المصريين المدربين ، أذكر منهم أركان حرب المعسكر اليوزباشى مصطفى كامل محمدى الذى صار فيما بعد رئيسا لهيئة مطار القاهرة وأذكر منهم المرحوم عضو مجلس الشعب علوى حافظ .

حضرة صاحب الأمر العسكري لمديرية الإسماعيلية

رجاء التكرم بالتصريح لي بنقل ١٥ [illegible]

مواد تموينية خاصة باستهلاكي من الإسماعيلية إلى

السويس

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

محمد أحمد صلاح

٢٢/١٢/١٩٥٢

احدى تصاريح التموين لاجتياز
الكردون التموينى حول القوات
البريطانية باسم محمد احمد
صلاح

إحدى تصاريح التموين لاجتياز
الكردون التموينى حول القوات
البريطانية باسم محمد أحمد صلاح

يبدو أن ما كانت الثورة تعمل على الوصول إليه من خطتها لإخراج الإنجليز من مصر عن طريق إزعاج القوات البريطانية فى مصر إلى الحد الذى تفقد فيه الاستقرار المحقق لأهداف هذا الوجود مع تحميل الخزانة البريطانية المزيد من الأعباء المالية بدأت بوادره توحى بأن الخطة فى طريقها السليم . فقد أكدت كل المعلومات التى وصلت إليها ووصل إليها زملائى المكلفين معى بتنفيذ الخطة ووصلت إلى كل القيادات المصرية من مصادرها الأخرى المتعدده ان القوات البريطانية على الشاطىء الغربى لقناة السويس تكاد تفقد توازنها .

ولعل من علامات فقدان هذا التوازن ومن علامات محاولة قيادة القوات البريطانية الإيحاء لأفراد قواتها بأنها مازالت هى القوية المتحكمة فى المنطقة وللإيحاء لرجال الثورة فى مصر بصفة خاصة وللمصريين بصفة عامة بأنها مازالت هى القادرة على عهدها فى السيطرة على الأحداث فى مصر ، أصدرت يوما قيادة القوات البريطانية المتمركزة على قناة السويس إنذارا شديدا سلمته رسميا فى حركة مسرحية لمحافظ الاسماعيلية « انه إن لم يسلم الجندى البريطانى المختطف ريجدن إلى القيادة البريطانية قبل الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى ستقوم القوات البريطانية باحتلال مدينة الاسماعيلية بكل مرافقها للبحث بمعرفتها عن ريجدن » .

ولم يكن ريجدن هذا إلا جندى بريطانى تافه استدرج من إحدى بارات مدينة الاسماعيلية واختطفوه دون تعليمات طاقم من مجموعة فدائية لا تخضع لسيطرة أى من تنظيمات شبكة المخابرات المكلفة بخطة الثورة .

وفى رأيى أن القوات البريطانية وجدتها فرصة تحاول بها استعادة هيبتها ظنا منها أن الوضع فى مصر مازال كما كان ، ترهبه تحرك بارجة بريطانية أو أكثر فى اتجاهها إلى ميناء الاسكندرية ، ويقيل الوزارة المصرية مجرد تصريح لأحد السياسيين البريطانيين .

المهم وصلنى تكليف عاجل من مصر بأن استعلم بكل دقة واهتمام عن مدى صدق هذا التهديد وما هى الإجراءات البريطانية لتنفيذ هذا التهديد .

وكان تقديرى لتحقيق هذا التكليف أن أسارع بالحصول على بعض المواد التموينية التى تفتقدها القوات البريطانية ويرحبون جدا بالحصول عليها لتكون وسيلتى لفتح أبواب المعسكرات البريطانية لدخولى هذه المعسكرات فى أى وقت مرحبا بى كمهرب يعمل لصالحهم .

ولما كنت على علم بشدة طلب أفراد القوات البريطانية إلى البيض فقد مررت بعربتى القان على كل الأماكن فى مدينة الاسماعيلية الممكن أن تزودنى ببعض البيض وكان البيض شحيحا فى ذلك الوقت مما دعانى أن أقبل حتى البيض الفاسد المرتجع .

ومن سوء حظى وجدت الخواجة ايفانجلى استماتيو والخواجة كونترفورس زوج مدام كونترفورس فى أحد محلات البقالة الكبيرة وأنا أنقل كل ما لديها من بيض وأصر الخواجة كونترفورس على أن يصحبنى وعزز طلبه الخواجة ايفانجلى استماتيو وكان موقفا غاية فى الحرج لى فإن لم أقبل طلبه قد يثير تشككهم ويعيد من جديد الصدام بينى وبين الخواجة ايفانجلى وكنت حريصا على بقاء شعرة معاوية بينى وبين جهاز شركة انتركونتيننتال حتى لا أفقد وضعى معهم مرة أخرى وتضيع فرصتى فى التواجد فى مركز عملياتى فى فايد شوبنج سنتر وكان هذا أمرا هاما جدا لى ولعملياتى داخل القوات البريطانية وإن وافقت على صحبته لى قد يحد بعض الشىء من حرية حركاتى .

ولكنى فضلت أن أوافق على مرافقة الخواجة كونترفورس لى ثقة منى فى أنه لن يكلفنى أكثر من زجاجة خمر تقدمها له أحد شبكاتى فى أى كانتين فى أول معسكر أدخله ولعل وجوده معى كخواجة غير مصرى فيه بعض الغطاء لمهمتى ولن يمنعنى من أن أشاهد بنفسى الوضع داخل المعسكرات ولن يمنعنى من الحصول على المعلومات التى أريدها بينما هو غاية فى السعادة بالخمر التى حجزه أحد أفراد الشبكة داخل الكانتين ليلهو بها وتلهيه عنى .

ولعل ما ساعدنى على اتخاذ هذا القرار الرغبة فى اكتساب الوقت وعدم إضاعته فى جدل معهم وكنت فى عجلة من أمرى وقد أوشكت الشمس على المغيب ومن المصلحة أن أدخل المعسكر فى ضوء النهار .

وفى عجالتى فى الطريق إلى معسكر الاسماعيلية وقد اخترته خصيصا لتوقعى أنه لا بد وأن يكون بما يحويه من أكبر التجمعات لخدمات الجيش البريطانى فى المنطقة سيكون مركز أى انطلاق لاحتلال مدينة الاسماعيلية كما أنه أقرب وأكبر معسكر لى بعدما أكملت تستيف السيارة القان بالبيض وقد فاحت ريحة الممشش منه .

وعند تقاطع شارع الثلاثين فى مدينة الاسماعيلية فوجئت بأحد العمال المصريين العائدين من معسكر الاسماعيلية من الاتجاه المضاد وقد اصطدم بالبسكليت التى يركبها بسيارتى التى نجحت فى ايقافها لتقع البسكليت محطمة على الأرض وينزلق هو فوق كبود الموتور حتى يصطدم ببربريز السيارة يفتتها ومن قوة الصدمة يرتد ثانية على كبود الموتور فى الاتجاه المعاكس ليطير قليلاً فى الهواء ليهبط بوجهه وبطنه على أرض الشارع .

فجأة تأزم الموقف تماما فمن حيث لا أدرى وجدت نفسى وسط عشرات من المواطنين الثائرين يريدون قتلى ليس فقط لأنى أقود سيارة بسرعة تسببت فى موت أحد الغلابة فى رأيهم وإنما الأهم من ذلك لأنى خائن أهرب البيض للانجليز وزاد الطين بله اكتشافهم الخواجة كونترفورس بجوارى وتصرفاته المثيرة الرعناء مما أكد عمالتى للانجليز مأجورا لهذا الأجنبى .

ولم يكن أمامى من حل إلا الهروب العاجل والجرى بكل سرعة وخلفى الخواجة كونترفورس لائجين إلى نقطة شرطة الثلاثين وكانت لا تبعد أكثر من ٥٠ متر من تقاطع شارع الثلاثين (أظنها أزيلت الآن من مكانها لتعديل تخطيط تلك المنطقة) .

من المؤكد لولا قرارى السريع جدا بالهرب ولولا قرب مكان نقطة الشرطة لكنت من شهداء الفهم الخاطىء لمواطنين شرفاء لهم الحق فى أن يظنوا بى كل الظنون .

وحتى فى وجودى فى نقطة الشرطة لم يفارقنى نحس ذلك اليوم فقد اتضح أن نقطة الشرطة كانت تحقق ذلك اليوم فى جناية هتك عرض قام بها مجرم فى حوالى السابعة عشر من عمره مع طفل صغير فى حوالى الثالثة من عمره وكان هذا المجرم فى القفص الحديد الذى يوضع فيه المتهمين داخل أقسام الشرطة وسيدات الحى كلهن محيطون بهذا القفص يبصقون على المجرم ويرمونه بالحجارة والشباشب ويوجهون له السباب والشتائم التى نالنى منها الكثير عندما أدخلنى الصول أنا والخواجة كونترفورس داخل القفص ليحاول المجرم الشاب أن يتستر ورائى ليدرىء عنه البصاق والشباشب المنهالة عليه .

وبانضمام الشبان الوطنيين الثائرين على الخونه أمثالى يريدون النيل منى ومن الخواجة إلى السيدات الثائرات على عرض طفل صغير لا حول له ولا قوة أمام نذالة مجرم يستحق اللعنة وكلهم من منطقة الثلاثين من الأحياء الشعبية المعروفة فى الاسماعيلية بشهامتها وتضامنها وصل الصخب فى بهو نقطة الشرطة إلى الدرجة التى دعت ضابط النقطة للخروج من غرفته ليطرد كل من ليس له دور من بهو النقطة .

لمحنى ولمحته وحمدت الله مخلصا إذ شعرت للمرة الأولى بالأمل فى قرب الفرج . تمرّس فىّ بشدة كمن يحاول أن يشبّه فى شخص يعرفه وسألنى عن اسمى ولم يكن أمامى إلا أن أقول له محمد صلاح .

وبدا لى أن هذا الاسم أزاح عن كاهله قلقا كبيرا فلا شك أن هذا الاسم أكد له أنى لست من أوجد له بلبلة التشكك فى أنه يعرفنى وانى اليوزباشى محمد غانم – وتشبثا بالأمل وأملا فى أن أجد وسيلة أقوم فيها بمهمتى العاجلة الخطيرة وقد وجدته بلا اهتمام يعود إلى غرفته صرخت قائلا « أنا قريب شاكر عبد الحى يا بيه » .

وصح ما توقعته فقد عاد ثانية بذكاء للصول دون أن يلتفت لي مرددا وبشدة تعليماته للصول بأن يطرد كل الموجودين ولا يُبقى إلا على المتهمين والشهود وعندما تأكد من خروج الجميع سأل بلا اكتراث عن القضية الجديدة فأفاده الصول بأنها قضية تهريب للجيش الإنجليزى وفى نفس الوقت إصابة مواطن نتيجة قيادة مسرعة ولما استفسر منه عن مدى هذه الإصابة أكد له الصول أنها جت سليمة والحمد لله والمواطن المصاب سليم لم يناله إلا بعض كدمات وأن الإسعاف أخذته للمستشفى للعلاج السريع وذهب أحد الشاويشية لأخذ أقواله فى المستشفى – كانت هذه الإفادة نجدة أخرى أسعدتنى وحمدت الله كثيرا أن المصاب سليم وكنت متوهما ومنزعجا غاية الانزعاج من احتمال وفاته .

وفى نهاية حديثه مع الصول ومرة أخرى بلا اكتراث طلب منه أن يدخل الخائن (النتن) سائق السيارة المسرعة له فى غرفته .

قادنى أحد العساكر إلى غرفة ضابط النقطة الملازم عبد الله الشربينى الذى أمر العسكرى بأن يتركنى ويخرج .

يا ما انت كريم يا رب .

سألنى ضابط الشرطة .

ــــ « تعرف شاكر عبد الحى منين » .

ــــ « يا عبد الله ... أنا محمد غانم » .

ــــ « قوللى كده يا أخى ... أنت برجلتنى .. أول ما شفتك شبهت عليك ... لكن كان صعب أنى أتصور أنك محمد غانم ولما قلت لى انك محمد صلاح ارتحت وقلت يخلق من الشبه أربعين إنما مخولتنى تانى لما سمعتك بتجيب سيرة شاكر عبد الحى ... إيه حكايتك » .

رويت له حكايتى وشرحت له أهمية خروجى فورا لإكمال المأمورية كما طلبت منه إبعاد الخواجة .

كان الملازم أول عبد الله الشربينى قريب وصديق صديقى العزيز اليوزباشى شاكر عبد الحى إلى الحد الذى شاركت فى حفل زفاف عبد الله الشربينى من أقل من شهرين .

استدعى الملازم عبد الله الشربينى الصول وإذ تأكد من أن المصاب سليم تماما ، أمره بأن يتفرغ لجناية هتك العرض وأن يحرر محضرا لى وللخواجة ويكلفنا بالحضور باكر لاستكمال التحقيق بعد وصول إفادة المستشفى بمدى إصابات المصاب وأن يستدعى تاكسى

يذهب بالخواجة مباشرة إلى محل إقامته مع عسكرى من القسم للتأكد من حمايته من غضب الثائرين .

وفعلا تم ذلك ولكنى مُنعت من استلام السيارة الفان مما استدعانى إلى طلب مقابلة الضابط الشربينى مرة أخرى وشرحت له أهمية دور السيارة بما تحمل من بيض وانه بدونها لن استطيع دخول المعسكر . ولن أنسى حسن تقدير الملازم الشربينى (لواء على المعاش حاليًا) الذى تحمل مسئولية الإفراج عن السيارة المحرزة لصالح القضية بضمان شيخ الحارة الذى ضمننى ولم أكن أعرفه ولا زلت لا أعرفه ولا هو يعرفنى .

وحوالى التاسعة مساء تركت نقطة الشرطة فى حراسة رجال الشرطة يحمونى من الشبان الثائرين والغاضبين فى نفس الوقت على ضابط الشرطة الذى فرط فى قضية خيانة وتهريب واضحة كل الوضوح .

ورغم أن الساعة بعد التاسعة مساء إلا أن PASS فايد شوبنج سنتر الذى يسمح لى بأن أنقل بالسيارة الفان مواد تموينية من المحل إلى المعسكرات فى أى وقت والذى استخرجته لى مدام كونترفورس بالإضافة إلى ما أحمله من بيض كان شفيعا قويا لى لدخولى معسكر الاسماعيلية فى تلك الليلة .

ولمفاجأتى كان المعسكر غاية فى الهدوء مثله مثل كل يوم ولا يوحى أبدا بأنه مركزا لنشاط مكثف بما يحويه هذا المعسكر الكبير من خدمات لا بد منها لأى عملية انطلاق لأى قوات تريد احتلال مدينة الاسماعيلية .

مررت بسهولة من البوابة وتجولت ما شاء لى التجول داخل المعسكر نتيجة علاقاتى التى توطدت مع الكثيرين فى المعسكر وبالاستعانة بهدايا مجانية من البيض على البوابة وعلى الكثير من مرافق ومراكز خدمات المعسكر باتساعه الكبير ولم ألحظ أبدا أى استعداد لعملية اقتحام كبيرة لمدينة الاسماعيلية بما تحويه من كثافة سكانية وتوقع رد فعل عنيف من جماعات الفدائيين التى يعرف الإنجليز تماما اهتمام الثورة بتدريبهم وإعدادهم للقتال .

واستكمالا لليقين من عدم جدية التهديد باحتلال مدينة الاسماعيلية استطلعت رأى كل شبكات المعلومات من المصريين العاملين بالمعسكر والتى نجحت فى تشكيلها فى الكثير من مواقع المعسكر وأكد جميعهم انه لا يوجد إطلاقاً ما يوحى بإمكان تنفيذ هذا التهديد وازداد يقينى عندما تأكدت من انه لم توزع أبدا ذخيرة لأى فرد من المعسكر أو خارج المعسكر تزيد عن معدلات الحراسة اليومية العادية .

وقبل منتصف الليل كانت رسالتى ضمن رسائل أخرى أمام مسئولى المخابرات فى القاهرة تؤكد أن التهديد باحتلال الاسماعيلية ليس إلا مجرد حركة مقصود منها اخافة السلطة

المصرية كما تعود الاحتلال البريطانى على مر السنين يترتب عليها فى تقديرهم – الذى لم يتصوروا انه لم يعد يناسب مصر فى عهد ثورة يقودها عسكريون يترتب – عليه إسراع السلطة المصرية فى الإفراج عن العسكرى ريجدن .

وفى صباح اليوم التالى الذى حدده الإنذار البريطانى باحتلال مدينة الاسماعيلية حرصت أن أكون بجوار الراديو لأستمع للبيان الذى أعلنت الثورة أنه سيلقيه الوزير صلاح سالم وزير الإرشاد القومى فى ذلك الحين رداً على هذا الإنذار – وكان رداً حاسما قويا يرفض الإنذار ويعلن استعداد مصر للدفاع عن الاسماعيلية دفاع الأبطال القادرين .

كانت تلك الواقعة بالتهديد الأجوف الذى جازفت القوات البريطانية بتجسيده بأكثر من حجمه الطبيعى محاولة منها لرفع الروح المعنوية لجنودها وعملائها وقد بدأت أرض منطقة القنال تهتز تحت أقدامهم ومحاولة منها فى نفس الوقت لتأكيد وجودها العسكرى وسيطرتها السياسية على مصر كما تعودت لسنوات طويلة . كانت هذه الواقعة إحدى المحطات البارزة فى تاريخ الكفاح ضد الوجود العسكرى البريطانى فى مصر إذ على غير ما توقعت القوات البريطانية والساسة البريطانيون انتهت هذه الغطرسة بخذلان مبين لعله كشف للمسئولين البريطانيين سياسيين وعسكريين أنهم يلعبون فى الوقت الضائع وعلى نفس المستوى من الأهمية كشف لعملاء بريطانيا من بعض ضعاف النفوس الذين باعوا أنفسهم للشيطان أنهم يعملون بلا مستقبل وأن الحماية التى عاشوا فى ظلها آمنين وتصوروا انها لهم دائمة بدأت تتصدع وسيكونوا هم ضحايا هذا التصدع .

كانت تلك الواقعة بعد محاولات ناجحة لأجهزة المخابرات المصرية فى إزعاج واضح للوجود العسكرى البريطانى على قناة السويس ونجاح ملفت للنظر فى تتبع واقتفاء أثر الخونة المصريون المحتمون بالوجود البريطانى وفى قمة ذلك نجاح المخابرات المصرية فى اصطياد الخائن المدعو كينج صبرى والذى لم يكن ليخرج من المعسكرات البريطانية إلا فى حماية عسكرية مكثفة ومع ذلك ومن وسط هذه الحماية نجح المرحوم الصاغ كمال رفعت وجماعته فى اختطافه من حراسه وحاكمته مصر وأعدمته .

كانت تلك الواقعة كما شاهدتها بنفسى وسطهم ولمست آثارها بنفسى وأنا معايش لهم نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة بدأ فيها تحول من راهن على الوجود البريطانى المستمر فى المنطقة والحماية البريطانية المستأسدة فى المنطقة يعيد حساباته ويعرض التعاون مع عملاء المخابرات المصرية لعله يجد الفرصة كى تعفو مصر عن تاريخه المشين .

وكانت هذه فى حد ذاتها تحقق أكثر من فائدة فبالإضافة إلى أن هذا التحول لا شك أزاح عن المخابرات المصرية هما ثقيلا يؤذى أعوانها ويستدعى الكثير من الإجراءات الأمنية التى قد تعطل الانطلاق المرسوم فى الخطة فقد حقق هذا التحول أيضاً الحصول

على كم أوفر من المعلومات من مصادر أكثر قرباً من المستهدف والأهم من هذا وذاك على الأقل من وجهة نظرى أنه أكد تماما أن الموازين بدأت ترجح كفة مصر فى كفاحها ضد الوجود البريطانى فى مصر وأن الوقت قد اقترب من النهاية المرجوه بشعور القوات البريطانية فى مصر والساسة البريطانيون فى لاظوغلى وفى لندن بأن الثورة المصرية والظروف العالمية لم تعد تسمح بالوجود الفعال الإيجابى لأى قوات غير وطنية ترابط فى مصر .

ذكّت تلك الواقعة حماس شبكات المعلومات وشبكات العمليات لأجهزة المخابرات المصرية فى المنطقة وكانت لى بالذات ولشبكاتى المنتشرة فى كل المعسكرات البريطانية فى المنطقة من الاسماعيلية للسويس والمنتشرة فى القرى المصرية المحيطة بالقوات البريطانية فى تلك المنطقة قوة دفع جديدة كبيرة .

ومضت الأيام والأسابيع التالية وكلها أحداث ، ووقتى كله مشحون لا فراغ فيه ففى الصباح زيارات خاطفة بالسيارة الفان إلى الاسماعيلية لتسليم المعلومات والتقارير والحصول على التكليفات وملء السيارة الفان مرة بأجهزة التدمير والدمار ومرات بالتموين الذى هو عدتى فى تموين محل فايد شوبنج سنتر بما يجعله خير ساتر لوجودى فى المنطقة وتحركاتى وعدتى فى دخول المعسكرات المختلفة بحجة تسليم القوات البريطانية ما يحتاجون إليه من مهربات تموينية وتسليم شبكات العمليات الهواة التى كونتها داخل المعسكرات مهمات التفجير بأحجامها الصغيرة واختيارى معهم أنسب أماكن لتفجيرها بما يبعد الشبهة عنهم إلى تواجد متقطع فى محل فايد شوبنج سنتر ظهرا وبعد الظهر اثباتا لما تقمصته من شخصية وأيضا للالتقاء ببعض المندوبين فى الغرفة الخلفية بالمحل إلى المشاركة ليلا فى التخطيط والإعداد والمشاركة فى بعض الأحيان مع شبكات عمليات الشياطين التسعة أو شبكات العمليات التى يديرها المعلم الأمير أو المناضل عبد العال بدوى .

وسط هذا الجو المشحون بالأحداث فى منطقة قناة السويس ضد الوجود البريطانى العسكرى فى مصر شارك فيه بنجاح شبكة المخابرات الموزع أفرادها فى منطقة قناة السويس وفى الجهاز المختص بمكافحة الوجود البريطانى برئاسة المخابرات بالقاهرة أو مكتب المخابرات بالاسماعيلية بقياداتهم من ضباط فى الخدمة السرية أو الخدمة العلنية لجهاز المخابرات المصرى وما يديرونه من شبكات للمعلومات وشبكات للعمليات ، متروك لكل قائد محلى منهم حرية الحركة وحرية التصرف فى إطار الخطة العامة التى يعرفها ويحرص الكل على الوصول إلى أهدافها ... وسط هذه الحياة الخفية كان هناك جو آخر فى القاهرة تحركاته علنية وله فعالياته وإيجابياته بل لعله هو المحرك الفعلى للحياة الخفية فى منطقة قناة السويس .

كان هناك وفدى المفاوضات المصرى والبريطانى يجتمعان لبحث جلاء القوات البريطانية عن مصر بالرضا والتفاهم لما يحقق مصلحة الطرفين ومن أهمية هذه المفاوضات كان الرئيس جمال عبد الناصر نفسه رئيسا للجانب المصرى فى هذه المفاوضات .

وكأى مفاوضات كانت الجلسات تجمع بين القبول والرفض من كلا الجانبين لكل بند من البنود وبرغم الاتفاق على سرية المفاوضات فلم يكن أحد من الجانبين يعلن عما يقبله وما يرفضه إلا اننا أعضاء شبكة المخابرات المصرية فى قطاع مكافحة الوجود البريطانى فى مصر – كنا الوحيدين الملمين إلماماً غير مباشر بما يحدث يوميا فى هذه المفاوضات ولم يكن إلمامنا بما يحدث تفصيلياً وإنما إجمالاً فى كود من كلمتين من الرئيس جمال عبد الناصر يوحى لنا أن هناك رفض أو هناك اتفاق .

ولكلا الحالتين مردود مخالف تماما فى كل حالة .

فرفض الجانب البريطانى لما يطلبه المفاوض المصرى له معنى واحد ومتطلب واحد أن تشتعل معسكرات القوات البريطانية فى منطقة القناة من بورسعيد شمالاً حتى السويس جنوبا والتل الكبير غربا وتختلف درجة وعنف الاشتعال باختلاف مستوى الأمر المرفوض بينما كلمة القبول فليس لها مردود إلا الهدوء الكامل فى كل المنطقة .

وكان المفاوض البريطانى على علم تمام بهذا المردود قبل وقوعه .

فقد حدث أن اختلف الجانبان على ملابس الأفراد البريطانيين الذين سيعهد إليهم برعاية وصيانة المعدات الحربية التى ستبقى فى المنطقة خلال مرحلة تنفيذ الاتفاق وكان الاختلاف نتيجة مطالبة الجانب البريطانى بأن يسمح لهم بالتواجد بالزى العسكرى مع إصرار الجانب المصرى على أن يرتدوا الزى المدنى .

ورغم أن رئيس الجانب البريطانى أنهى اجتماع ذلك اليوم برفضه المتشدد لقبول فكرة الجانب المصرى بالالتزام بالملبس المدنى لمن سيبقى فى مصر من القوات البريطانية فى مرحلة تنفيذ اتفاقية الجلاء عن مصر تنفيذا للتوجيهات المعطاه له من السلطات البريطانية إلا أنه قبل أن يغادر مكان الاجتماع أعلن صراحة أنه لا يستبعد أن يطلب فى أسرع وقت إعادة استكمال المفاوضات والرضوخ للطلب المصرى لما يتوقعه وتتوقعه السلطات البريطانية فى سفارتهم بالقاهرة وفى مراكز اتخاذ القرار فى لندن من اشتعال الموقف ضد القوات البريطانية المتمركزة على الشاطىء الغربى لقناة السويس .

وقد كان .

فمنذ اللحظة التى غادر فيها الجانب البريطانى مقر مجلس الوزراء المصرى الذى كانت تعقد فيه جلسات المفاوضات حتى صباح اليوم التالى الذى سارع رئيس الجانب البريطانى بطلب عاجل لاستئناف المفاوضات معلنا قبول السلطات البريطانية للفكر المصرى بالالتزام باللبس المدنى لمن سيبقى من القوات البريطانية فى القنال فى مرحلة استكمال اجراءات الجلاء الشامل عن مصر - اشتعلت حرب إزعاج شاملة لا هوادة فيها على طول الجبهة المحتلة بالقوات البريطانية من مدينة بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا وحتى التل الكبير غربا .

فقد وصل فورا وقبل مغادرة الجانب البريطانى لمجلس الوزراء المصرى الكود المتفق عليه لكل الشبكات العاملة فى منطقة قناة السويس « وعينك ما تشوف إلا النور » ما من معسكر بريطانى وما من مركز ترفيهى بريطانى وما من مركز خدمى بريطانى على طول القناة لم يناله ما يكفى لكى تضغط القوات البريطانية فى منطقة القناة والسفارة البريطانية فى القاهرة بشدة على مراكز اتخاذ القرار فى لندن بضرورة وسرعة التجاوب مع مطالب المفاوض المصرى .

بطبيعة الحال هذه المعلومات لم تكن معروفة بهذه التفاصيل فى حينها لغير المفاوضين فقد كانت السرية محكمة على كل ما يخص المفاوضات ولم يعرف أحد خلاف جهاز المفاوضات من الجانبين أى تفاصيل عن المفاوضات ولعل هذا من مقومات نجاح التفاوض والوصول بها إلى إنهاء الاحتلال البريطانى العسكرى لمصر بعد أكثر من سبعين عاما احتلالا مقيتا .

حتى نحن المسيطرون على شبكات العمليات والمعلومات على أرض الكفاح لم تكن معلوماتنا عن تطور المفاوضات فى وقتها يزيد عن توجيه بضرورة الإلتزام بالهدوء الكامل فنعرف أن المفاوضات فى طريقها للنجاح ، أو توجيه بتنشيط العمليات الإزعاجية فنعرف أن هناك عقبات فى المفاوضات ومن تكرار التوجيهات أمكن لنا أن نحدد مدى تعثر المفاوضات من درجة الإزعاج المطلوب الوصول إليها والمدة التى يستمر فيها هذا الإزعاج .

وتكررت هذه التوجيهات وتكرر الانصياع لها بكل الالتزام . وقد كان من الملفت للنظر تماما السيطرة الكاملة على الموقف فى منطقة قناة السويس لدرجة أنه عندما يكون التوجيه هو التزام الهدوء تتمتع القوات البريطانية بالهدوء الكامل أكثر مما قد تتمتع به على أرضها وتتمتع العائلات البريطانية فيه تمتع من يمضى أجازة ممتعة ضمن برنامج سياحى منظم وفى لحظة ينقلب هذا الهدوء إلى جحيم يلعن فيه الجندى البريطانى والضابط البريطانى اليوم الذى اختاروه فيه ليكون ضمن جيش الاحتلال البريطانى لمصر وترتعد فيه فرائض العائلات البريطانية ولا تجد لها مخرجا إلا الضغط على متخذى القرار على سفارتهم فى

مصر او على سلطات لندن لسرعة إنهاء الاحتلال البريطانى لمصر .

ولعل الأكثر لفتاً للنظر هو درجة السيطرة التى وصل إليها تخطيط ثورة ١٩٥٢ لمعركة إجلاء القوات البريطانية عن مصر بقيادة المخابرات المصرية فى ذلك الوقت .

ولا بد من الاعتراف بأن من أهم مقومات نجاح الخطة كان تركيز إدارة كل عمليات مكافحة القوات البريطانية فى مصر فى أيدى المخابرات المصرية التى أعطى لها السيطرة الكاملة على المنطقة المحتلة ثم نجاح قادة شبكات المخابرات فى السيطرة على شبكاتهم للمعلومات والعمليات بطريقة وصلت إلى أقصى مراحل النجاح .

كان التصرف المطلق متروك لكل قائد من قادة الشبكات ولكن فى إطار عام يجمعنا – صحيح حدث بعض التداخلات وكان بعض هذه التداخلات سلبيا ولكن بصفة عامة كان التنسيق كاملا رغم عدم توافر وسائل الاتصال المناسبة والتى كان يغطيها التصرف الشخصى والاجتهاد الشخصى .

وفى القطاع الذى كنت مسئولا عنه وهو القوات البريطانية المرابطة فيما بين الاسماعيلية والسويس وكانت هى القوة الضاربة الأساسية للقوات البريطانية فى مصر ، فقد كان التوفيق حليفى فى حسن اختيار وتوزيع شبكات المعلومات التى تغطى تغطية كاملة كل المعسكرات البريطانية بلا استثناء واستغلالها الاستغلال الناجح فى الحصول أولا بأول على القدر الكبير من المعلومات التى لا غنى عنها لأى معركة ناجحة وفى استغلال بعض أفرادها الهواة فى الكم الكبير من العمليات الإزعاجية البسيطة من داخل المعسكرات نفسها أما العمليات الإزعاجية الأكبر حجما والتى يتولاها مهاجمون من خارج المعسكرات بخطط مدروسة ومتدرب عليها فقد كان يتولاها شبكتى عمليات المعلم الأمير والمناضل عبد العال بدوى وكل شبكة منهما تحوى العديد من شبكات العمليات الموزعة فى مراكز متفرقة على طول الجبهة وفوق هذا وذاك كانت عصابة الأشرار التسعة تقوم بواجبها ذا الحجم الثقيل والثقيل جدا على الوجود البريطانى فى المنطقة المسئول أنا عنها ويساعد فى النجاح والسيطرة وجودى شخصيا على أرض المعركة نفسها وسط هذه الشبكات مخططا وموجها ومدربا وموردا لمهمات الإزعاج ومشاركا فى العديد من العمليات .

ولعله نكرانا للوفاء ألا أشيد وتشيد مصر كل الإشادة بكل من كان له دور فى هذه المعركة التى انتهت بحمد الله بنجاح تحقق فى تمام جلاء القوات البريطانية عن مصر .

ولا يفوتنى بصفة خاصة أن أذكر بالخير وتذكر مصر بالخير زميلين شابين ساعدانى كل المساعدة وأقاما معى على أرض المعركة وكان لهما دور أساسى وبصفة خاصة فى

الشبكات داخل المعسكرات هما الشاب محمود ضياء الدين حسانين والشاب عباس عبد العزيز شوقى ولا يعنى عدم تكرار اسميهما إلا أنهما فدائيان يعرفان تماما معنى الفدائية والتضحية ونكران الذات .

كانت سيطرتى والحمد لله كاملة على كل ما كونته من الشبكات ومع ذلك بقدر ما كانت عصابة الأشرار التسعة تحقق لخطتى من نجاحات فوق التصور فى كل مراحل الغليان عندما يصلنا التوجيه بتسخين المنطقة كانت هذه العصابة عصابة التسعة تسبب لى أنا الإزعاج عندما يصدر لنا الأمر بالهدوء فالهدوء ليس من سماتها وليس من مصلحتها إذ انهم كجهاز محترف يعوضون احترافهم بالسماح لهم بتحقيق هواياتهم فى السرقة من الممتلكات والغنائم التى يمكنهم الحصول عليها من القوات البريطانية فى أعقاب كل تدخل لهم مع هذه القوات فكم كنت أبذل من جهد كى أسيطر عليهم وأدخلهم أقفاصهم يوم لا يكون لهم دور فى العرض تماما مثل مروض الوحوش تنقاد له الوحوش على غير رغبة منهم ولكن امتثالا للدور الذى ارتضوه لأنفسهم .

والحقيقة تقال كانوا فى انطلاقهم قمة فى تحقيق الأهداف المكلفين بها وفى هدوئهم قمة فى الالتزام وفى الحالتين قمة فى الوطنية والعطاء وقد تحولت نوازعهم الإجرامية إلى إيمان مطلق بدورهم الوطنى المتأجج .

وهكذا تداولت فى المنطقة لحظات الغضب ولحظات الهدوء بتوجيهات محددة يلتزم بها الجميع وتعرف منها فى منطقتنا مدى تطور المفاوضات .

ولكنى لا أنسى مرة واحدة فى إحدى أيام مارس ١٩٥٤ وعلى غير اتفاق وعلى عكس التوجيه لنا بالهدوء أشعلنا جميعا المنطقة انتقاما لتصرف غادر من بعض أفراد القوات البريطانية اغتالوا بالرصاص الملازم فريد ندا قائد نقطة شرطة إحدى نقاط الشرطة فى المنطقة المدنية المحيطة بالمعسكرات وإن لم تخوننى الذاكرة كان قائد نقطة فنارة على ما أذكر . اغتالوه غدرا فى نقطة الشرطة أحد رموز السلطة المصرية فى المنطقة . اغتالوه بغطرسة ومكابرة لا لسبب إلا لأنه حمى فى نقطة الشرطة المصرية من كانت تطاردهم هذه القوة البريطانية رغم ان هذه النقطة خارج الكردون الأمنى العسكرى البريطانى .

يومها غلى الدم فى عروقنا جميعا ولعلها المرة الأولى والأخيرة التى لم نلتزم فيها جميعا بالتعليمات بالهدوء وبلا اتفاق كانت منطقة القوات البريطانية من بورسعيد شمالا إلى السويس جنوبا إلى التل الكبير غربا ميدان حرب قاسية على القوات البريطانية . انتقاما لمقتل الشهيد الملازم شرطة فريد ندا .

THE MOTOR UNION INSURANCE COMPANY LTD.

Cairo, 4th February, 1954.

Miss Panayotta Moschouris,
8, Sharia Hoda Chaaraoui,
CAIRO.

Dear Miss,

Claim No.14467 - Accident on 8.8.53
<u>Ford Tannus No.C28257 - Driver Mohamed Saleh</u>

Reverting to the above accident, our lawyer Me Fawzy Mourad, reports that your driver Mohamed Saleh has been condemned on the 29th December 1953, by default, to £2.- fine.

In the circumstances, we shall be glad if you will please ask your said Driver to make an opposition to the judgment rendered against him, immediately, before the judgment is notified to him.

Please treat this matter as urgent, because this sentence if it becomes definite, may entitle the person which has been injured in this accident to institute himself as Partie Civile.

Yours faithfully,

(sgd) THE MOTOR UNION INSURANCE CO.LTD.

صورة خطاب شركة التأمين
بمطالبـة محمـد صلاح
بالأعتراض على حكم الإدانة
عليه بمناسبة حادثة
اصطدام السيارة بأحد عمال
الجيش البريطانـي



إحدى بوابات المعسكرات البريطانية ويراعى .
(أ) دشمة الحراسة لتفادى تكرار اغتيال أفراد حراسات البوبات .

(ب) يافطة ISMAILLA OUT OF BOUND التى تعنى منع أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم من الذهاب إلى الاسماعيلية لتفادى التعرض للهجمات الفدائيـة خارج الثكنات .

(جـ) يافطـة BRITISH FAMILIES MUST NOW HAVE MALE ESCORT OUT SIDE STATION التى تعنى ضرورة ألا تتحرك السيدات البريطانيات خارج المعسكر إلا فى حراسة رجالية .
وقد كان لمثل هذه اللافتات فى كل المعسكرات آثارها السلبية على معنوية القوات البريطانية وعائلاتهم .

اهتمامى وانشغالى بالعمليات على مساحة واسعة من الأرض بين الاسماعيلية والسويس وفى مواجهة القوة الضاربة الأساسية لقوات الاحتلال البريطانى لمصر ومن قبل ذلك التوفيق الكبير فى زرع شبكات المعلومات الناجحة كل النجاح فى كل ركن من كل معسكر من معسكرات القوات البريطانية فى نفس المنطقة وتأكيد المتابعة المتطورة للمعلومات أولا بأول . لم ينسنى كل ذلك المرحلة الثالثة من التخطيط وهى مرحلة قد تأتى وقد لا تأتى ولكن لابد من الإعداد لها هى مرحلة احتمال الصدام المسلح الشامل على نظام حرب العصابات ضد الوجود البريطانى العسكرى المحتل لمصر والتى يهىء لها انتهاء المرحلة الأولى بنجاح والتى كانت استكمال شبكات المعلومات والمرحلة الثانية وكانت تدبير وتهيئة شبكات العمليات والوصول بنشاطها إلى الأهداف المرجوة فى خطة الثورة لإشعار القوات البريطانية فى مصر وطاقم السفارة البريطانية فى جاردن سيتى بالقاهرة وأجهزة اتخاذ القرار فى لندن بأن الوجود البريطانى العسكرى فى مصر انتهى الغرض منه نهائيا ولن يتحقق من المكابرة فى الاستمرار فيه إلا استمرار الخسائر البشرية للبريطانيين والنزيف الذى لا علاج له للخزينة البريطانية التى تئن ولا تتحمل المزيد .

كان التخطيط للمرحلة الثالثة أن أجهّز فصائل مسلحة تسليحا مناسبا ومهيأة نفسيا وتدريبيا لخوض معركة شاملة مباشرة ضد الوجود البريطانى فى المنطقة على نظام حرب العصابات إن فشلت المفاوضات ولزم الأمر لذلك .

وقد كان هذا جزءا من تخطيط عام للثورة على مستوى أشمل فقد أكثرت من إنشاء مراكز لتدريب ما أسمته الحرس الوطنى وتوجت ذلك كما قلت من قبل بإنشاء مركز تدريب على مستوى متميز فى انشاص يلتحق به للتدريب على مستوى عالى جدا ومكثف من يختاره مسئولوا الحرس الوطنى من معسكرات الحرس الوطنى فى مصر قاطبة . ولا شبهة أنه يمكن اعتبار أولى مراحل استعدادى لمرحلة حرب العصابات يشملها تدريبى لبعض أفراد شبكات المعلومات من المصريين العاملين داخل المعسكرات البريطانية على استخدام الألغام والمتفجرات ومتابعة ممارستهم الفعلية لحوادث التفجير داخل المعسكرات وهم من كنت أسميهم الفدائيين الهواة ثم تدريبى المبدئى ولكنه الأكثر فعالية لوحدات فدائيى شبكات المعلم الأمير والمناضل عبدالعال بدوى من خارج العاملين بالمعسكرات على عمليات التفجير والاقتحام واستخدام السواتر والتحرك الليلى واستعمال الرشاشات مع متابعتى لهم فى كل عملياتهم ومشاركتى لهم فى بعض منها . أما جماعة عصابة الأشرار التسعة فلم يكونوا أبدا فى احتياج لأى تدريب .

كان هذا التدريب والممارسة الواقعية للعمليات مع القدرة فى أى وقت على حسن اختيار العدد المناسب ممن يصلحون للقتال من ضمن آلاف مؤلفة من المصريين المسموح

لهم بخدمة القوات البريطانية بالإضافة إلى المعرفة الكاملة لكل خرم فى المعسكرات البريطانية . كل هذا كان فى رأيى استعدادا له أهميته لأى معركة شاملة على نظام حرب العصابات .

وللمزيد من الفائدة وفقت إلى حد كبير فى انتقاء بعض المتخرجين من مراكز تدريب الحرس الوطنى من خارج منطقة الاسماعيلية وبصفة خاصة من المحافظات البعيدة عن أى تداخل من مندوبى المخابرات البريطانية والتى يزكيهم وطنيا ونفسيا وعسكريا قادة هذه المعسكرات ونجحت فى زرعهم كعمال فى بعض المعسكرات بمساعدة نفوذ بعض رؤساء العمال المصريين فى بعض المعسكرات وسلطات أصدقاءنا مسئولى العمالة القبارصة فى بعض المعسكرات الأخرى .

واستكمالا لإعداد الأفراد الممكن الاعتماد عليهم فى حرب العصابات قمت بانتقاء بعض أفراد شبكات المعلم الأمير والمناضل عبدالعال بدوى من الذين كنت أتوقع منهم أن يكونوا خير قادة لفصائل المقاومة عندما تدور الدائرة وأرسلتهم بتزكية منى لمزيد من التدريب فى مركز تدريب الفدائيين فى أنشاص وكلما أنهت دفعة فترة التدريب **التى** كانت على ما أذكر حوالى ثلاثة أسابيع إن لم تخوننى الذاكرة أرسلت دفعة أخرى .

وموازيا للاهتمام بالمزيد من إعداد الأفراد كانت هناك مهمة التسليح وضرورة أن يكون لجيش التحرير مراكز تخزين للسلاح والمتفجرات فى أرض المعركة . ولم تكن هذه بالمهمة العسيرة ولم تكون أيضا بالمهمة السهلة فقد كانت القوات المسلحة المصرية غاية فى التجاوب معى لتسليم الأسلحة الخفيفة المناسبة وأدوات حرب العصابات التى لابد منها بالقدر الذى يمكن أن تستوعبه ما أدبره من مخازن آمنه فى المنطقة .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الصعوبة الأساسية فى عمليات التخزين كانت فى إجراءات السرية بداية من الحديث مع من يملك مساحات التخزين المناسبة وكنا حريصين أن تكون ذات أحجام صغيرة وانتشار واسع مما يفرض علينا الحديث فى ذلك مع كثيرين علما بأن التركيز فى اختيار أماكن التخزين كان محصورا فى القرى المحيطة بالمعسكرات والتى يبيت فيها العاملون فى الجيش الانجليزى الغير مصرح لهم بالمبيت فى المعسكرات ويقيم فيها أيضا العديد ممن يخدمون القوات البريطانية وليسوا من العاملين فى المعسكرات ويقيم فيها أيضا بطبيعة الحال هبيشة الجيش الانجليزى وما أكثرهم المتعيشون من سرقة الكامبات الانجليزية .

ولا يمكن أن ننكر للأسف أنه وسط هذا الجمع كان عددا من عملاء المخابرات البريطانية المندسون وسط الأهالى لتبليغ المخابرات البريطانية عن كل ما يؤثر على أمن القوات البريطانية وكل من يتعاون مع المخابرات المصرية ضد الوجود البريطانى فى المنطقة .

كل هذا كان يفرض علينا أن نحد جدا من التسرع فى اختيار ما نطمع فيه من مخازن وكان فى الوقت نفسه يفرض علينا إجراءات أمن مشددة فى رحلة نقل الأسلحة والمتفجرات إلى المخازن مما يحد بلا شك أيضا من عمليات التخزين وسط هذا المجتمع المفتوح المحب للاستطلاع كطبيعة المصريين بصفة عامة وتحاشيا لبعض المكلفين بالاستطلاع من مأجورى المخابرات البريطانية .

وقد ازدادت صعوبة التخزين عندما اشتدت حرب تصفية العملاء بين المخابرات البريطانية والمخابرات المصرية فى المنطقة ونجحت المخابرات البريطانية بالفعل فى مداهمة عدد من هذه المخازن ومصادرة ما بها من أسلحة واغتيال من يدلهم إليه الخونة عملائهم .

ورغم هذا كان لنا بالمنطقة عدد لا بأس به من المخازن صغيرة الحجم للأسلحة والمتفجرات منتشرة إلى حد ما وسط القرى المحيطة بالمعسكرات نجحنا حتى توقيع اتفاقية الجلاء فى اخفائها عن أنظار ومداهمات المخابرات البريطانية .

ولعله من المناسب أيضا أن نشير إلى نجاح بعض أفراد الشبكات داخل بعض المعسكرات فى الاحتفاظ داخل المعسكر بقطعة سلاح أو قطعتين أو أكثر يخبئونها بمعرفتهم فى مكان أمين لا يعرفه أحد غيرهم .

أما ما قد لا يصدقه الكثيرون أننا نجحنا فى تخزين قدر لا بأس به من الأسلحة والمتفجرات داخل أحد المعسكرات البريطانية وبالذات داخل معسكر فى جنيفة كانت به بعض الخيول والبغال وتطوع العاملون فى أسطبل الخيل والبغال بتخبئة هذه الحمولة الدسمة وسط الدريس المخصص للخيل وكانت هذه الحمولة قد وصلت إليهم ضمن قطار بضاعة خصصت بعض عرباته لرسالة جديدة من الخيل والبغال والدريس المخصص لهم واشترك بنجاح فى تحقيق هذا الاعجاز بعض مسئولى السكة الحديد وبعض الفدائيين المشكلين لشبكة هذا المعسكر ، وشهم قبرصى من أشد أنصار مكاريوس كان بالصدفة المسئول عن هذا الأسطبل .

ويحضرنى بمناسبة الحديث عن معسكرات الحرس الوطنى أن أشير إلى واقعة لا يجوز أن تصدر هذه الذكريات خالية منها .

أعلنت حكومة الثورة عن إصرارها على إجلاء القوات البريطانية عن مصر كهدف رئيسى من أهداف قيام الثورة وأيدها فى ذلك الشعب تأييدا كاسحا . ولم تتحرج حكومة الثورة من أن تعلن بصراحة أنها لن تتورع عن تنظيم عصابات شاملة ضد الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس إن فشلت المفاوضات المباشرة بين مصر وبريطانيا فى اجلاء القوات البريطانية جلاء شاملا عن مصر .

ولتأكيد عزمها الصادق على ذلك أنشأت فى كل المحافظات الكثير من معسكرات التدريب المسلح تحت اسم الحرس الوطنى مهمته الأساسية أن يتشكل منه ومن بعض أفراد القوات المسلحة بعد تسريحهم من الجيش فصائل حرب العصابات ضد الانجليز .

وتعمدت أن تبرز كل ما يخص هذه المعسكرات اعلاميا بشكل واضح وبأكثر من حقيقته . وما استقيته من معلومات من داخل التقارير البريطانية التى كنا نحرص على الحصول عليها وإرسالها للمخابرات المصرية كان الانطباع لدى قيادة القوات البريطانية أن هذه المعسكرات أكذوبة إعلامية لا أكثر ولا أقل وان التدريب فيها ليس على أى مستوى يخيف .

ولكنهم مع ذلك كانوا دائمى الحرص على معرفة كل ما يخص هذه المعسكرات ومستوى التدريب فيها ومستوى المتدربين وأعدادهم . وبقدر ما وصل لى ذلك الوقت من معلومات كان معسكر انشاص بالذات هو ما يقلق القيادة البريطانية فى قناة السويس ولهم الحق فى ذلك فقد كان هذا المعسكر المفروض أنه كان معسكرا سريا غاية فى السرية لا تشير إليه أبدا اعلاميات حكومة مصر عن ترتيباتها لاحتمال حرب العصابات إلا أنه كان معروفا للقيادة البريطانية .

كان معسكر انشاص معسكرا جادا لا يلتحق به إلا من هو على مستوى تدريبى عسكرى مناسب والمؤمن كل الإيمان بحتمية الاشتباك المسلح مع الانجليز والمهيأ تماما للفدائية والعطاء .

واختير لادارة وتدريب الفدائيين فى هذا المعسكر بعضا من خيرة ضباط القوات المسلحة واختيرت له برامج قتالية عالية المستوى - ويبدو أنه كان أساسى فى خطة الثورة فى أى صدام مسلح أما معسكرات الحرس الوطنى الأخرى فلعلها كانت مجرد تمويه أو عامل إخافة للقوات البريطانية ولعله لامتصاص الزائد من حماس بعض المصريين وربما كانت الفائدة الوحيدة التى تحققت من وجود هذه المعسكرات أنه عن طريق بعض هذه المعسكرات المنتشرة فى كل محافظات مصر أمكن اختيار بعض الأفراد الممكن الاعتماد عليهم فى مثل هذا الصدام المتوقع بعثوا بهم للتدريب الحقيقى فى معسكرات انشاص .

ولحرص القوات البريطانية على معرفة كل ما يدور داخل هذه المعسكرات أكثرت من محاولات التغلغل فيها ومن ضمن وسائلها فى ذلك ما وصلنى يوما وأنا فى الاسماعيلية من محمد مرشدى الزميل السابق لى فى توزيع المياه الغازية فى شركة انتركونتيننتال الذى أخبرنى أن أحدا جيرانه المشكوك فى ارتباطه بالمخابرات البريطانية اتصل به وذكّره بأنه

(أى مرشدى) له قريبا يعمل صول فى رئاسة القوات المسلحة المصرية وأن هذا العميل البريطانى يعرض عليه فرصة العمر بأن يقنع قريبه الصول بالحصول على بعض البيانات السرية عن خطة الثورة فى أى صراع مسلح مع القوات البريطانية وبصفة خاصة أماكن معسكرات التدريب وقدراتها وأعداد المتدربين وكفاءتهم وان الانجليز مستعدون لدفع مبالغ كبيرة جدا مقابل هذه البيانات يتقاسمها بالثلث عميل المخابرات البريطانية ومحمد مرشدى وقريبه الصول .

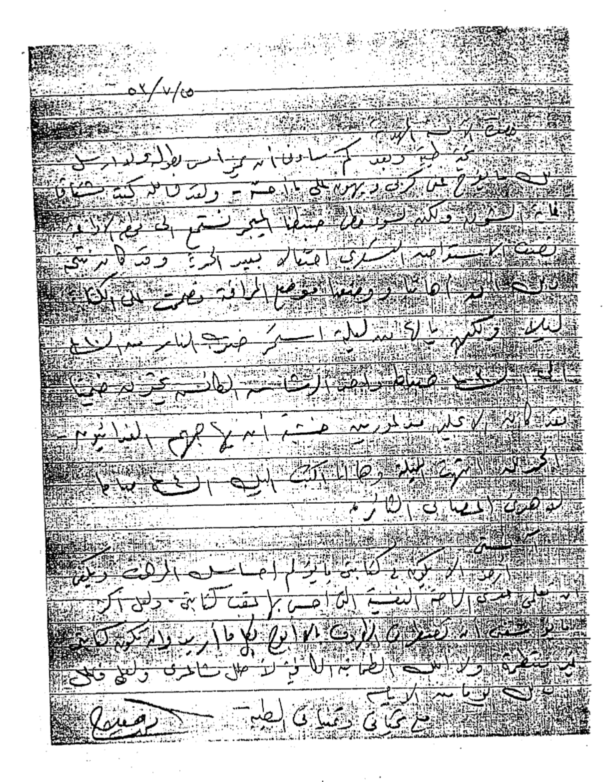
ولمعت فى ذهنى فكرة ان نستفيد من هذه الفرصة لمزيد من ازعاج وبلبلة القوات البريطانية بأن تقدم القيادة المصرية خطة مزورة ببيانات بعضها صحيح وبعضها مدسوس وفعلا سافرت للقاهرة فورا وعرضت الموضوع على المخابرات التى أيدت الفكرة وتم الاتصال بأحد مسئولى العمليات فى قيادة القوات المسلحة المصرية وتم الاتفاق على أن تعد هيئة العمليات فى القيادة المصرية شفافة مزورة وخطة عمليات تبدو واقعية ولكنها غير الخطة الأصلية مع بيانات أكثرها صحيح عن معسكرات التدريب للحرس الوطنى بما فى ذلك معسكر انشاص المفروض أنه سرى وكلنا نعلم أن المخابرات البريطانية تعلم عنه على أن يكون الهدف من تسليم هذا الملف للمخابرات البريطانية هو إيجاد بلبلة تشكك فى أى بيانات سبق أن حصلت عليها أو محتمل أن تحصل عليها المخابرات البريطانية فيما بعد وروعى أيضا التضخيم فى بيانات الذين تم إعدادهم إعدادا عالى المستوى كفدائيين جاهزين للتضحية والفداء - على أن تبدو الخطة المزورة والبيانات مقنعة كل الاقناع حتى لو شملت بعض الأسرار التى لا تؤثر على الخطة الأصلية .

واستكمالا للخداع تم الترتيب على أن يعيد محمد مرشدى الاتصال بعميل المخابرات البريطانية ويحاول إيهامه أنه بصعوبة أمكن إقناع قريبه الصول فى هيئة العمليات بالقوات المسلحة استغلالا لضائقة مالية يعرف أنه يتعرض لها ولكنه يطلب مبلغا أكبر بكثير من المعروض من المخابرات البريطانية فإن وافقت المخابرات البريطانية على دفع هذا المبلغ بشرط دفع ٥٠٪ مقدم و ٥٠٪ عند تمام التسليم والتأكد من صدق الأوراق يقوم الصول بسرقة الملف لتصوره المخابرات البريطانية ويعيده ثانية خلال ٢٤ ساعة وتم ذلك فعلا وتمت الصفقة وسلم الصول الملف للعميل الخائن وتسلم مقابل ذلك بعلم رؤسائه مبلغا من المال وخلال ٢٤ ساعة أعاد عميل المخابرات البريطانية الملف المزعوم بعد أن صورته المخابرات البريطانية واستكمالا لخطة الخداع تعمدت المخابرات المصرية ألا تؤذى الخائن أو تشعره بأن ما قام به مسجلا لديها ولكنها وضعته تحت المراقبة وتصيدت مناسبة أخرى لا علاقة لها بالملف المسروق وقبضت عليه وحاسبته على كل خياناته .



أحد الأوكار فى القرى المحيطة
بالمعسكرات البريطانية على
ضفاف ترعة الاسماعيلية السويس
التى كانت تستخدم فى تخزين السلاح
وإعداد المتفجرات وفى ترتيب الهجمات
المسلحة على المعسكرات .
كما كان يتم فيها المبيت فى بعض الأحيان

كانت الحياة كلها توتر
يكتنفها الخطر فى كل خطوة
كما كانت الحياة تحت أكثر من اسم
وفى ظروف تتغير على غير ترتيب
تسبب ضغطا متزايدا على الأعصاب
وفى بعض الأحيان وخاصة خلال وحدة قاتلة
كنت أستمع إلى برنامجها الدافىء فى الراديو (الأسرّة البيضاء) تخفف آلام المرضى
ومنهم من صورت لى وحدتى
التى باعدت بينى وبين كل من التمس منهم تعاطفا
انهم فى مثل وضعى ينتظرون الموت ويتوقعونه
وفى لقائها معهم وما تسبغه عليهم من روحانية لا انفعال فيها
يتأكد يقينى من أن كل نفس ذائقة الموت وأن لكل أجل كتاب ولا تدرى نفس بأى أرض تموت
فيزداد إيمانى ويزداد حماسى للمزيد من العطاء
وأصبحت مواظبا على هذا الاستماع بقدر الإمكان
ثم بدأت أكتب لصاحبة الصوت الإذاعى الحنون سامية صادق الكثير من الرسائل
بعضها أرسلها لها والبعض الآخر لا أجد الوسيلة الأمنية لذلك
وسواء ما أرسله وما لم أرسله من خطابات
كنت أشعر براحة نفسية تجدد نشاطى
كلما أخرجت من صدرى بعضا من نفثاته
والأعجب أنى كنت كمن يحتاج إلى من يشاركه انفعالاته ...
فما من أحد من عائلتى ولا من قياداتى
يعرف أين أنا وماذا أفعل وتفاصيل ما أفعل
فكانت هذه الخطابات صدى مريحا لانفعالاتى
وبدأت رسائلى تصلها وبدأت إجاباتها تصلنى
عبر الأثير مشجعة .. مقدرة ... متفائلة ..
شاكرة باسمها وباسم .. مصر كلها
وكان هذا خير عوض وخير دافع .. للمزيد
ومن خلال بعض السطور تناثرت بعض الأحداث
التى تلقى ضوءا على بعض جوانب الحياة .. .
حياتى .. وأعمالى
فى هذه الفترة المجيدة



٥٢/٧/٥

عزيزي الأديب [illegible]

تحية طيبة وبعد لم يساورني أي شك [illegible] أرسل

[illegible] عن [illegible] على [illegible] - ولقد كنت [illegible]

[illegible] الشعر ولكنه [illegible] الجبر نستمع إلى [illegible]

بعد الاستراحة [illegible] بعيد [illegible] وقد كانت [illegible]

ذلك [illegible] موضع المراقبة [illegible] على الكلام

ليلا وكيف [illegible] النار [illegible]

إلى [illegible] الشاسع [illegible]

[illegible] لا [illegible] الغنائية

[illegible] الليلة [illegible] الكتب [illegible]

[illegible] الذكرى

[illegible]

[illegible] كتابتي [illegible] الرائعة [illegible]

[illegible] النفسية [illegible] كتابتي [illegible] أكثر

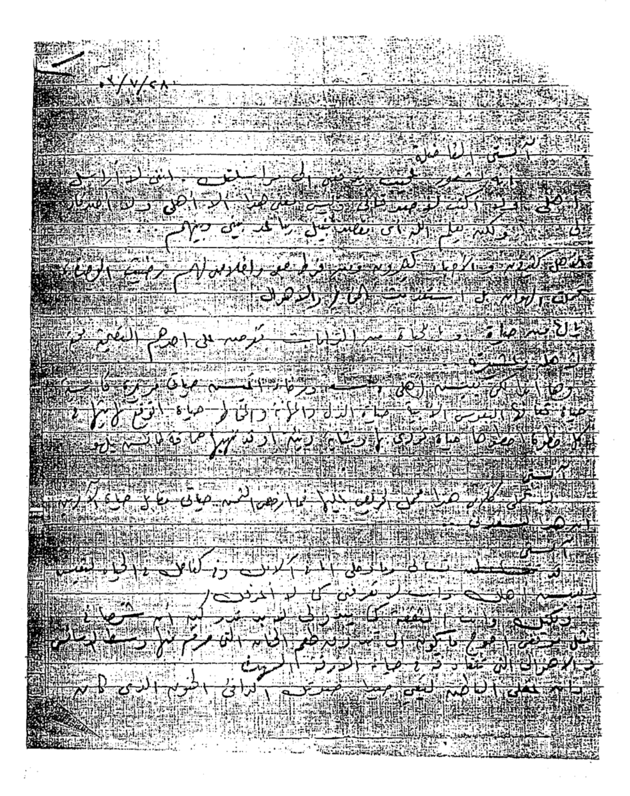
[illegible] أريد وأن تكون كتابتي

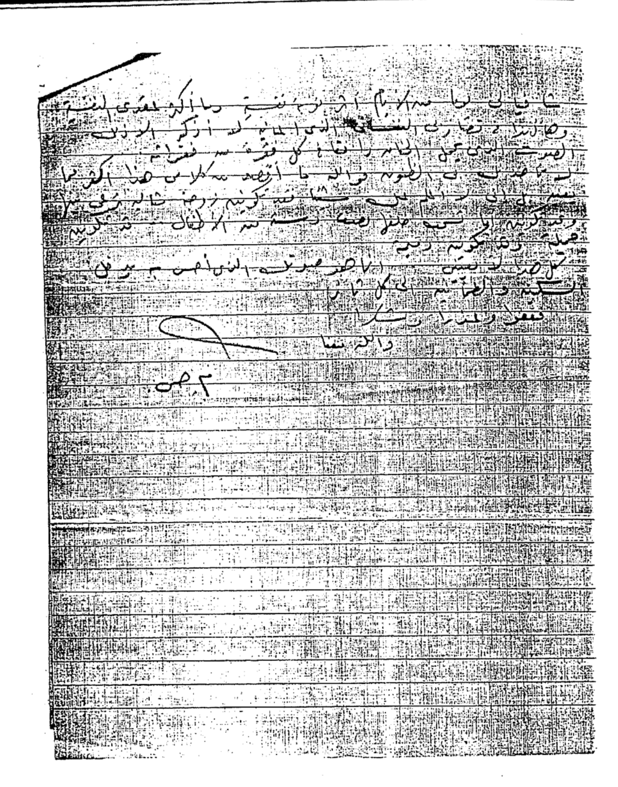
[illegible] الطابع [illegible] ولعل [illegible]

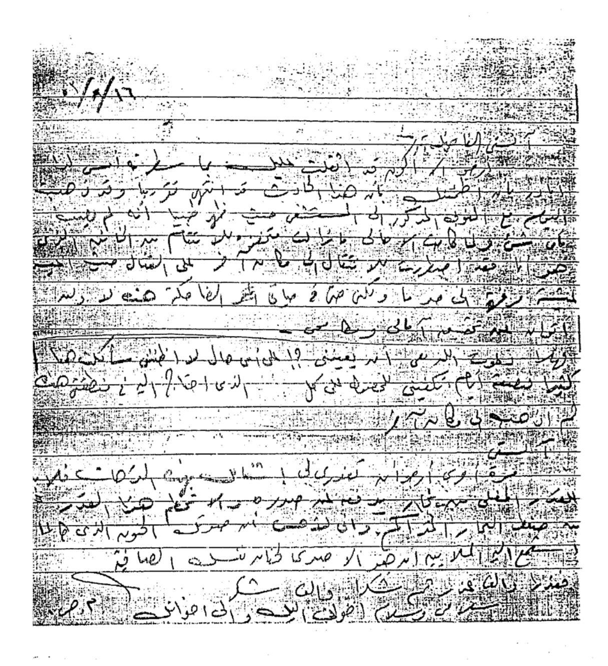
[illegible] الأيام

مع تحياتي وتمنياتي الطيبة

[illegible]







٠٢/٩/١٦

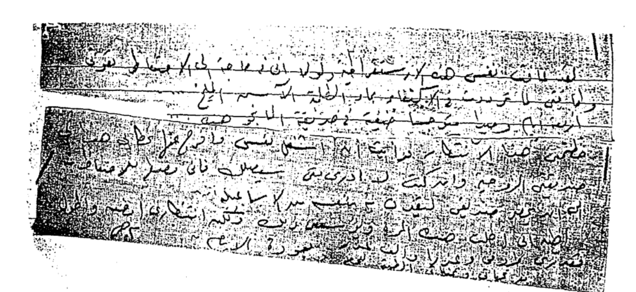
٢٧/١٢/٩٥

[illegible] الفاضل

كل عام وأنتم بخير وأرجو الله أن يعيد هذه الأيام عليكما وقد
تحقق الآمال ولعلي لست أدري إذا ما كنت أطلب لنفسي التوفيق في [illegible]
[illegible] الأحلام [illegible] الرأي والإرادة والقدرة [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] لكل [illegible]
[illegible] له [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] في هذه الحياة القصيرة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] القصيرة [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] الطريق من [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في الأمر [illegible] هذا [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] هذا الأمر [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في نفس الوقت [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الأفكار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !!؟
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]



مرت فترة بالإضافة إلى ما يحوطها من إثارة وتفاقم المخاطر إلا أنها تميزت أيضا بالايحاء بشعور داخلى مريح كانت له عندى ولا شك أيضا كانت له عند زملائى فى خطة الثورة لإجلاء القوات البريطانية المحتلة عن مصر مذاق خاص . ها نحن فى عرين القوات المحتلة وفى ظل معداتها الحربية المتطورة نشعر أن القرار قرارنا والأرض أرضنا . يوم نريد للمنطقة هدوءا يكون الهدوء ويوم يصدر لنا الكود بالتسخين ينقلب الهدوء إلى جحيم .

طالما راودتنى فى هذه الفترة صورة صبى مع زملائه الصبيان من عشرين عاما وأكثر فى قارب صغير يرتعدون خوفا وأن تظاهروا بالشجاعة يعبرون عنها بصراخهم عن بعد « يا عزيز يا عزيز .. كبّة تاخد الانجليز » مع حرصهم إلا يتجاوز قاربهم المسافة التى قد تسمح لصراخهم أن يسمعه هؤلاء الأنجليز على البر الآخر من النيل فى ثكناتهم فى قلب العاصمة فى ثكنات قصر النيل .

لا ادعى لنفسى العلم بمدى تحكم جيش الاحتلال البريطانى فى مصر ومدى تمرد مصر على قوات إحتلالها على مدى سبعين عاما وأكثر . ودون أن نتجاهل ثورات غضب عبر سنين الإحتلال لم يبخل فيها شباب مصر بأرواحهم إعلانا عن هذا التمرد إلا أنى قد لا أكون مخطئا أن تصورت أن ثورات الغضب السابقة كان وقودها وضحاياها شباب مصر الأوفياء بينما كانت السيطرة كاملة لقوات الاحتلال أما الفترة التى لا تنسى والتى نحن فى سياق تذكرها فلعلها كانت الفترة الوحيدة التى كانت مصر تفرض فيها سيطرتها الكاملة على الأحداث والتى كان وقودها أساسا هم أفراد القوات البريطانية المحتلة والتى كانت قوات الإحتلال تترقب بقلق ماذا يخبئه لهم قدر الساعات القادمة .

تنبهت قوات الإحتلال إلى ما وصل إليه الحال وبصفة خاصة تدنى الروح المعنوية لأفراد قواتها المسلحة وعائلاتهم والأخطر من ذلك لعملائها ولم يكن سهلا عليها مجابهة العمليات الفدائية بأكثر مما استخدمته لحماية قواتها المسلحة من العدوان فمن إجراءات أمن مشددة فى كل مكان إلى حواجز كثيفة من الأسلاك الشائكة المنارة ليل نهار تحيط بكل معسكر يتخللها ألغام صغيرة مخيفة تنفجر باللمس أو بأى قطع فى الأسوار إلى أسلاك خفية تدق أجراس عالية بمجرد اللمس أو القطع إلى الأسلاك مكهربة فى بعض الأماكن الهامة ويحرس كل ذلك دوريات من أفراد الحراسة داخل وخارج الأسوار مزودة فى أكثر الأحيان بكلاب حراسة شرسة وفوق هذا وذاك دوريات سيارة حول المعسكرات وحول أماكن تجمعات الأفراد خارج المعسكرات .

لم يكن هناك أى مجال حراسة أكثر من ذلك ، ولكنها مع ذلك لم تمنع العمليات الفدائية من داخل المعسكرات نفسها وبالهجوم عليها من الخارج .

وفى رأيى أن النجاح الأساسى فى ذلك كان القرار الحكيم الذى اتخذته الثورة فى أول تفكيرها فى خطة إجلاء جيش الاحتلال عن مصر بالسماح بعودة العمالة المصرية للخدمة فى القوات البريطانية فقد كانت الغالبية الصامتة من هؤلاء العاملين خير ساتر للعمليات الفدائية وخير معاكس لأى مجابهة فعالة ضد العمليات الفدائية بينما كانت القلة الفعالة فيهم فى داخل المعسكرات نفسها وفى خارج المعسكرات هى مكمن الخطر أو مصدر الخطر أو وسيلة الخطر نفسه .

وبالتالى لم يكن أمام الانجليز إلا مجابهة مكمن الخطر ومصدر الخطر ووسيلة الخطر نفسه .

ولما كانت ظروف بريطانيا المالية ما كانت لتسمح لها بأن تقلل من حجم العمالة المصرية اعتمادا على عمالة مستوردة من الكومنولث ، كما حدث من قبل فلم يكن أمام قوات الاحتلال إلا بذل الجهد لاصطياد كل من تحوم حولهم الشبهات فأجزلت العطاء أكثر وأكثر لبعض ضعاف النفوس من المصريين ليدلوهم على كل من تستخدمه مصر فى صراعها الشرس ضد الوجود العسكرى البريطانى فى قناة السويس وأكثرت من التصفيات الجسدية لكل من تطاله من أبطال المقاومة فى المنطقة مما دفع المرحوم كمال رفعت للتصدى الفورى لهذا التحرك خشية أن تُخبط قوة دفع المقاومة المصرية للإحتلال وتُزاح عن مركز السيطرة الكاملة التى وصلت إليها فى المنطقة فشكل جماعة مضادة ترأسها بنفسه للقصاص من الخونة المتعاملين مع القوات البريطانية . وبذا تفرعت عن المقاومة الفدائية وصراعها ضد قوات الإحتلال حربا أخرى خفية بين المخابرات البريطانية فى المنطقة ضد كل المتعاونين مع المخابرات المصرية وبين المخابرات المصرية ضد كل المتعاونين مع المخابرات البريطانية .

وفجأة انشغلت المنطقة بأخبار وأحداث الخطف والتصفية الجسدية لكلا المتعاونين مع أى من الجبهتين .

وبطبيعة الحال كان لهذا العامل الجديد الخطير آثاره على تحركاتنا واتصالاتنا .

وفى النهاية عملياتنا فبعد أن اسكرنا نجاح عملياتنا مما أفقدنا إلى حد ما بعض الحرص على الاتصالات والحرص على انتقاء من يكلف بالمأموريات والحرص على أماكن تخزين أسلحتنا ومواد التفجير ومستلزماته اضطررنا إلى أن نتوخى منتهى الحرص . وفى بعض الأحيان التزيد فى هذا الحرص ولو على حساب بعض العمليات - وقد بلغ من عنف حرب تصفية العملاء وقسوتها أن القوات البريطانية لم تجد غضاضة فى قتل الملازم فريد ندا ضابط نقطة شرطة فناره لمجرد أنه آوى أحد عملاء المخابرات المصرية المطارد من زبانية المخابرات البريطانية .

اذكر بهذه المناسبة أنى لاحظت محاولات يغفر الله لى أن صورها الخرص أنها محاولات يغلب عليها سوء النية من بعض من احتك بهم من مصريين مقيمين فى المنطقة ومن هؤلاء شاب يدعى رشدى شاكر صاحب محل تصوير فوتوغرافي في الاسماعيلية وله أكثر من مركز تصوير داخل المعسكرات البريطانية تعودت أن أزوره فى محله بالاسماعيلية وبعض الأحيان فى مراكزه داخل المعسكرات لأطلع على الصور التى يصورها لأفراد القوات البريطانية والتى أفادتنى إلى حد ما فى المزيد من المعلومات الدقيقة سواء بالنسبة للأفراد أو للمراكز الحساسة داخل المعسكرات . ويبدو أنه لاحظ اهتمامى فتطور الأمر أن أصبح يكثر من زياراته لى فى محلى بالشوبينج سنتر ولفت نظرى أكثر تعمده أن يهدينى بلا مبرر نسخا من الصور التى يتصور أنها تخدمنى .

بطبيعة الحال لم يجرأ أن يفاتحنى إن كنت من المتعاملين مع المخابرات المصرية ولم أشأ أنا من جهتى أن افاتحه صراحة فى إمدادى بما قد احتاج إليه من صور لتوقعى أنه قد يكون على صلة بالمخابرات البريطانية مما دفعنى أن أظهر له عدم مبالاتى وعدم اهتمامى بهذه الصور لدرجة أنه عندما كان يلح على فى قبول هدايا من هذه الصور لم أجعل من ذلك قصة غير عادية بل كنت أقبل منه هذه الهدايا من الصور ببساطة وببساطة أكثر اضعها بلا اهتمام فى أحد الأدراج واتعمد دون قصد فى أكثر من مناسبة أن اشعره بوجود كل هذه الهدايا بلا اهتمام فى الدرج كما هى دون أن يشعر أن بعضا من هذه الصورة كنا نعمل منها صورة فى معمل المخابرات وتعاد ثانية لمكانها .

وما أثار اشتباهى أكثر أن بدأ السيد رشدى يكثر من زيارتى وإفهامى بطريق غير مباشر أنه وطنى ومستعد لكل ما يطلب منه وأنا مصر على تأكيد ألا علاقة لى بهذه الأمور وأنى اسعى وراء رزقى مع الخواجات الذين أعمل أجيرا عندهم وتطرق من ذلك إلى إكثاره من السؤال عن النشاط السينمائى فى مصر ودورى فيه لعلمه أنى أدعى عن نفسى أنى أصلا قبل أن أعمل مع شركة انتركونتيننتال فى خدمة القوات البريطانية كنت أعمل كومبارس فى السينما وصور لى هوس حرب العملاء الذى نعيشه أنه مكلف بالتقصى عنى ومعرفة إن كنت على صلة بالمخابرات المصرية .

وفى زيارته الأخيرة كان إلحاحة مستمرا على أن أقدمه للمخرجين وللسينمائيين الكبار فى مصر الذين عملت معهم حيث أنه على حد قوله يهوى السينما ويعشقها ويريد أن يصبح ممثلا مشهورا وكنت اتهرب منه بكل الوسائل إلى أن أراد الله أن يحقق له ما يصبو إليه .

كنت واقفا حوالى ظهر أحد الأيام فى موقف السيارات السرفيس بين الاسماعيلية والقاهرة فى مخارج مدينة الاسماعيلية على الطريق الزراعى للقاهرة (لم يكن الطريق

الصحراوى القاهرة الاسماعيلية قد انشىء بعد) وكانت تصرفاتى دائما تفرض على أن اتصرف تصرف العامل الأجير البسيط يحشر حشرا فى وسائل المواصلات الرخيصة .

لمحنى السيد رشدى شاكر وكان فى سيارته الصغيرة الأوستن الجديدة يقودها متوجها للقاهرة ولا يمكن الجزم أن كان هذا اللقاء بمحض الصدفة أم أنه تتبعنى وتعمد هذا اللقاء .

وسواء هذا أو ذاك لم يكن هناك عذر مقبول أن أرفض دعوته لى بأن يوصلنى بسيارته وهو فى طريقه للقاهرة مثلى .

وفى الطريق كعادته كانت أسئلته كثيرة يريد أن يعرف عنى الكثير ويريد أن يقحمنى فى تعريفة بالمجال السينمائى .

ويعلم الله وحده أن كان صادقا فى ذلك أو أنه كان مدسوسا لحساب القوات البريطانية ولكنى حاولت أن اتعامل معه بكلا الصورتين فحرصا على المهمة الكبيرة المكلف بها ونحن فى قمة النجاح لها حرصت على أن أكون غاية فى الحرص وفى الوقت نفسه أردت أن اشعره وأشعر نفسى بحسن النية فجاوبته على أسئلته بكل ما لا يفصح دورى ومهمتى .

وعندما وصلنا للقاهرة أصر إصرارا شديدا على أن يوصلنى لمنزلى وقد زاد هذا من تخوفى فأكدت له أنى سأتوجه للمنزل بعد زيارة صديق عزيز لى مريض فى أحد مساكن مصر الجديدة وأخافنى أكثر أصراره على أنه مستعد أن ينتظرنى بالسيارة أمام منزل الصديق المريض حتى تنتهى زيارتى ثم يوصلنى للمنزل .

وللمرة الأولى كنت عنيفا فى ردى عليه واتهمته بأنه يحاصرنى بلا مبرر وأن اصرارة هذا مثيرا للتساؤل ولا أفهم له سببا معقولا . أنزلنى أمام أحد المنازل فى مصر الجديدة التى يقيم فيها فعلا أحد الأصدقاء والتى أعرف أن لهذا المنزل بابين على شارعين دخلت من أحدهما حيث أنزلنى السيد رشدى وخرجت من الباب الآخر لينقلنى أول تاكسى إلى منزلى فى حدائق القبة .

ولكنه قبل أن ينزلنى كان قد حصل على وعد منى أن أقابله فى الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ليزور معى بعض المخرجين والممثلين الكبار أقدمه لهم وأزكيه ليأخذ نصيبه فى السينما .

وصلت منزلى فى كوبرى القبة بعد الثانية بعد الظهر ولم اضيع دقيقة واحدة لأرتب بالتليفون ما يلزم من لقاءات مع بعض كبار المخرجين والممثلين .

وكان موعدى معه الرابعة بعد ظهر نفس اليوم فى كافتريا استرا فى ميدان التحرير (كانت كافتريا مشهورة جدا فى ذلك الوقت فى مواجهة مبنى الجامعة الأمريكية)

وحضرت فعلا متأخرا بعض الشيء لأجده فى انتظارى .

ودون إضاعة وقت أخذته إلى أول لقاء وكان مع المخرج الكبير ونقيب السينمائيين فى ذلك الوقت المرحوم جمال مدكور .

كان المخرج الكبير جمال مدكور زميلا عزيزا فى النادى الأهلى كثيرا ما يجمعنا لقاءات ومناسبات النادى الأهلى فى ذلك الوقت وازدادت صلتى به عندما كان الأستاذ جمال مدكور المخرج شريكا مع الكاتب الكبير المرحوم يوسف السباعى فى شقة صغيرة فى إحدى عمارات ميدان التحرير . هو للقاءاته كأحد المخرجين الكبار والأستاذ يوسف السباعى كرئيس لنادى القصة عندما كانت موارد نادى القصة المالية فى نشأته الأولى بإمكانياته المحدودة لا تسمح لمقره أن يشغل أكثر من غرفتين فى شقة شراكة من آخرين .

وكان أستاذ مصر الكبير الكاتب يوسف السباعى صديقاً عزيزاً لى كما كنت أنا نفسى عضوا منتسبا فى نادى القصة أتردد عليه من وقت لآخر وأسعد بمزيد من اللقاءات مع المخرج الكبير الأستاذ جمال مدكور .

دخلت والشاب رشدى على الأستاذ جمال مدكور فى ذلك الوقت الغير مناسب فى حر الصيف وقد كان كريما ومفضالا عندما أصر عندما حادثته من قبل تلفونيا على ترتيب اللقاء معنا فى هذا الوقت الغير مناسب عندما علم بالهدف منه وأفادنى أنه سيتصرف .

كان وحده بطبيعة الحال فلم يكن الوقت مناسبا لأحد من زواره أو مرتادى نادى القصة أو حتى لعمال المكتب أن يتواجدوا .

ادعى الأستاذ جمال مدكور المفاجأة عندما بدأ الحوار .

الله ... مين ؟ محمد صلاح الدين .. إيه اللى جابك دلوقت ... أنت مش شايف أن ده وقت غير مناسب لكمبارس أنه يقابلنى ...

وبغلظه استكمل

ـ أنت عايز إيه

ـ أبدا يا أستاذ .. أنا آسف .. أنا بالصدفة كنت معدّى ميدان التحرير ومعايه صاحبى رشدى وبأقول له ده مكتب الأستاذ الكبير جمال مدكور فأصر نطلع عشان نفسه يأخذ فرصة فى السيما .. ومن ضغطه علّى وافقت وأنا واثق أن سعادتك مش هتكون موجود .. ولكن أهو حظنا كويس ولقينا سعادتك .

ـ لأ .. أنا مش فاضلكم دلوقت . أنت عارف المواعيد بتاعتى وعارف نظامى ابقى تعالى معاه فى الوقت المناسب .

وبعد أن تظاهر بالانهماك فى بعض الأوراق أمامه ورآنا مازلنا أمامه قال بانفعال .

ـ من فضلكم سيبونى دلوقت عشان أنا بأراجع سيناريو الفيلم الجديد ولو اتصلتم بالريجيسير اللى بيشتغل معايه ها نحاول نشوف لكم انتم الاثنين فرصة .

وتركنا المكان وبداخلى ارتياح كبير للدور الذى أجاده الأستاذ جمال مدكور .

وفى أحد شقق الدور الأول فى أحد عمارات الخديوى فى جاردن سيتى ضربت الجرس ليفتح الباب لى سيدة فاضلة فى مقتبل العمر وسألتها .

ـ الأستاذ محمد كريم موجود (أقصد المخرج الكبير المرحوم الأستاذ محمد كريم ولم أكن أعرفه ولكنى عندما لجأت للمرحوم الأستاذ يوسف السباعى شارحا له الموقف وطالبا منه العون إعطائى عنوان الأستاذ محمد كريم فى جاردن سيتى وطلب منى أن أذهب إليه حوالى الخامسة بعد الظهر فى منزله) .

سألتنى السيدة الفاضلة .

ـ مين عايزه

ـ من فضلك قولى له محمد صلاح

ـ مين محمد صلاح

ـ باشتغل فى السينما

وكانت المفاجأة الغير سارة أن حاولت قفل الباب وهى تقول

ـ من فضلك ده بيت مش مكتب .. اللى عايز أى حاجة شغل يروح له المكتب وقبل أن تستكمل قفل الباب رجوتها .

ـ من فضلك بس قولى له أنا من طرف الأستاذ يوسف السباعى

وجاءتنى النجده من خلف بارافان أمام الباب بصوت الأستاذ محمد كريم يسألها

ـ مين يا مدام راقيه

وأجابته

ـ دول ناس من طرف الأستاذ يوسف السباعى عايزين شغل وقلت لهم يروحوا لك المكتب .

ـ معلهش .. الأستاذ يوسف عزيز علينا خليهم يخشوا المكتب

وكانت نجدة اتضح أنه سيناريو من إعداد وإخراج الأستاذ محمد كريم نفسه ليزيد الموقف حبكه

ودخلنا المكتب ودخل علينا الأستاذ محمد كريم مرحبا مؤكدا إعزازه الكبير للأستاذ يوسف السباعى وسألنا عن حاجتنا .

وقبل أن نجيبه التفت إلى الشاب رشدى باهتمام كبير وسأله عن اسمه وعمله وأجابه .

- أنا يا أستاذ اسمى رشدى شاكر عندى محل تصوير فى الاسماعيلية وباموت فى السينما وأملى فى الحياة أكون ممثل ناجح .

- أنت فعلا تنفع ممثل ناجح ... شكلك فوتوجنيك خالص ... أنا بأدور على واحد فى فورمتك من زمان ... معاك صور ...

مش مهم ... مش مهم ... آدى الكارت بتاعى اهه ... تجيلى بعد بكره فى المكتب ... أنت عارفه فين ... مش لازم تكون تعرفه أهو مكتوب فى الكارت .. الساعة ١٢ بعد بكرة فى المكتب .

سيناريو آخر فاجأنى به الأستاذ الكبير محمد كريم لم أكن أتوقعه ولا يمكن تصور نجاح أكثر من هذا للمهمة الصعبة التى فرضها على رشدى لتأكيد أنى كومبارس لا أكثر .

وبعد أن أصر الأستاذ محمد كريم على تناولنا بعض المرطبات تركناه وكلانا يطير من الفرحة .

وفى طريقنا إلى سيارة الشاب رشدى وكانت الشمس فى طريقها للمغيب كان تعليقه .

- برافو عليك .. حقّه لو تحققت أحلامى يبقالك الحلاوة ... أنا فى حلم وإلا فى علم ... ومع مين ... الأستاذ الكبير محمد كريم ... يا منت كريم يارب .

ثم سألنى عندك حد ثانى وأجبته

- الأستاذ عباس فارس يكاد يكون فى حكم الأب الروحى لىّ فى السينما ... دايما يتعاطف معايا وألاقى عنده الصدر الحنون ... بس هو ساكن فى آخر الزيتون ويمكن أنت عندك مشاوير وتكتفى بوعد الأستاذ محمد كريم .

وأجابنى

- مشاوير إيه يا عم صلاح ... ده النهارده الدنيا مش سايعانى ... والجماعة دول ما حدش يطمّن لهم ... وزيادة الخير خيرين ... يا الله على بركة الله نوصل للأستاذ عباس فارس ... بس إياك تلاقيه .

- اهو ده اللى تضمن تلاقيه ... الشمس تنزل من هنا وهو يرابط فى جنينة بيته من هنا ... ده راجل مالوش فى اللغوصة وما يخرجش من بيته إلا للمسرح أو الشديد القوى وأنا أعرف أن مسرح الريحانى فى أجازة الأيام دى .

كان الممثل والمنتج جمال فارس نجل الأستاذ الكبير المرحوم عباس فارس قد أنتج

فيلما عسكريا عن قصة درامية كان هو والمرحومة كوكا بطلاها عن بطولة الجيش المصرى فى معارك فلسطين وكان معه والده الأستاذ عباس فارس وآخرين واختارتنى القوات المسلحة المصرية أنا اليوزباشى محمد غانم لأكون المستشار العسكرى لهذا الفيلم فزاملتهم وتعايشت معهم أكثر من ثلاثة أشهر فى مصر وفى رفح وفى غزة وغيرها من أماكن القتال وتوطدت صلتى بهم وخاصة الأستاذ الكبير المرحوم عباس فارس .

وكنت بطبيعة الحال قد اتصلت به تلفونيا وشرحت له الهدف من توقع زيارتنا له أن يثبت ويؤكد للشاب رشدى أنى لا أكثر من كومبارس سينما .

أدخلونا على الأستاذ عباس فارس كما توقعت وكما تعودت أن ألقاه وهو فى حديقة منزله فى منطقة الزيتون وقد بدأ الليل يسدل أستاره الكثيفة .

- أهلا ابننا صلاح ... أنت كنت فين الفترة الطويلة دى ما شفتكش

- والله يا أستاذ أنا الظروف فرضت على أدور على رزقى مع الجيش الأنجليزى فى الاسماعيلية باشتغل دلوقت مع جماعة جريج فى محل يخدم العائلات الانجليز فى منطقة فايد ... أعمل إيه بقى ... ما دام مش لاقى شغل فى السيما والأبواب كلها مقفولة فى وشى .. حتى أنت تخليت عنى .

- يا صلاح يا ابنى .. أنت تعرف أد إيه أنا بحبك ولكن أنا بادور على مصلحتك .. شغل الكومبارس مش مضمون ... ونصيحتى لك دائما أن يبقى لك شغل تعيش منه أولا وبعدين ما يمنعش تحقق هوايتك فى السينما

- على أى حال يا أستاذ ... أنا باسمع نصيحتك وأنا الحمد لله مبسوط كده .. لكن لى عندك عشم تكرمنى .

- خير يا ابنى يا صلاح

- الأستاذ رشدى صديقى وحايموت يشتغل فى السينما .

- يا صلاح يا أبنى أنت عارف أنى دلوقت مش مندمج معاهم فى الجو ومع ذلك أن كان يديلى نمرة تلفونه وأزاى اتصل بيه يمكن لو جت لى فرصة مش ها أتآخر .

واكملنا السهرة فى جلسة لطيفة انفرد فيها المرحوم الأستاذ عباس فارس فى ذكر بعض ذكريات تعمد أن يشركنى فيها ككومبارس يحبه هو بصفة خاصة .

خرجنا من حديقة الأستاذ عباس فارس وقد تعددت الساعة التاسعة مساء وأنا على يقين من أن السيد رشدى مستعد أن يقسم على أن محمد صلاح الدين كومبارس ولا أكثر من كومبارس .

وكانت آخر الحلقات التى كنت على ثقة من أنها مزيد المزيد هو زيارة أحد البلاتوهات أثناء إخراج أحد الأفلام .

فسألت السيد رشدى

- إيه رأيك يا رشدى أنا كنت قريت فى الجرايد أن الأستاذ عز الدين ذو الفقار بيخرج فيلم لممثلة مصر الأولى الست فاتن حمامه فى ستديو الأهرام .. والأستاذ عز لىّ عليه دلال كبير ويحبنى وساعدنى كثير .. إيه رأيك نطب عليه ... بس بأقول لك إيه ... ده بغزالة يصح يرحب بىّ قوى ويصح يطردنى من البلاتوه بشتايم الدنيا كلها ... ما تحاسبنيش .

وأسعده جدا هذا الاقتراح .. هايشوف الست فاتن حمامه .

ومن الزيتون فى أقصى الشمال شرق فى الزيتون إلى ستديو الأهرام فى أقصى الجنوب غرب فى شارع الهرم . وصلنا إلى البلاتوه بعد بعض المضايقات أثناء الدخول نجحنا بالفهلوة فى التغلب عليها .. كان المرحوم الأستاذ عز الدين ذو الفقار ضابطا بالمدفعية زميلا لنا قبل أن يتفرغ للاخراج السينمائى وكان من الوفاء للمدفعية ولزملاء المدفعية لدرجة سمحت بالكثير من اللقاءات معه فى مناسبات كثيرة بعد ما ترك المدفعية وقد شرحت له الأمر تلفونيا ورحب بأن نزوره فى ستديو الأهرام بعد الساعة العاشرة مساء .

دخلت أنا ورشدى البلاتوه وكان المرحوم الأستاذ عز الدين ذو الفقار مشغولا فى إخراج إحدى اللقطات وعندما انتهى منها وكعادته بصخبه الدائم شخط ونطر فيمن حوله قبل أن يقع نظره على فنادانى .

- تعالى يا واد يا صلاح هنا ...

وزغدنى زغدة عنيفة فى كتفى وما زال فى صخبه

- كنت متنيل فين .. أنا سألت عليك عشان كنت عايز اديك دور تنطلق لك فيه كلمتين فى الفيلم ده مالقتكش .. كنت فانى داهيه

ثم لفت نظره وجود السيد رشدى معى فاستمر .

- ومين الجِعرّ اللى معاك ده

وقبل أن أجيبه ويجيبه الجِعّر المفروض أنه رشدى شاكر ناداه مساعد المخرج لتصوير الشوط التالى فطلب منى ومن رشدى أن ننتظره وصرخ فى أحدهم أن يحضر لنا حاجة ساقعة وفى طريقنا إلى المكان الذى أشار لنا عليه بأن ننتظره فيه كانت المفاجأة الكبرى وجدت رزق يلمحنى من بعيد ويأتى إلى مهللا .

ـ أهلا حضرة اليوزباشى غانم .

يا لله .....

بعد كل هذا الجهد وكل هذا النجاح

أفسد هذا الرزق من حيث لا يدرى هذا الجهد وهذا النجاح

حقيقة لا يمكن أن تكتمل الجريمة أبدا

رغم كل هذه السيناريوهات والإخراج المتقن من أباطرة الإخراج والتمثيل فسدت الطبخة من فقاعة دخيل على مجال الإخراج والتمثيل .

كان رزق صول فى المدفعية تحت قيادة الضابط عز الدين ذو الفقار وعندما تفرغ الأستاذ عز الدين للسينما والإخراج أخذ معه رزق هذا كمهمندار وسكرتير خاص له لما عهده فيه من إخلاص وتفان .

وطبعا كان رزق يعرفنى تماما من أيام العمل بالمدفعية ويعرفنى من المناسبات التى كانت تجمعنى مع بعض زملاء المدفعية مع الزميل الطويجى القديم عز الدين ذو الفقار بعد ما ترك السلاح وارتفع نجمه فى عالم السينما والإخراج .

ومن سوء الحظ ومع كل الترتيبات التى تمت بنجاح كبير رغم صغر الوقت لم يتنبه المرحوم عز الدين ذو الفقار لاحتمال تدخل رزق فى السيناريو الذى أحسن إعداده .

المهم حاولت أن اسكت رزق ولكنه بحراره استمر فى تكريمى شارحا ومكثرا من الشرح موجها الحديث للسيد رشدى .

ـ ... أمال .. اليوزباشى غانم يا حضرة ده معلمى وأنا معاه فى المدفعية من يوم ما جانا شاب صغير من الكلية الحربية ملازم ثانى ... بيقولوا راح بعد كده المخابرات .

وهنا أسقط فى يدى واتخذت قرارى

طلبت من السيد رشدى أن يعود بنا إلى الإسماعيلية

وفى الطريق إلى الاسماعيلية وفى منشية البكرى عند إحدى عمارات شارع الخليفة المأمون حيث كان مقر المخابرات القديم طلبت من رشدى أن يدخل بنا بسيارته دقيقة .

وكانت الدقيقة كافية لكى أسلم السيد رشدى شاكر لضابط المخابرات النوبتجى شارحا له الموقف وتاركا لإدارة المخابرات التصرف معه وتركته وسيارته حيث تحفظوا عليه حتى تم توقيع الاتفاق مع الانجليز على الجلاء .

واضعا فى اعتبارى أن أحدا فى المنطقة لا يعلم بأنى كنت مع رشدى شاكر وبهذا فإن تغيب السيد رشدى لن يلحق بى أى شبهة فى المنطقة .

وليغفر لى السيد رشدى شاكر فلم يكن أمامى أن أفعل غير ذلك .

قد يكون بريئا

ولكن فى نفس الوقت وفى ظروف حرب العملاء الشرسة فى المنطقة وإغراءات وضغوط المخابرات البريطانية لاصطياد شبكات المخابرات المصرية فى المنطقة ولموقعى بالذات وما أتحكم فيه من عديد شبكات المعلومات والعمليات كانت الأمانة وكان التصرف الوطنى السليم يمليان علىّ الحذر ويفرضان علىّ أن أحمى شبكاتى إذ لا شك أن تأكد الانجليز من وضعى سيجعلهم يبحثون عن كل من له صلة بى وينتقمون منهم بالتصفية الجسدية بعد التعذيب الرهيب للأدلاء بكل مايعلمونه . كما أن التصرف الوطنى السليم وقد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق خطة الثورة فى اقناع القوات البريطانية والساسة البريطانيون بأن استمرار بقائهم فى مصر لن يحقق أهدافهم كان يفرض على أن اتوخى غاية الحذر ولا أسمح بأى مجازفة .

وليغفر لى السيد رشدى شاكر وقد كان على صلة مستمرة بى وهو فى التحفظ فقد حميته من تهور بعض المتشددين فى محاسبة كل من له احتمال صلة بالمخابرات البريطانية حتى أفرج عنه .

أخي وعزيزي محمد أفندي

سلامي وأشواقي

عزيزي أرجوك بالله لا تهملني حيث أني قضيت مدة طويلة بالمعتقل ومش عارف أي سبب اعرفه نهائيا ولسه مش عارف تعلم بأن أولادي لا يوجد لهم راعي غير الله وأنا

وهذا كل رجائي حيث إنك تعرف كل شيء عني

ولك مني تحيات واحترامات

سلامي إلى الأخ عباس أفندي ومحمود أفندي

أخيك

رشدي شاكر

معتقل سجن المنيا ٧/١/١٩٥٤

ملحوظة: رجائي منك يا أخي مهدي لأجل الله ورسوله

يقولون عنها أنها الحاسة السادسة

والحاسة السادسة ينعم الله بها على بعض من عباده فى لحظة يتجلى بها عليهم ببعض الشفافية توجههم من حيث لا يدرون إلى ما ينقذهم من خطر كبير أو تكشف لهم مسبقا عن بعض المجهول ـ وغالبا ما يشعر بهذه الحاسة السادسة من أرهف كل حواسه الخمس لدرجة تسمح له بمشيئة من الله أن يتجاوزها إلى ما يزيد عن قدراتها .

ولعلها الحاسة السادسة التى دفعتنى فجأة بلا تفكير أو اعداد مسبق مساء أحد الأيام لخاطر لم يكن وقتها له ما يبرره دفعنى إلى إخلاء الغرفة الخلفية فى محل الشوبينج سنتر من كل ما بها من مخلفات مواد التفجير والذهاب بهذه المخلفات إلى قهوة المعلم الأمير ليتولى التحفظ عليها فى مخازنه . وليلتها لم أتردد كثيرا فى قبول دعوته للمبيت عنده عندما ألح علىّ بذلك .

وفى الصباح توجهت مباشرة من قهوة المعلم الأمير إلى مدينة الاسماعيلية لمزيد من التموين وفى عودتى حوالى الظهر شعرت بأحاسيس داخلية تنذر بتوقع مخاطر وأخذت هذه الأحاسيس تتزايد دون أن أدرى لها سببا معقولا كلما ازداد قربى من الشوبينج سنتر ـ وتحققت أحاسيسى بالخطر عندما اقتربت من بوابة الشوبينج سنتر ووجدتها مغلقة بحلقات متحركة من الأسلاك الشائكة يحرسها ويتحكم فى فتحها وغلقها على غير العادة بعض القوات البريطانية فى كامل عدة القتال كما لاحظت تجمعات عسكرية مدججة بالسلاح يعج بها الشوبينج سنتر من الداخل وتحركات عصبية فى كل اتجاه .

طلبوا منى الـ PASS فقدمته لهم وكأنما كانوا فى انتظارى إذ تداولوا فيما بينهم تصريح مرورى وكلما وقع التصريح فى يد أحدهم تطلع إلى ليتأكد أن صاحب الصورة هو نفسه صاحب الـ PASS وبعد همهمة فيما بينهم لم يكن صعبا على تصور ما تنبىء عنه طلبوا منى تنحيه السيارة الفّان عن الطريق وتركها بجوار نقطة الحراسة مع تسليمى مفاتيحها ثم قادنى اثنان منهم إلى قادته الذين احتلوا بالذات محلى فى الشوبينج سنتر واعتبروه مركز قيادة متقدم للحملة العسكرية التى احتلت موقع الشوبينج سنتر .

وأخيرا وللمرة الأولى والأخيرة واجهته وجها لوجه هو الميجر البريطانى WIGHT المسئول عن مخابرات أمن القوات البريطانية فى المنطقة المسئول أنا عنها وأنا اليوزباشى المصرى من المخابرات المصرية المسئول عن زعزعة الأمن للقوات البريطانية فى نفس المنطقة متخفيا فى صورة بائع يدير محلا لخدمة القوات البريطانية وعائلاتهم داخل وحداتهم فى فايد شوبينج سنتر .

عرفته من الصور التى جمعتها عنه والتى قدمها لى من قبل المصور رشدى شاكر وتذكرته من كثير من التقارير التى وافيت بها إدارة المخابرات فى مصر عن نشاطات المزعجة ضد العاملين مع المخابرات المصرية والتى تزايدت إلى حد البطش والتصفية الجسدية خلال معركة تصفية العملاء التى ما زالت فى عنفواتها بين المخابرات المصرية والمخابرات البريطانية فى المنطقة .

قال لى فى حنان مصطنع You Mohmamed Salah ?

(ـ أنت محمد صلاح)

- Yes. I, not know what I do-the government say I not honest because I bring food to your army-with Egypt... I lost my life. I say your army is my life now but the army take my shop.

(ـ أيوه أنا محمد صلاح .. وأنا مش عارف الاقيها منين ولا منين . الحكومة تعتبرنى)
(خائن لأنى باهرب تموين الجيش البريطانى والجيش البريطانى اللى ها ضيّع حياتى بسببه)
(لأنى اعتبرته مصدر رزقى يحرمنى من الرزق ده باحتلال الدكان التى باتعيش منه) .

- Who say's we'lltake your shop. This is only security measures and not for a long time. Of course you know what the Egyptian Intelligence did at the shopping centre yesterday. You were lucky you did pass the night HERE. by the way, where were you yesterday?

(ـ مين قال أننا حنحتل دكانك)

(دى بس إجراءات أمن مؤقته .. أنت طبعا بلغك اللى عملته المخابرات المصرية)
(امبارح فى الشوبينج سنتر وحظك كويس أنك ما كنتش بايت فى الشوبينج سنتر امبارح) .

(بالمناسبة أنت كنت بايت فين امبارح)

كانت هذه هى المرة الأولى التى اسمع عن شىء حدث بالأمس فى الشوبينج سنتر يجعله فى اليوم التالى تحت هذا الإجراء المتشدد .

وكانت اجابتى جاهزة .

Where? in Ismailia of course bring Food to British Army. food goes me to death one day, the food in the car at the gate. You can see it yourself. These day escape food is very hard, but I have friends. I pay they money.

(ـ كنت فين يا عنى .. كنت فى الاسماعيلية بدبر التموين اللى باجبهولكم واللى)
(هايودينى المشنقة يوم من الأيام) .

(أهو التموين فى العربية عند الحرس يمكن تتأكد منه)

(النهاردة التهريب بقى صعب خالص ولكن البركة فى أصدقائى وفى الرشاوى اللى)
(بدفعها)

- Certainly. We, don't forget those who serve us.

(واضح .. واضح)

(احنا مش ممكن نسى اللى بيخدمونا)

ثم أمر أحد الشاويشية بإحضار السيارة للمحل وتفريغ ما بها من بضاعة أمامه ومع احساسى الداخلى بأن حنانه الزائف يخفى شيئا إلا أنى فضلت أن اجاريه فى عواطفه .

- Please, you want take tea or cold. Long you here, you, and your men at the shop drink and I pay. But, please this not take long time.

Every day, I big loss, I pay Great Egyptians Money because pass my car from food guards. I sure British Army pay this big loss during not sold.

(ـ حضرتك تحب تاخد شاى ولّا حاجه ساقعة) .

(من فضلك طول وجودك ووجود كل من معاك فى المحل طلباتك وطلباتهم على)
(حساب المحل .. كل اللىّ ارجوه أن الإجراءات دى ما تخدش وقت كثير لأن كل يوم يتوقف)
(فيه البيع فى المحل يحملنى خسائر كبيرة ولا يخفى عليك المبالغ الكبيرة اللى بدفعها لبعض)
(المسئولين المصريين عشان يمرروا البضاعة بتاعتى من كردون التموين السخيف) .

(وإن كنت واثق أن رئاسة القوات البريطانية ها تعوضنى عن كل الخسائر اللى)
هاتحملها طول فترة توقف البيع) .

- Surely. I suggest, I can see you at the head quarters tomorrow, so as to give me a list of your losses. I'll sign them.

Be sure you are our man. Britain does not forget her friends. By the way there is some thing to discuss with you.

(ـ أكيد .. أكيد وأنا باقترح أنك تفوت على بكرة فى رئاسة المخابرات عشان تقدملى بيان)
(بالتعويضات اللى أنت عايزها واعتمدها لك .. وبالمناسبة لى كلام معاك .. أنت راجلنا ولك)
(حق علينا ـ بريطانيا ما تنساش أصحابها أبدا) .

وهنا جاءت السيارة الثان يقودها الشاويش الذى أرسله ميجر وايت وبعد أن اعادوا تفتيشها مرة أخرى ليقينى أنها فتشت عند البوابه سمحوا لى بإنزال البضاعة منها ووضعها فى اماكنها بالمحل ثم طلب منى الميجور وايت أن أترك المحل الآن لأنهم سيستجوبون فيه بعض الشهود عما حدث بالأمس وموعدى معه باكر فى الهيدكوارترز .

واستأذنه فى أن آخذ السيارة فسمح لى بها ولكنه احتفظ معه بالباص الخاص بى وكل ما لدى من باصات لدخول المعسكرات البريطانية على أن يعطيها لى باكر عند لقائنا وكانت هذه الباصات فى الواقع كنزا سمينا بذلت الكثير للحصول عليها وسلمنى بطاقة خاصة مؤقته تسمح لى بدخول مكتبه فى اليوم التالى لزيارة واحدة .

ومن الشوبينج سنتر فورا إلى الاسماعيلية وكلى شوق أن أعرف ماذا فعلت المخابرات المصرية فى الأمس فى الشوبينج سنتر بالذات .

تركت السيارة عند فندق بسطا مركز شركة انتركونتيننتال وفى نيتى أن اذهب لمكتب المخابرات المصرية فى الاسماعيلية لاستطلع منها الأخبار ولأقدم لها تقريرا عما لدى من أخبار وبطبيعة الحال اتخذت كل ما تمرنت عليه من وسائل الافلات من الرقابة حتى وصلت إلى الزميل الصاغ عبد الفتاح أبو الفضل نائب رئيس مخابرات الاسماعيلية .

وصعقت عندما أخبرنى الزميل الصاغ عبد الفتاح بما حدث بالأمس فى الشوبينج سنتر فقد اتضح أن الزميل المرحوم كمال رفعت وفرقته المكلفة باصطياد الخونة المتعاملين مع القوات البريطانية قد شنت غارة مفاجئة على الشوبينج سنتر مساء أمس وقبضت على بعض هؤلاء الخونة المتمركزين فى محلاتهم فى الشوبينج سنتر تحت حماية السلطة البريطانية وأخذتهم معها للقاهرة واضطرت إلى تصفية بعض من لم يتجاوب معهم أو من حاول أن يبدى مقاومة مسلحة .

ويبدو أن الغارة كانت ناجحة فى اصطياد من أعرف تماما توغلهم فى الخيانة وبعضهم له من الصلة والفائدة للمخابرات البريطانية ما يستحق أكثر مما نالهم من المخابرات المصرية وكانت بحق ضربة حاسمة تحتسب لصالح المخابرات المصرية فى معركة تصفية العملاء .

- ولكن يا عبد الفتاح إزاى ده يحصل وما حدش يدينى خبر ... انتو ناسيين أنى عايش فى الشوبينج سنتر وأن الشبهات بدأت تتزايد عن علاقتى بالسلطة المصرية والمخابرات المصرية .

إيه العمل لو كان حد من جماعة كمال رفعت اللى ما يعرفش دورى وتصور أنى من ضمن الخونة وصفاتى معاهم فى الزحمة .

البلوه .. مش بس كده لو كانوا سابوني والمفروض أني في نظر السلطات المصرية خائن ومتعامل مع الانجليز وفَجَرْت في تهريبي للتموين لصالح الانجليز .. إزاي نفسر أن المخابرات المصرية تسيبني دون الآخرين .

لا يا عبد الفتاح ده تصرف حرقني تمام .

الحمد لله ربنا كريم أنه الهمني أني ما نمتش الليلة دي في المحل وربنا كريم اني من غير تفكير نقلت قبليها على طول كل البلاوي اللي كانت في القودة الخلفية للمحل .

ـ المهم ... ها تعمل إيه دلوقت

أنا رأيي تنزل مصر فورا وتسيب المكان لفترة

ـ أنزل أزاي وأنا عندي ميعاد مع ميجر Wight ـ بكرة

ـ أنت مجنون ... تروح له في عرين الأسد

ـ طبعا مفروض أن أثبت اني مش من المخابرات المصرية ... ثم ما تنساش ده معاه كل الباصات اللي تدخلني اجدعها معسكر وعدني أنه هايدهالي بكرة . ثم أنا بافكر اني أعرض عليه خدماتي كعميل للمخابرات البريطانية خصوصا وأنا واثق أنهم متأكدين أن لي صلة بالمخابرات المصرية وإن كانوا لغاية دلوقت ما يعرفوش مدى هذه الصلة وبكده أكسب ثقتهم أكثر .

ـ أنا بقول لا وأنا ها جيب لك أمر من المدير (يقصد البكباشي زكريا مدير المخابرات العامة) أنك تنزل مصر فورا وما تروحش الميعاد .

وانهيت حواري مع الزميل الصاغ أبو الفضل وأنا في غاية الضيق لهذا التصرف من جماعة الزميل كمال رفعت الذي لم يقدر وجودي في أرض المعركة والذي قد ينهي هذا الوجود تماما ولكني بتحدي وثقة في النفس أكثر من اللازم اكتسبتها بلا شك من معايشتي للاخطار أشهر طويلة يحميني الله منها كل يوم بل كل لحظة صممت بيني وبين نفسي إلا استمع لنصيحة الزميل الفاضل الصاغ عبد الفتاح أبو الفضل وفضلت أن أسرع بالخروج قبل أن يتصل الصاغ أبو الفضل بالمدير ويحرجني المدير بتعليمات لا استطيع عدم الالتزام بها بأن أعود فورا للقاهرة وإلا أقابل ميجور Wight .

وبتحد صارخ وقوة دفع لم استطع ايقافها توجهت في صباح اليوم التالي إلى مركز قيادة المخابرات البريطانية في منطقة فايد وتركت السيارة الفان في مكان انتظار السيارات خارج المدخل وتوجهت بكل رباطه جأش إلى حرس المدخل الذي ما أن اطلع على الورقة

التى زودنى بها بالأمس الميجور Wight حتى قادنى أحد الحرس إلى مكان انتظار مخصص لعملاء المخابرات البريطانية فى ممر مكشوف تناثرت به بعض الدكك .

مرت على فى هذا المكان أكثر من ساعة وحيدا لا يشاركنى المكان أحد كما لم يطلبنى فيها أحد .

وفى هذه الساعة التى لن انساها أبدا بدأت استوعب نصيحة الزميل الصاغ أبو الفضل وشعرت فعلا إنى تهورت أكثرمن اللازم وكلما مر الوقت كلما احسست بقرب نهايتى وكل ما آلمنى أن تكون نهايتى « فطيس » وبيدى لا بيد عمرو وتذكرت المقولة المشهورة للقائد الإسلامى الكبير خالد بن الوليد الذى آلمه وقد شعر بدنو اجله أنه سيموت على فراشه بلا جهاد بينما لم ينله حظ الموت فى العديد من معاركه .

وامتلأت رأسى بالهواجس والدقيقة تمر كأنها دهر حتى انى لم أشعر بمرور موتوسيكل الصول القبرصى المسئول عن نظافة وإجراءات صحة الشوبينج سنتر من أمامى مسرعا ولكنى بدأت انتبه له وقد أوقف موتوسيكله ذى الكابينة الملحقة به فجأة ثم عاد إلى .

- What are you doing here?

(ـ أنت بتعمل إيه هنا)

- Major wight ask me to meet him here

(ـ ميجور wight طلب منى أقابله هنا ...)

- Why

(ـ ليه ..)

- I want money because my loss in the shopping centre

(ـ لىّ تعويضات بطالب بيها للخراب اللى حصل لى من وقف الحركة فى) (الشوبينج سنتر) .

- You are crazy get in quickly

(ـ أنت مجنون ... اركب)

وبلهجة الأمر وبانصياع تلقائى بلا تفكير وجدت نفسى داخل الكابينة الملحقة بالموتوسيكل وطلب منى أن أخفى نفسى أسفل الكابينة ومرة أخرى بلا إدراك وبانصياع أيضا تلقائى حشرت نفسى فى صندوق الكابينة .

وبلا تردد حملنى الصول معه مختفيا فى كابينة الموتوسيكل وخرج من بوابة مركز المخابرات البريطانية فى فايد دون أن ينتبه أو يتصور حرس البوابة أنه يحمل صيدا ثمينا للمخابرات البريطانية .

وفى الطريق استمر فى تأنيبه لى

- You think, they don't know who you are. I and them know you are an important Egyptian Intelligence Agent. We are all sure of that. Can you tell me why you were out the shopping centre yesterday. Of course you know what will happen. Surely you were behind this. Can you tell me. These big supplies of food you bring everyday, how can you, escape from the Egyptian controle so you know why major Wight wants you, of course he wants to discuss with you to know everything about Egyptian Intelligence Agents.

One boullet will make an end to you. Then you will be thrown on the fence, and they will say that you tried to enter the head quarters unligaly.

(ـ أنت فاكر هما مش عارفين أنت مين ... أنت عميل مخابرات مصرى مهم ... كلنا)
(تأكدنا من كده ... تقدر تقولى ليه بالذات امبارح نمت خارج الشوبينج سنتر ... طبعا عارف)
(اللى كان حيحصل وأكيد أنت اللى مدبّره ... تقدر تقوللى التموين اللى أنت بتجيبوا ده كله)
(ازاى يفلت من كل كردون تموين مصرى .. عندك فكرة الميجور وايت طلبك ليه ...)
(طبعا يهمه يستجوبك ويعذبك ويأخذ منك كل المعلومات اللى هو عايزها.وبعدين مجرد طلقة)
(واحدة تقضى عليك ويرميك على السلك ويقولوا أنك كنت بتحاول تنط السلك) .

وقبل أن يقذف بى خارج كابينة الموتوسيكل بجوار محطة الاسماعيلية بعيداعن أى رقابة أمنية للقوات البريطانية استرسل فى حديثه معى .

- Don't you know that due to my strong belief in archibishop Makarius, and knowing quite well what nasser did to support cyprus also as you were always kind to my wife and my kids. For all this, I would not have done what I did with you. Anyhow, I try to Compansate, if I were you, I would leave all canal zone immediatly and for ever, Good Bye.

(ـ تعرف ... لولا انى من أشد المؤمنين بالاسقف مكاريوس ومقدر تماما اللى عمله)
(جمال عبد الناصر لتأييد قبرص ... ولولا أنك طول الوقت كنت كريم معايا ومع مراتى)
(وأولادى ما كنت اجازف وأعمل اللى عملته معاك .. على أى حال أنا قمت بالواجب)
(ولو أنا منك دلوقت ما تورهومش خلقتك أبدا) .

(جود باى)

بوصولى إلى هذا المنعطف الفارض نفسه على حتمية تغييرات كثيرة كان لابد وأن تتم . لعل من أهمها الغطاء الجديد الذى يؤمن وجودى فى أرض المعركة بعد انكشاف أمرى تماما وتوقعى دخولى معركة سافرة شرسة مباشرة مع كل قوات الأمن البريطانية فى المنطقة المليئة بأعوانهم من صغار النفوس الذى لا يخلو منهم أى مجتمع - وعلى هذا كان لابد لى أن أعيد ترتيب أفكارى وتوجهاتى فى معزل من غبار المعركة وصخبها وانشغالاتها وتوتراتها المستمرة كما كان يلزم أن اتشاور فى ذلك فى القاهرة مع الجهاز المدير والمنسق لمعركة اجلاء القوات البريطانية عن مصر .

وبلا تردد وقد قذفنى الصول القبرصى إلى قرب محطة سكة حديد مدينة الاسماعيلية دخلت المحطة وارتميت على أحد مقاعدها والأفكار تتوالى فى خاطرى متشابكة لا أكاد افسر منها اتجاها معينا يقودنى للخطوة التالية إلا أن أصل فى أسرع وقت للقاهرة .

هل كان الزميل عبد الفتاح أبو الفضل على حق فى تحذيرى الذهاب بنفسى إلى عرين الأسد ... وهل هكذا ببساطة بعد كل ما بذلت من جهد وتضحية وتدبير محكم لاشارك بجدية وإيجابية فى معركة اجلاء العدو المحتل ينتهى دورى قبل أوانه بطلقة من ميجور وايت أو أحد معاونيه تسدل الستار بلا جمهور على حياتى رخيصة بلا ثمن ... أم كنت أنا على حق فى أصرارى على لقاء المخابرات البريطانية فى مقرها . كان - رغم ما فيه من مجازفة - فيه التأكيد كل التأكيد للمخابرات البريطانية أنى عميلهم الناكر لمصريته مما يسمح لى أن نجحت المجازفة بالمزيد من التغلغل فى عمق القوات البريطانية بما يجعلنى أكثر فائدة لوطنى ومصريتى وأكثر فعالية فى خطة اجلاء القوات البريطانية عن مصر .

وتظل الأفكار تتشابك ... ما هذا الذى فعلته ... هل اسكرتنى ثقتى بنفسى وفيما وصلت إليه من تغلغل بعيد المدى فى أعماق الوجود العسكرى البريطانى على أرض القتال ونجاحى بفضل من حماية الله وحدها فى تخطى كل ما صادفنى من مخاطر حتى تدفعنى سكرة الثقة إلى أن تضيع حياتى بطلقة اتلقاها فى هدوء من أحد رجال الأمن البريطانى .

لم ادرى كم من الوقت مر علىّ مع كل هذه الهواجس حتى وصل قطار القاهرة الذى سيحملنى وما زلت فى هواجسى للقاهرة .. وفى القطار نحت هذه الهواجس نحوا مريحا فمن تشابك الأفكار وصلت إلى أنه ما زال فى عمرى بقية وأن الأعمار بيد الله وحده وأنه لاراد لمشيئه ... وتساءلت بينى وبين نفسى ... آه لو وعى الناس ذلك تماما لارتاحوا واراحوا ... ونقلتنى هذه الروحانية المريحة إلى تعاقب لقطات كشريط السينما لمواقف خطيرة خطيرة كان من المفروض أن تنتهى حياتى عند أى منها ولكنى تجاوزتها لا لسبب

إلا أن الله أراد لى الحياة إلى يوم هو الذى حدده ولا مفر لى منه ـ عادت بى هذه اللقطات إلى يوم كنا ثلاثة ضباط فى أحد مواقع المدفعية المصرية فى المجدل شمال غزة أقصى ما وصلت إليه القوات المصرية فى أولى معاركها فى فلسطين ثم فأجاتنا إحدى الطائرات الإسرائيلية فانبطح ثلاثتنا أرضا متجاورين فى محاولة لتفادى طلقات رشاشات الطائرة الإسرائيلية فى انقضاضها الخاطف السريع وتشاء ارادة الله أن يصيب الرشاش الأيمن للطائرة الإسرائيلية زميلى على اليمين ويصيب الرشاش الايسر لنفس الطائرة زميلى على اليسار وانجو أنا وسطهم فقد كانت هذه مشيئة الله وحده .

وانتقل الشريط إلى أولى عملياتى الفدائية فى فلسطين أيضا عندما تطوعت فدائيا كضابط ملاحظة مدفعية متقدم يصدر تعليماته لمدافعه وهو قابع وسط قوات العدو الإسرائيلى يصدر التعليمات للمدافع بأن تدك القول الميكانيكى الإسرائيلى الذى يحاول تطويق القوات المصرية وأنا وسطهم وقنابلى تتساقط بنجاح من حولى لا يحمينى منها إلا الله وحده . وغير ذلك من مواقف خطيرة كثيرة تعرضت لها فى حرب فلسطين وأخرى لا تقل عنها خطورة فى مشاركتى القتالية ضد القوات البريطانية على القنال لا ينجينى منها إلا الله كان آخرها كيف وضعت العناية الالهية فى طريقى الصول القبرصى بلا أى ترتيب منى أو من غيرى ليبعدنى فى اللحظة المناسبة من أجل لم يأت أوانه بعد .

إن الأجل محتوم وله مكانه وله موعده الذى لا ينجو منه أحد .

وصل القطار للقاهرة بعد العصر وقد شعرت بضغط الرغبة فى النوم ولما كنت أعلم أن الزملاء فى إدارة المخابرات يعودون لمنازلهم ما عدا النوبتجية فى مثل هذ الفترة استعدادا لسهرة طويلة فى مكاتبهم حتى تباشير صباح اليوم التالى فضلت أن أنال فى منزل العائلة بالقاهرة قسطا من النوم يريحنى من الهواجس التى ملكت علىّ كل تفكيرى ـ ونمت نوما عميقا ـ ساعدنى على أن أكون متوقد الذهن فى اجتماعى حوالى التاسعة مساء مع من كان موجودا ذلك اليوم فى مبنى المخابرات بمنشية البكرى من جهاز مكافحة الانجليز .

كان الأخ الزميل عبد الفتاح أبو الفضل قد أخطرهم بحوارى معه وأنه يرجح أنه لم ينجح فى اقناعى بالعدول عن الذهاب بنفسى إلى عرين الأسد وأنه متخوف من هذا اللقاء وازعجهم أنه لم يصلهم منى أو من الزميل عبد الفتاح أبو الفضل أى معلومات جديدة وكان تقدير الموقف لديهم أنه أما انى استمعت إلى نصيحة الزميل عبد الفتاح أبو الفضل ولم أذهب للقاء أو انى عاندت وذهبت وفى هذه الحالة كان لابد للجهاز من أن يتحرك أما بتوقع إنى تعرضت قبل اغتيالى لتعذيب شديد للحصول منى على أكبر قدر من المعلومات وإلى أى مدى قد تكشف هذه المعلومات عن خطط الجهاز فى مكافحة الوجود البريطانى فى قناة السويس وإلى أى مدى قد تتعرض شبكاتى وربما شبكات بعض الزملاء الآخرين لأى تصرف مضاد من المخابرات البريطانية فى المنطقة وما هو التصرف الواجب اتخاذه فى

كل هذه الحالات ثم ما هى الإجراءات الانتقامية الواجب على الجهاز أن يقتص فيها من اغتيال أحد أعمدة الجهاز . احتمال آخر ضعيف كان لابد أن يوضع ضمن تقدير الموقف الذى سيرفع إلى السيد زكريا محى الدين مدير المخابرات العامة وهو احتمال إنى نجحت فى خداع المخابرات البريطانية أو أضعف الايمان انى نجحت فى اقناعهم بالعمل معهم كعميل مزدوج وإلى أى مدى يمكن أن يستفيد الجهاز منى كعميل مزدوج مضمون ولاءه للمخابرات المصرية .

لهذا كان مفاجأتى لهم بالحضور شخصيا حلا لتأرجح تصوراتهم للموقف .

شرحت لهم ما تم ومع سعادتهم بعناية الله وحده التى انقذتنى من هذا الموقف لم أسلم من تأنيبهم الشديد لما أقدمت عليه . وبينما نحن نتدارس كيف ستكون خطوتى التالية وقد أصبحت معروفا للمخابرات البريطانية فى المنطقة ومطاردا منهم اتصل السيد المدير تلفونيا وطلب أن أذهب للقائه فورا فى منزله وكان قريبا فى ذلك الوقت من مبنى المخابرات العامة فى منشية البكرى .

استقبلى السيد المدير العام بما عهد فيه دائما من بشاشة وسألنى بنظرته النافذة أن أحكى له كل ما حدث واستمع الىّ كما عهدناه فيه كمستمع جيد لا يقاطع أبدا من يحادثه دون أن تختلج له عضله من عضلات وجهه توحى إلى المتحدث برضائه أو عدم رضائه عما يستمع إليه .

وبعد أن انتهيت أوجز تعليقه فى حزم بأن ما قمت به تصرف غير حكيم ما كان يجب لضابط مخابرات ناجح مثلى أن تسوقه إليه المزيد من الثقة بالنفس وأن الحيطة المشروطة بألا تصل لمرحلة التخاذل أمر مطلوب تماما فى عمل المخابرات .

ثم طلب منى أن أوجز له موقفى وموقف شبكاتى للمعلومات وللعمليات ومدى استعدادنا جميعا فى قطاعى لأى التحام مباشر مع القوات البريطانية أن لم تنجح المفاوضات معهم .

واتضح لى أنه وإن لم يكن على معرفة كاملة بالتفاصيل إلا أنه على علم تام بالموقف إجمالا .

رغم أنى كنت اتوقع ثناءه على ما قمت به كجزء من الخطة العامة إلا أن ثناءه على فى هذا اللقاء بعد تأنيبه لى على تصرفى مع ميجور وايت تجاوز كل ما كنت آمل فيه واشعرنى إنى فعلا حلقة لها اهميتها وحيويتها ضمن خطة محكمة تسير بنجاح جدا للتخلص أخيرا من الإحتلال البريطانى الذى جثم على صدر مصر أكثر من سبعين عاما .

وانتقلنا بعد ذلك إلى طلبه منى رأيى فى خطوتى التالية فشرحت له الحوار الذى كان قد بدأ مع الزملاء قبل تعليماته باللقاء معه شخصيا وأننا لم ننهى الحوار حيث رأى البعض استمرارى فى المنطقة أُدير المعركة من خارج أسوار المعسكرات البريطانية مع اتخاذ كل إجراءات الحيطة والحذر ورأى البعض الآخر أنه من المصلحة أن اسلم شبكاتى لزميل آخر تحاول إدارة المخابرات بأن تدخله المعسكرات تحت ستار جديد وأن يستفاد من خبراتى وما شاركت فيه حتى الآن من الخطة أن انتقل للعمل معهم فى إدارة المعركة ضمن جهاز القاهرة .

وبهدوء القادرين الحازمين أعاد السؤال طالبا رأيى أنا الشخصى فى هذا الموضوع لا رأى الآخرين واجبته بلا تردد . أنه مع استعدادى للعمل فى أى مكان - إلا أن انتزاعى من أرض المعركة الآن بعد ما وصلت إليه وقد قاربنا على كسب المعركة لن يسعدنى وقد يحز فى نفسى إلى ما شاء الله لى من عمر .

وبعد لحظة سكون تعودناها من السيد المدير زكريا محى الدين قبل إتخاذه أى قرار كان قراره بأن تجمع الخطة بين البديلين فعلى المخابرات أن تستعد من الآن وتجهز بأسرع وقت من يمكن أن يحل محلى داخل المعسكرات بعد ضمان ترتيب الساتر المناسب وعلىّ أن أساعد فى ذلك وفى نفس الوقت علىّ أن أعود للمنطقة لاستكمال ما قمت به حتى الآن من خارج الأسوار ولكنه ينصح بأن تكون عودتى للمنطقة بعد فترة لا تقل عن أسبوعين أو ثلاثة يتم خلال هذه الفترة التعرف على الخطوات التالية التى تدبرها المخابرات البريطانية لمطاردة محمد صلاح وأعوانها فى هذا الخصوص مع التفكير برؤية وحكمة فى كيفية إقامتى فى المنطقة وانتقالات واتصالاتى مع شبكاتى وكيفية حماية هذه الاقامة وهذه الانتقالات وهذه الاتصالات .

كان هذا القرار كشرارة أيقظت خاطرا طالما راونى أن احضر بنفسى كمتطوع عادى دوره من دورات التدريب الراقى للفدائيين فى معسكر انشاص وما أن عرضت على السيد المدير هذه الفكرة على أساس أن استغل هذين الأسبوعين الثلاث فى وجودى فى معسكر انشاص اتعرف بنفسى على مستوى التدريب الذى يناله من أشارك مع من تعدهم مصر للمعركة الحاسمة الشاملة .

ورحب السيد المدير بالفكرة وأنهى اللقاء طالبا منى أن انقل للزملاء فى إدارة المخابرات تعليماته وخرجت من عنده وقد إزدادت ثقتى بنفسى وتفتحت شهيتى للمزيد من العطاء فى سبيل مصر .

كان أمرا واردا ضمن خطة الثورة لإجلاء القوات البريطانية عن مصر احتمال أن تتطور المناوشات الازعاجية إلى حرب تحرير شعبية سافرة أن لم تحقق هذه المناوشات الأزعاجية فى كل المعسكرات البريطانية أينما وجدت ما تهدف إليه الخطة من قناعة أصحاب اتخاذ القرار من الساسة البريطانيين بواقعية فشل وجود قاعدة عسكرية بريطانية فى مصر مع ما يترتب على هذا الفشل المؤكد من مزيد من إهدار موارد الخزانة البريطانية التى انهكتها غاية الانهاك خمس سنوات هى عمر الحرب العالمية الثانية التى تحملت بريطانية العبء الأكبر منها .

ومن مظاهر تهيئة الثورة للشعب المصرى لخوض حرب التحرير الشعبية إكثارها من إنشاء معسكرات التدريب العسكرى المبدئى على استخدام السلاح تحت مسمى معسكرات الحرس الوطنى .

أنشئت هذه المعسكرات فى طول البلاد وعرضها ولم تبخل عليها الدولة بالمدربين وبالسلاح وبكل وسائل الدعوة الوطنية والتعبئة .

وهذه المعسكرات وأن لم تحقق فى نظرى كعسكرى محترف ما كان مقصودا منها من خلق كوادر قتالية يخشاها أى عدو كامل التجهيز مثل عدونا القوات البريطانية فى منطقة القتال بما تملكه من إمكانيات تسليح على أعلى مستوى وما تملكه من إمكانيات بشرية صقلتها تجارب حرب فعلية شرسة دامت خمس سنوات إلا أنها نجحت إلى حد ما فى تهيئة المناخ المصرى وتوزيعه على كافة أرجاء ومناطق جمهورية مصر لاحتمالات أى صدام مسلح مباشر قد تصل إليه خطة إخراج الجيش الانجليزى من مصر كما أنها نجحت إلى حد ما دعائيا داخليا وخارجيا فى تأكيد عزم ثورة ٢٣ يوليو فى مصر على تحقيق أحد أهم أهدافها وهو إجلاء القوات البريطانية عن مصر .

ولم يكن هذا القصور العسكرى خافيا على مسئولى الثورة حيث تداركوه باعداد معسكر تدريبى على مستوى مرتفع لتخريج الكوادر القتالية على مستوى يُعتمد عليه أخفوه فى مزارع الخاصة الملكية سابقا فى انشاص بمحافظة الشرقية .

وبقدر ما تعمدت الثورة تركيز الإعلام داخليا وخارجيا على معسكرات الحرس الوطنى وكيف أنها منتشرة فى كل منطقة سكنية فى مصر من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى أسوان جنوبا وساحل البحر الأحمر شرقا وكيف يتضاعف أعداد خريجى هذه المعسكرات من الدورات المتتالية المتعاقبة بقدر ما اخفت كل ما يخص معسكر انشاص وعتّمت عليه كل التعتيم واضعة فى الاعتبار أن خريجى معسكر انشاص وان كانوا أقل

عددا بكثير من باقى المعسكرات إلا أنه مجهز تماما معنويا وعسكريا للاعتماد عليه فى أى حرب على مستوى حرب العصابات مع قوات نظامية مسلحة أحسن تسليح .

واعتمد معسكر انشاص فى اختيار من يدربهم ويهيئهم على من ينتقيه قادة معسكرات الحرس الوطنى فى كل المناطق من بعض من حضر دورات تدريب معسكرات الحرس الوطنى وتأكد لهؤلاء القادة ايمان من اختاروهم بالقضية وثقتهم فى أنهم على مستوى المسئولية والالتزام كما اعتمد معسكر انشاص على من تفرزه معسكرات الشباب من الطلبة والعمال وتنظيمات الاتحاد الاشتراكى .

وكنت أنا بصفة خاصة أحد موردى المتطوعين لهذا المعسكر الخاص فى انشاص ممن اخترتهم نتيجة الممارسة الواقعية فى العمليات التى كنت اخطط لها وأدير بعضها بنفسى فى المناوشات الازعاجية على القوات البريطانية فى أرض المعركة .

ويؤكد نجاح معسكر انشاص فى مهمته حسن اختيار الثورة لضباط هذا المعسكر اذكر منهم اليوزباشى مصطفى كمال محمدى (الذى أصبح فيما بعد اللواء محمدى رئيس هيئة مطار القاهرة) والملازم أول علوى حافظ (رحمه الله الذى أصبح فيما بعد أحد نجوم مجلس الشعب) كما ساهم فى نجاح معسكر انشاص الجدية فى التدريب على كل أنواع عمليات حرب العصابات وبصفة خاصة العمليات الليلية مع استخدام الذخيرة والمفرقعات الحية وجميع أنواع الأسلحة الصغيرة والمتوسطة .

ولأن المعسكر يديره ويتولى التدريبات فيه ضباط من زملائى وبعضهم من اصدقائى .

اتصلت المخابرات العامة بقيادة معسكر انشاص وأخطرتهم بأنى سأشترك فى الدورة القادمة من ٩ / ١٠ / ٥٣ إلى ٢٣ / ١٠ / ١٩٥٣ كمتطوع عادى باسم المواطن محمد صبحى (رؤى أن المصلحة إلا أظهر فى المعسكر باسم محمد صلاح) مؤكدة عليهم أهمية الاحتفاظ بسرية انتمائى للمخابرات وأهمية معاملتى نفس معاملة باقى المتدربين دون أى تفرقة .

وفى اليوم المحدد لبدء الدورة الجديدة لمعسكر انشاص كان من ضمن أفراد هذه الدورة المتطوع محمد صبحى (اليوزباشى مخابرات محمد غانم) والمتطوع شاكر عبد الموجود (اليوزباشى شرطة شاكر عبد الحى) .

كان فى تقديرى منذ أن تركز تفكيرى فى الاعداد للمعركة الشاملة إن فرضت الظروف أن نجابهها أن استعين ببعض من أثق فى قدراتهم القيادية ليعاونونى فيما سأحتاج إليه من قيادات فرعية عندما تتشعب مسئولياتى فى مرحلة حرب العصابات .

وكان الصديق زميل الملاعب اليوزباشى شرطة شاكر عبد الحى والمختار ضمن من اختارته الثورة من ضباط الشرطة الرياضيين لتشكيل شرطة حراسة الجامعات هو أحد من اختزنتهم فى ذاكرتى لمساعدتى عندما نصل إلى مرحلة حرب العصابات .

وقد رأيتها فرصة مناسبة تماما أن يشاركنى اليوزباشى شاكر عبد الحى فترة حضورى دورة معسكر انشاص أولا ليتدرب هو شخصيا على ما لم يسمح له كاريره كضابط شرطة بأن يتعلمه خصوصا فيما يخص تكتيكات حرب العصابات والعمليات الهجومية الليلية وكيفية استخدام المفرقعات والأسلحة المتوسطة الغير معروفة فى الشرطة .

وثانيا حتى أجد ضمن فترة الدورة وهى ليست صغيرة من آنس له من مستوى تفكيرى ومستواى الاجتماعى . فكان أن قدمته للمعسكر كمتطوع عادى من ترشيحى تحت اسم شاكر عبد الموجود .

وهكذا فى سبيل أن أتأكد شخصيا من مستوى تدريب من قد يوضعوا يوما ما تحت قيادتى فى أى معارك حرب عصابات محتمل أن تفرضها الظروف على مصر وفى الوقت نفسه تنفيذا لتوجيهات السيد المدير البكباشى زكريا محى الدين فى أن ابتعد بعض الوقت عن منطقة القنال لحين استطلاع جهاز مكافحة الوجود البريطانى فى مصر لإمكان عودتى مرة أخرى إلى أرض المعركة أو أن انضم لزملاء القاهرة .

انتظمت الدورة الجديدة لمعسكر انشاص ومن ضمن أفرادها المتطوعان محمد صبحى وشاكر عبد الموجود مثلهما مثل باقى المتدربين دون أن يبدو من ضباط الدورة وكلهم زملاء اعزاء ما يوحى بأنهم يعرفوننى ودون أى اعتراض أو حتى امتعاض منى أو من الصديق شاكر عبد الحى على الحياة الخشنة التى ارتضيناها . نهار طويل شاق يبدأ فى بعض الأيام من قبل ظهور أول ضوء عند الفجر فى تدريبات قتالية بعضها بالذخيرة الحية وفى أيام أخرى تدريب بعد منصف الليل على الهجمات الليلية وأيضا بعضها بالذخيرة الحية وطوال ساعات النهار محاضرات فى التكتيك والطبوغرافيا واستخدام الأسلحة المختلفة واستخدام السواتر وإعداد المفرقعات وتفجيرها بخلاف تدريبات اللياقة البدنية واجتياز الموانع وتسلق الأسوار العالية وينتهى اليوم بالنوم كالقتيل على السرير الخشبى والمرتبة الرفيعة وقد تكفل الارهاق اليومى بالتغلب على خشونة هذا السرير ومرتبته الرفيعة - وهذا الأرهاق اليومى نفسه أفادهما تماما فى مشاركة باقى المتدربين بكل شهية فى التهام أصفاف الأكل التى لا تعرف إلا بألوانها من قروانه مشتركة فقد كان من الرفاهية لهذا التجمع أن يكون لكل فرد أدوات مائدة خاصة لكل واحد .

ورغم قسوة التدريب وخشونة الحياة خلال الدورة فقد استشعر المتطوعان محمد صبحى وشاكر عبد الموجود بكل الرضى لوجودهما فى هذه الدورة ولا جدال أن اشتراكهما

مع بعض فى هذه الدورة كان العامل الأساسى فى هذا الرضى إذ لا شك كان سيصعب على أى منهما أو من هو فى سنهما النسبى ووضعهما الاجتماعى أن يتأقلم وحده فى هذه الحياة .

وفى يوم الأيام بعد فترة تدريب الصباح الباكر نودى على المتطوع محمد صبحى وحده للتوجه إلى قيادة المعسكر وتصور المتطوع محمد صبحى أن الأمر تأزم فى منطقة قناة السويس وأنه مستدعى لسرعة التوجه للمنطقة لاتخاذ مركزه القيادى على مجموعاته مع باقى زملائه فى جهاز محاربة القوات البريطانية مع مجموعاتهم .

وكانت المفاجأة إن وجد نفسه مدعوا إلى مائدة إفطار نظيفة لم يتعودها منذ دخل المعسكر وتجاوزت المفاجأة حدودها عندما لمح على رأس مائدة الافطار الرئيس جمال عبد الناصر ومعه بعض معاونيه يضاف إليهم بعض قيادات المعسكر .

كان الرئيس فى زيارة تفقدية لمعسكر انشاص وعلى مائدة الافطار مع قادة المعسكر عرف بقصتى ضمن دفعة هذه الدورة فطلب استدعائى للافطار معهم . وعندما حضرت باوفرول التدريب لم يكتم ضحكته وسألنى أن كان سينادينى باسمى محمد غانم أم اسمى محمد صبحى فقلت له بل هناك اسما آخر قد يكون أكثر اهمية فى الوقت الحالى من هذين الاسمين هو اسم محمد صلاح المعروف به فى منطقة قناة السويس .

وللمرة الأولى منذ دخولى المعسكر أحسست بحلاوة ترحيب الزملاء بى والذى أبدى بعضهم اسفه لى على قسوة معاملته العسكرية معى كالتعليمات واعتذار البعض الآخر على خشونة الحياة التى أحياها عارضا على أن اشاركهم المبيت والأكل فى ميس الضباط .

وقطع السيد الرئيس جمال عبد الناصر هذا الحوار ببداية حوار آخر معى عن الموقف فى منطقة قناة السويس ومدى نجاح خطة تكدير الحياة اليومية للقوات البريطانية على أرض مصر وعن استعدادنا لكل الاحتمالات ودون الدخول فى التفاصيل شرحت له الموقف مؤكدا على الأقل من وجهة نظرى على نجاح الخطة حتى الآن إلى حد كبير وقد وجدته على المام كامل بالموقف ثم شرح لنا سيادته بإيجاز موقف المفاوضات مع الجانب البريطانى مما فهمنا منه احتمالات قرب الوصول إلى نتيجة إيجابية من هذه المفاوضات والتى ارجع سيادته الجزء الكبير من هذه الايجابية إلى وصول السياسة البريطانية والقيادة العسكرية البريطانية إلى ما يؤكد لهم أن وجود قاعدة عسكرية فى قناة السويس فى مصر بعد ما تغيرت الظروف فى مصر وفى العالم يحملهم الكثير والكثير جدا ماديا ومعنويا وبشريا خصوصا إزاء ما تتعرض له قواتهم على أرض مصر من ازعاج تجاوز الحد الممكن تحمله ويقينهم أن توقعات الخط البيانى لهذا الأزعاج لفترة طويلة مستقبلية صعودى وليس هبوطى .

ولما سألنى عن تقيمى لدورة معسكر انشاص كنت صادقا فى الاشادة كل الاشادة بالدورة من جميع نواحيها ويشمل ذلك برامجها والجدية الصارمة فى التدريب .

واستيعابها لكل ما نتوقعه نحن كقادة مستقبلين لحرب العصابات والأهم من ذلك الروح العالية التى يتمتع بها كل المتدربين .

ولم يخفى علىّ سعادته بما سمعه منى وأن قال فى نهاية الحوار أنه وإن كانت التوقعات مشجعة على توقيع معاهدة الجلاء دون الحاجة إلى مرحلة حرب العصابات إلا أنه يطلب استمرار الاستعداد لهذه الحرب عصابات بكل الاهتمام والجدية فقد تضطر مصر إليها واثنى على قيادة وضباط المعسكر وطلب منى أن ابلغ كل زملائى فى جهاز مقاومة الوجود البريطانى فى مصر تقدير سيادته العميق لما تقوم به وما نضحى به فى تخطيط مدروس ناجح فى سبيل الاستقلال الكامل لمصر .

وانتهت الزيارة باجتماع عام للسيد الرئيس جمال عبد الناصر مع المتطوعين زادهم حماسا وغيرة على الوطن واستقلاله الكامل مهما كان الثمن .

فى الأسبوع الأخير من الدورة بدأت أشعر بارتفاع فى درجة حرارتى منذرة ببوادر **انفولونزا فجائية لازمتنى فى الأيام الأخيرة من الدورة واضطرت إدارة المعسكر إلى حجزى** فى مستشفى المعسكر حتى تم تخريج الدفعة فى غير وجودى ولم يكن يزورنى إلا الصديق شاكر عبد الحى يوميا وبقيت فى مستشفى المعسكر تحت رعاية كاملة من الزملاء ضباط المعسكر الأوفياء حتى تم شفائى .

عدت للقاهرة وكلى شوق وحماس للعودة إلى أرض المعركة وقد ازددت ثقة فى قدرة مصر على اقتناص حريتها الكاملة واستقلالها الكامل بجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد حوالى ثلاثة أرباع قرن كامل من الإحتلال المقيت .

وفى اجتماع لى بمجرد عودتى من انشاص مع الزملاء المسئولين عن مكتب القاهرة فى إدارة مكافحة القوات البريطانية بالمخابرات العامة علمت أنه تأكد اعتبارى Black Listed لدى كل القوات البريطانية ووزعت صورى من زواياها المختلفة على بوابات كل المعسكرات وعلى نقاط التفتيش المنتشرة فى كل المناطق المخصصة للقوات البريطانية على طول الشاطىء الغربى لقناة السويس كما أمكن تجميع العديد من البيانات عن بعض عملاء المخابرات البريطانية فى المنطقة الذين كلفوا بمتابعة اخبارى وتحركاتى واعطيت بيانا بهم بخلاف طبعا من لم تكشفه استطلاعات مندوبى المخابرات المصرية فى المنطقة . ولعل أكثر ما خفف من انزعاجنا جميعا لهذه المعلومات أن احدا من التقارير لم يشير إلى أن

المخابرات البريطانية اكتشفت انى ضابط بالمخابرات المصرية بل وأنى أحد قادة جهاز مكافحة الوجود فى البريطانى فى مصر وتناوبت التقارير أنى أحد أهم عملاء بعض ضباط المخابرات المصرية وأن كانت أكثر الترجيحات كانت تشير إلى أنى عميل للصاغ عبد الفتاح أبو الفضل نائب مدير مكتب المخابرات العامة المصرية فى الاسماعيلية .

كما علمت بالموقف الصعب الذى تعرضت له شركة انتركونتيننتال وأنها أيضا وضعت لفترة فى الـ Black List وحُرمت من أى تعامل لها مع القوات البريطانية حتى تمكنت مدام كونترفورس بصداقاتها الوثيقة مع القيادات البريطانية من إلغاء حظر التعامل مع انتركونتيننتال بشرط فصلى من العمل لديهم وتطهير الشركة من كل من لاحت أى شبهة تعامل مع المخابرات المصرية .

وفى هذا الاجتماع تدارسنا الموقف من كل جوانبه واستقر الرأى تماما على أهمية وجودى فى المنطقة ادير شبكاتى للمعلومات وللعمليات دون التورط فى دخول الكردون الأمنى للمخابرات البريطانية إلا فى بعض العمليات الليلية المدروسة جيدا على أن اتخذ كل اجراءات الحذر والحيطة .

وكان الإلحاح المسيطر على هذه الرؤيا هو حاجة المنطقة لوجودى الشخصى على أرض المعركة ليس فقط عندما تتطور الأمور لو صدر الأمر بالبدء فى حرب العصابات وإنما ما لا يقل أهمية عن ذلك استمرار متابعتى المباشرة للمعلومات والاستعدادات اللازمة للنجاح فى مثل هذا التطور .

فى اليوم التالى لهذا الاجتماع ركب محمد صلاح القطار إلى مدينة الاسماعيلية بصفة أكثر علانية فى ارتباطه بالمخابرات المصرية ومن محطة الاسماعيلية إلى أحد شوارع الاسماعيلية الجانبية حيث استأجر شقة وأمضى باقى اليوم وأوائل الليل فى تأثيثها تأثيث سفرى بسيط لإقامة عازب متوسط الحال واصطحبت معى Body guard المراسلة الخاص بى هاشم ليبقى فى الشقة طوال تنقلاتى المتوقعة ومبيتى المتكرر فى المنطقة المحيطة بالمعسكرات وليساعد فى بعض التكليفات التى سأطالبه بها .

ملحوظة : كان لكل ضابط جيش قبل الثورة مراسلة خاص وقد إلغت الثورة هذا النظام ولكن أكثرهم كانوا على ارتباط وثيق بمن خدموهم قبل إلغاء هذا النظام وكان من بينهم هاشم هذا .

القيادة العامة للقوات المسلحة
وحدة تدريب المتطوعين

(اخطار رقم ٢٠١)

حضرة ـــ محمد صبحي

تقرر قبولكم للتدريب ابتداء من يوم ٩ / ١٠ / ١٩٥٢ حتى يوم ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٢

وعليكم الحضور الساعة الثامنة صباحا يوم ٩ / ١٠ / ١٩٥٢

في [illegible]

ومعك مهماتك الداخلية وعدة الحلاقة

صاغ أركان حرب
[illegible]
قائد وحدة تدريب المتطوعين

رقم القيد ــــــــ

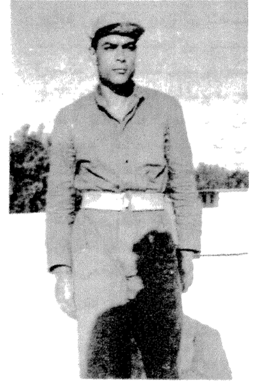
التاريخ ٧ / ١٠ سنة ١٩٥٢

المطبعة الأميرية ١٦٣٩١-١٩٥٢-٢٠٠٠٠

المواطن محمد صبحي
هو اليوزباشي بالمخابرات
محمد غانم



محمد صبحى
(اليوزباشى بالمخابرات محمد غانم)
متطوع فى معسكر انشاص للفدائيين



شاكر عبد الموجود
(اليوزباشى شرطة شاكر عبد الحى)
متطوع فى معسكر انشاص للفدائيين



إحدى تدريبات اجتياز الأسلاك الشائكة فى معسكر انشاص للفدائيين



حتى التدريب على الاسعافات الأولية كان من برنامج معسكرات انشاص للفدائيين



التدريب على اقتحام الدبابات فى معسكر انشاص للفدائيين

لم أستطع الغياب كثيرا عن المنطقة وقد التصقت بها وبمن جندته من فدائيين يسترخصون حياتهم فداء لمصر واستشعرت داخلى بإحساس من الرضا النفسى الكامل عما قمت وأقوم به مشاركا بعض الزملاء المخلصين المضحين فى سبيل استقلال مصر متصورا بيقين أن هذا الرضا النفسى لن يستقر فى وجدانى أفخر به يوما أمام أبنائى وأحفادى إلا أن تحقق الاستقلال الكامل بخروج آخر جندى بريطانى عن أرض مصر كلها ويزاملنى الشعور بأن هذا الخروج ليس سهلا ولن يتحقق إلا بالمزيد من الحركات الفدائية المؤثرة والتى قد تصل إلى مرحلة الصدام المباشر . وحيث أنى حلقة لها أهميتها تتكامل مع حلقات أخرى من شبكات الأجهزة التى أعدتها الثورة وتعتمد عليها مصر لهذا الهدف الذى هو أمل لكل مصرى فقد دفعنى اليقين الكامل بالله وبالقدر وتقييمى المدعم بالثقة بالنفس بما قمت به وما يمكن أن أقوم به فى تلك المرحلة أن أتمسك باستكمال ما قد بدأته وكلى اعتزاز بما قمت به حتى الآن وبما يمكن أن أقوم به ، وفوق هذا وذاك كلى يقين من أن الله معى ومعنا .

لن أنسى أبدا شعورى بالرضا والراحة وقد عدت لا أملك فى نفسى القدرة على الانسحاب أو التراجع أو حتى المهادنة ناسيا أو متناسيا ما قد يخبئه لى القدر وقد أصبحت طريد المخابرات البريطانية .

عدت إلى المنطقة وقد فقدت الكثير من أسلحتى لعل أهمها عدم قدرتى على دخول المعسكرات البريطانية من أبوابها بعدد من تصاريح المرور التى سحبت منى ولم يعد فى إمكانى بأى وسيلة الحصول على غيرها وكانت هذه التصاريح هى وسيلتى فى التواجد المأمون داخل كل معسكرات العدو تقريبا فى المنطقة من الإسماعيلية حتى السويس أنتقل فيها كما اشاء وكيفما يستدعيه تحقيقى لمهمتى ولم يعد أمامى من وسيلة لدخول هذه المعسكرات إلا ليلا وضمن تشكيلات مقاتلة تحف بها المخاطر فى كل لحظة .

عدت إلى المنطقة وأنا متأكد أنى طريد المخابرات البريطانية فى المنطقة والصيد الثمين الذى تبحث عنه أجهزة الأمن البريطانية بأى ثمن دفعتهم أن يضعوا صورتى فى كل منفذ بريطانى بتعليمات صريحة بالقبض على وتسليمى للمخابرات البريطانية أو قتلى على الفور إن أبديت مقاومة أو محاولة للهرب .

ولكن كل هذا لم يحبط من عزيمتى وإنما زادنى إصرارا على المسيرة من خلف أسوار المعسكرات مستمرا فى تجميع المعلومات وتجديدها من شبكات المعلومات التى نجحت فى توطيدها داخل المعسكرات وكنت حريصا كل الحرص ألا أحرقها ومستمرا فى توجيه الهجمات الفدائية على الأهداف المنتقاة داخل المعسكرات والمشاركة فى بعضها ولعل أكثر ما وجهت له اهتمامى كان الاستعداد والترتيب لاحتمالات اللقاء المسلح المباشر الشامل بين مجموعات الفدائيين المصريين والقوات البريطانية فى قناة السويس إن فشلت

المفاوضات خصوصا بعدما شاركت بنفسى فى إحدى دورات التدريب الخاص للفدائيين على مستوى عال فى معسكرات انشاص .

ولعل من أهم ما نجحت فيه فى مجال الاستعداد للقاء المباشر المسلح هو نجاحى فى تجنيد شبكة عمليات لا بأس بها أكثرهم حصل على دورة تدريب فى انشاص وهم يعملون داخل معسكرات القوات البريطانية أو خارجها متسترين بتجمعات المصريين داخل المعسكرات والمصريين المحيطين بالمعسكرات وفى خدمتها وقد كنت حريصا كل الحرص ألا أزج بأكثرهم فى أى عمل يكشفهم قبل موعد الحاجة إليهم ، والأهم من ذلك النجاح فى تهريب بعض قطع السلاح داخل المعسكرات نفسها يختلف عددها ونوعياتها طبقا لنوعيات المعسكرات ومدى يقظة أجهزة الأمن فيها ويختلف عددها أيضا على ضوء مدى تمركز الفدائيين المصريين فى المعسكرات المختلفة وسلطاتهم وامكانياتهم وقدراتهم .

وكان فى قمة هذا النجاح تمكن مجموعة فدائى أحد معسكرات جنيفة بالقرب من السويس من تفريغ حمولة ما يملأ عربة سكة حديد كاملة من الأسلحة المختلفة واخفائها داخل المعسكر متسترين بمخزون الدريس المجمع فى المعسكر لتغذية ما انفرد به هذا المعسكر بالذات من وجود بقايا بعض الخيل وبعض البغال فى هذا المعسكر .

وقد كانت بطولة ما بعدها بطولة وفدائية ما بعدها فدائية عندما اقترح على بعض فدائيى هذا المعسكر أن ندس الأسلحة بين شحنة الدريس المطلوبة لغذاء الخيل والبغال والتى تعاقدت السلطات البريطانية على إحضارها من منطقة بلبيس وبتعاون كامل من القوات المسلحة ومن العاملين فى مصلحة السكة الحديد وزعنا عددا كبيرا من الرشاشات والبنادق بل والهاون الصغير والمتفجرات وسط الدريس على العربات المخصصة لنقل الدريس من بلبيس إلى جنيفة . وفى معسكر جنيفة ثبتت بطولة وفدائية مجموعة فدائيى هذا المعسكر عندما نجحوا فى إنزال الدريس المعبأ بالسلاح ونجحوا فى إخفاء هذا القدر الكبير من الأسلحة والمتفجرات داخل إسطبل هذا المعسكر مستخدمين الدريس لإخفائه مع دفن بعض الأسلحة الكبيرة نسبيا فى أرض الاسطبل .

وقد استعادت القوات المسلحة المصرية هذه الأسلحة عندما حلت محل القوات البريطانية التى اخلت هذا المعسكر فى جنيفة دون أن يعرف القادة البريطانيون لهذا المعسكر أن معسكرهم كان أحد المخازن الرئيسية لسلاح الفدائيين الذى كان مجهزا ومهيأ لأى معركة شاملة ضد القوات البريطانية .

وبمناسبة الدور الفدائى للعاملين فى السكة الحديد المصرية فى منطقة القنال لا يفوتنى الإشادة كل الإشادة بدور معاون محطة سكة حديد أبو سلطان فى ذلك الوقت وبعض زملائه

العاملين فى خدمة خط السكة الحديد الذى ينقل ذخيرة القوات البريطانية من وإلى معسكر تخزين الذخيرة المركزية للقوات البريطانية فى أبو سلطان .

فقد كان من ضمن الاستعداد لاحتمالات اللقاء المسلح الشامل ضرورة المزيد من التعرف على معسكر تخزين الذخيرة المركزية للقوات البريطانية فى أحد المعسكرات المتخصصة لذلك والمقفولة على الجميع فى منطقة أبو سلطان والتى لها حراسة وترتيبات أمنية غاية فى الشدة .

وقد عرفنى مكتب المخابرات المصرية فى مدينة الإسماعيلية على بعض قادة مصلحة السكة الحديد فى المنطقة الذين يتعاونون كل التعاون مع المكتب . وعن طريقهم تعرفت على معاون محطة سكة حديد أبو سلطان ويؤسفنى غاية الأسف أن غاب اسمه الآن عن ذاكرتى مع تقديرى الكبير جدا له وايجابيته فى المساعدة فى تخليص مصر من محتليها واحترامى لتدينه وخلقياته وشكرى لما تحمله فى سبيل نجاح مهمتى .

من أوائل ما قمت به بعد عودتى للمنطقة وهذه حالى أن ذهبت إلى محطة سكة حديد أبو سلطان للاجتماع مع معاون محطة أبو سلطان .

ذهبت إليه متخفيا فى مكان عمله وإقامته فى محطة سكة حديد أبو سلطان وهما مكان واحد معروف باسم الدريسة . وكانت هذه الدريسة ولعلها مازالت موجودة حتى الآن هى مكان عمل وإقامة معاونى محطات السكة الحديد المصرية الصغيرة اينما كانت .

كان شابا مسيحيا ضخم الجسم يتميز بوجهه السمح وابتسامته الدائمة وضحكته المجلجلة التى تهز كل جسمه الضخم كلما كان هناك ما يدعو إلى الضحك وما أكثره عنده . ولعل أكثر ما حببنى إليه وقربنى منه طيبته الطبيعية بكل صفاء وتمسكه الواضح بتعاليم دينه .

كان عازبا رغم تجاوزه الخامسة والثلاثين من عمره ولعله كان يعتبر نفسه راهبا ديره هو الدريسة التى يقيم فيها ناسكا يعبد ربه بصلواته المتكررة ويتقرب إليه بالتفانى والإخلاص فى عمله . وفى أول لقاء لى معه لم يكن صعبا على مثلى أن يكتشف صدق حماسة لخدمة مصر والاستعداد للتضحية فى سبيل استقلالها وأن هذا الحماس إنما ينبع من وازع دينى مقتنع به كل الاقتناع مما دعانى أن أكاشفه صراحة بالهدف من زيارتى له . وكان غاية فى التجاوب ففى جلسة طويلة لا يشاركنا فيها أحد أعطانى كل ما يعرفه عن مخازن ذخيرة القوات البريطانية فى معسكر الذخيرة فى أبو سلطان الذى من واجبه أن يدبر حركة دخول وخروج قطارات السكة الحديد تحمل إلى المعسكر وتحمل من المعسكر الأنواع المختلفة من الذخيرة التى أصبحت من تكرار تداولها معروفة لديه ولم يغب عنى أن مثل هذه المعلومات يوافى بها أولا بأول مكتب مخابرات الإسماعيلية . ولم يكتف بذلك

وإنما رسم لى كروكيا واضحا من ذاكرة لا تخيب عن تفصيلات المخزن والأماكن المختلفة لكل نوع من أنواع الذخيرة وإن لم تسعفه الذاكرة لتحديد نقاط الحراسة وتسليحها .

وفى نهاية الجلسة الطويلة الناجحة كل النجاح اقترح على اقتراحا إيجابيا طالما تمنيته بأن يدبر لى الوسيلة الأمنية لدخولى المعسكر . وكان الاقتراح أن أعمل عطشجيا على القاطرات التى تجر عربات السكة الحديد البضاعة التى تنقل الذخيرة من وإلى المعسكر .

كانت قاطرات السكة الحديد التى تخدم احتياجات القوات البريطانية فى منطقة القنال حتى تلك الفترة فى منتصف الخمسينيات يعمل بعضها أو لعل كلها بالفحم ولم تتحول بعد إلى قاطرات الديزل كما هو الحال حاليا وحتى يستمر اشتعال الفحم لتوليد البخار الذى يدفع القاطرة كان لابد من تموين مستمر لدفعات متتالية من الفحم ينقله بالكوريك من مخزن ملحق بالقاطرة إلى فرن القاطرة عامل يسمى عطشجي يقف نصف عار على فتحة فرن القاطرة يقطر عرقا من اللهب المشتعل بشدة على بعد مالا يزيد عن خطوة من مكان وقوفه بين فتحة الفرن ومخزن الفحم لا عمل له طوال تحرك القطار أو حتى توقفاته المؤقتة إلا دفع المزيد من الفحم إلى فرن القاطرة وإلا توقفت القاطرة لعدم تولد البخار اللازم باستمرار لدفع القاطرة للتحرك .

كان اقتراحا غريبا ولكنه الوسيلة الفعالة والآمنة فى نفس الوقت لدخول معسكر الذخيرة لمن كان مثلى من المحال أن تتقدم مصلحة السكة الحديد المصرية لامن القوات البريطانية لإعطائها تصريحا بدخولى معسكر ذخيرة أبو سلطان كفرد من عمال المصلحة اللازمين لخدمة الخط وكان الترتيب الأمنى أن أظل مختبئا فى الدريسة حيث يقيم معاون المحطة وعند مرور القطار أمام الدريسة يبطىء القطار وينزل منه عطشجى القطار الرسمى ذو تصريح المرور المعترف به من الأمن البريطانى ليختبىء بدلا منى فى الدريسة وأطلع أنا مكانه على أن أجهز طقما آخر من الملابس طبق الأصل من ملابس العطشجى ولن يتصور حرس القطار حدوث مثل هذا التغيير . وهكذا أدخل المعسكر كعطشجى للقطار ويتم التبديل العكسى عند عودة القطار من المعسكر .

استلزم لنجاح هذه الخطة أن أعود للقاهرة لعدة أيام تمرنت فيها فى ورش السكة الحديد على عمل العطشجى وتعرفت على خصوصيات من يعمل هذا العمل واصطلاحاته حتى أتقنتها تماما وفى نفس الوقت أعدت إدارة المخابرات لى بطاقة تحقيق شخصية باسم رمزى أرمانيوس على أساس أنى ابن أخت معاون محطة أبو سلطان المسيحى وعدت لدريسة أبو سلطان لاجد خالى المعاون المسيحى لمحطة أبو سلطان قد أشاع فى المنطقة وبين عمال سكة حديد الخط أن ابن أخته رمزى أرمانيوس سيحضر ليقضى بعضا من أجازته مقيما معه فى الدريسة .

وخشية أن يكون بين عمال السكة الحديد من جندته المخابرات البريطانية تعمد المعاون ألا يعلم بهذه الخطة إلا عدد محدود جدا من عمال المصلحة الذين يثق فيهم كل الثقة وسبق أن تعامل معهم ومنهم بطبيعة الحال العطشجى الذى سأعمل بديلا عنه .

سارت الأمور فى محطة سكة حديد أبو سلطان لعدة أيام سيرا طبيعيا بين شاب عنده فراغ يقضى أجازته فى حنان خاله ومن يوم لآخر يدخل هذا الشاب خلسة لمعسكر ذخيرة أبو سلطان عطشجى لاحد القطارات الحاملة للذخيرة إلى المعسكر أو ناقلة للذخيرة من المعسكر تم خلالها عمل رسم دقيق وعلى مستوى عسكرى مدروس لمخازن الذخيرة بأنواعها المختلفة وكيفية حراستها مما شجع عند انتهاء مهمة الدراسة بالتفكير فى عملية تفجير داخل المخازن .

وفرضت الأمانة على الشاب رمزى أرمانيوس ألا يفكر فى ذلك دون استئذان خاله والتأكد من أن مثل هذا الإجراء لن يؤذيه أو يؤذى أحدا من عمال السكة الحديد .

تجاوب المعاون مع ابن أخته واختار عددا محدودا من عتالى السكة الحديد الذين تتعاون معهم القوات البريطانية فى تعتيق وتستيف صناديق الذخيرة على القطار وفى المخازن مع وعدهم بأن تعينهم السكة الحديد فى مراكز أحسن بعيدا عن منطقة قناة السويس بعد عملية التفجير واكتشاف دورهم فيها .

وفى الليلة المحددة وبتدبير محكم تعاون فيه الكثيرون من مجاهدى وفدائيى مصلحة السكة الحديد وصل إلى ميناء بورسعيد القطار المخصوص الذى طلبته القوات البريطانية لنقل شحنة جديدة من الذخائر وصلت إلى بورسعيد وتوصيلها إلى مخازن ذخيرة القوات البريطانية فى أبو سلطان .

ولم يتنبه والحمد لله طاقم الحراسة البريطانية للقطار إلى أن بعضا من عربات هذا القطار قد تعلق بدناجل بعض عجلاتها عدد من الألغام والمتفجرات تم إحكام إخفائها بمهارة - انتقلت صناديق الذخيرة بصورة طبيعية جدا من السفينة فى بورسعيد إلى عربات قطار الذخيرة وقامت دورية الحراسة البريطانية المرافقة للقطار بكل إجراءاتها الأمنية ... فتشت على الأقفال وتأكدت من تمام إقفالها لكل العربات وراجعت تصاريح مرور السائقين وفنيى القطار وعتاليه وتأكدت من أنهم هم فعلا أصحاب التصاريح ومنهم عطشجى القطار الرسمى .

حتى استبدال العطشجى عند محطة أبو سلطان وحلول رمزى أرمانيوس مكانه لم يكن ليلفت أى نظر .. ودخل قطار الذخيرة المعسكر ليلا يتهادى فخورا بما يحمل فى عرباته المغلقة بإحكام من صناديق الذخيرة ومعتزا بما يحمل فى دناجل عجلات بعض عرباته من

متفجرات أحسن اعدادها وأحسن تخبئتها ومخفيا فى أحشائه ضابط المخابرات المصرى تحت غطاء عطشجى القطار الذى يقطر عرقا من وهج النيران المشتعلة والمسئول عن إشعالها باستمرار فى فرن القاطرة والذى دبر بإحكام إشعالاً آخر لبعض مخازن الذخيرة للقوات البريطانية فى غفلة ورغما عن الحراسة المشددة لحماية هذه المخازن .

وتحت تشجيع دورية حراسة القطار للعتالين لسرعة إنزال حمولة القطار من صناديق الذخيرة وتستيفها فى مخازنها نجح العتالون الفدائيون المدربون فى فك المتفجرات من دناجل القطار وتركيب مولدات الانفجار ذى الساعات المحدد لها انفجارا بعد خروج القطار من المعسكر بثلاث ساعات ودسها بين صناديق الذخيرة التى يقومون بتستيفها فى المخازن . وانتهت المهمة بسلام والحمد لله وأقفلت المخازن وتأكدت دورية حراسة القطار من أن الجميع بلا استثناء قد حمله القطار فى عودته دون أن يُترك أحد لأى عبث يخشونه وصفَّر قائد دورية الحراسة لقائد القطار معطيا إياه الأمر بالعودة وسرعة مغادرة المعسكر .

وعند محطة أبو سلطان تم التبديل العكسى للعطشجى وسافر القطار إلى حيث يستخدم فى نقليات أخرى طبقا لتعليمات مصلحة السكة الحديد وبعد دقائق كان رمزى أرمانيوس قد تخلص من دوره كابن أخت المعاون وشكره مودعا ليعود بأسرع ما يمكن قبل أن يحدث الانفجار متوقعا أن تقوم القوات البريطانية بالتفتيش الدقيق وأن اكتشاف وجوده فى الدريسة ستكون نهايته ونهاية المعاون الشهم .

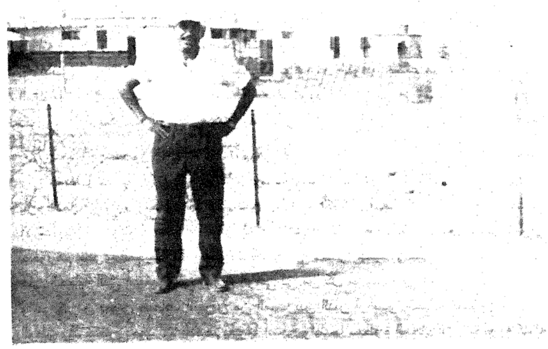
دوى الانفجار رهيبا فى موعده وانتشرت القوات البريطانية فى المنطقة كلها تبحث عن المشبوهين وفتشت ضمن ما فتشت دريسة محطة أبو سلطان وقبضت على معاون المحطة واستجوبته وطبعا أنكر علمه بأى شىء ولم تجد معه القوات البريطانية أى دليل لأى دور له فى العملية فاضطرت إلى الإفراج عنه تسبقه سمعته فى أنه راهب ناسك لا يهمه من الدنيا سوى التعبد إلى ربه وإرضائه - وكل ما اتخذته القوات البريطانية من إجراءات وقائية هى أن تشترط على مصلحة السكة الحديد أن يعمل على القطارات التى تخدم القوات البريطانية عمال وفنيون وعتالون تختارهم القوات البريطانية ممن تثق فيهم كل الثقة .

لم يكن صعبا على أن أتأقلم سريعا في وضعى الجديد من خارج أسوار المعسكرات البريطانية بعدما حرمت من حرية الحركة كاملة داخل المعسكرات البريطانية . ولعل الفضل الأول لذلك كان للنجاح الذى وصلت إليه شبكاتى للمعلومات وتمركزها الواثق من نفسه ومن قدراته فى كل ركن من أركان المعسكرات البريطانية فى ذلك الوقت وللنجاح أيضا لشبكاتى للعمليات وقد صقلها ما مر بها من تجارب موفقة كل التوفيق يساعدها كل المساعدة دقة المعلومات التى نبنى على أساسها خطة العمليات وباختصار كنا قد وصلنا إلى وضع تكاد تكون فيه المعسكرات البريطانية كتابا مفتوحا لنا والقوات البريطانية وأسرارها فى متناول أيدينا .

ولعلها مناسبة لا تفوتنى الإشادة بوطنية وفدائية كل من كنت أنتقل بينهم لأقابل من يلزم الأمر مقابلتهم وأخطط ما أريد التخطيط له وأخزن وأجهز كل ما تحتاجه العمليات الإزعاجية ، وأبيت إن أحتاج الأمر للمبيت فى بيوتهم وفى قهاويهم وفى محالهم وفى جحورهم بالقرى المحيطة بالمعسكرات البريطانية - كانوا جميعا والشهادة لله وبعد حمد الله على الحماية التى أسبغها على الدرع الواقى لى من كل ما تدبره لى المخابرات البريطانية وأعوانهم من بعض ضعاف النفوس من المصريين الذين ارتضوا العمالة المأجورة لأعداء الوطن وقد تقلص بحمد الله عددهم بعد ما أصبح واضحا سيطرة المخابرات المصرية كاملة على المنطقة ونتيجة للتعاون الايجابى من الأكثرية الغالبة من المصريين الوطنيين المقيمين خارج كردون الأمن البريطانى بكشف ستركل من يغريه الشيطان والمساعدة على إقصائه من الطريق أولاً بأول .

وخلال هذه الفترة لم تتنوع كثيرا أشكالى للتخفى فكان أكثرها محمد صلاح المعروف أنه عميل للمخابرات المصرية بعدما انكشف أمره للمخابرات البريطانية ولكن حرصى كله - ولعلى نجحت فى ذلك - كان أن يكون المعروف عنى أنى مجرد عميل للمخابرات المصرية من خلال ضباط المخابرات المصرية المعروفين فى المنطقة وبصفة خاصة الصاغ عبد الفتاح أبو الفضل محاولا ألا يُعرف عنى أنى نفسى أحد ضباط المخابرات المصرية بل وأحد قادة الجهاز الذى كلفته المخابرات المصرية والثورة لمكافحة الوجود البريطانى فى مصر .

ومن وقت لآخر كانت الظروف تفرض على أن أتشكل بأشكال أخرى مثلما كنت فى فترة من الفترات رمزى أرمانيوس ابن أخت معاون محطة سكة حديد أبو سلطان ومثلما اتخذت فى فترة أخرى المتاجر فى مسروقات الجيش البريطانى المقيم فى أحد مساكن كازينو سماربلو فى فنارة فى منتصف الطريق بين الإسماعيلية والسويس ، ولعل أغرب ما صادفنى هو اقامتى لعدة أيام فى أحد المساكن المطلة على البحيرة فى كسفريت فى صورة شاب من الذوات يغوى صيد السمك ودعوت فى هذا السكن بعضا من قادة مطار كسفريت



الفدائى ضياء حسانين
أمام أحد المعسكرات البريطانية

البريطانية وعائلاتهم التى يجمعهم غوايه صيد الأسماك . وبحصولى على المعلومات التى كنت مكلفا بها عن مطار كسفريت انتهى دورى كشاب ابن ذوات وعدت ثانية للمتكسب من عمالته للمخابرات المصرية محمد صلاح .

خلال هذه الفترة تحقق لنا أكبر كسب معلوماتى بالنجاح فى حصولنا بانتظام على التقرير الأسبوعى TOP TOP SECRET الذى تجهزه القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر من مركزها فى فايد والذى يوزع فى أعداد محددة ومرقمة لأعلى المستويات البريطانية أذكر منها رئيس الوزراء البريطانى ووزير الحربية البريطانى ووزير الخارجية البريطانى .

والقيادة العامة للقوات البريطانية فى لندن والسفير الانجليزى فى القاهرة وغيرهم ممن هم قريبون من هذا المستوى .

وقد كان التوفيق فى ذلك حليف الشاب الفدائى ضياء حسانين وكان أحد المساعدين الذين أعتمد عليهم كثيرا فى شبكة المعلومات وكنا لفترات متقطعة نعيش سويا فى مكان واحد ومعنا ثالثنا عباس شوقى السابق التنويه عنه .

لا أذكر كيف بدأت العلاقة مع مستر جيز الموظف المدنى فى رئاسة القوات البريطانية فى فايد المالطى الجنسية والذى كان يعمل فى المطبعة السرية للقيادة البريطانية فى فايد ولكنى أذكره تماما بجسمه الضئيل وحبه العنيف لزوجته الإيطالية ذات الجمال الأخاذ الذى لا يمكن تجاهله أو نسيانه - كان يعبدها ولم يخف علينا استعداده لأى تضحية فى سبيل مرضاتها ، وكانت هى تحس فيه هذه الغيرة لإرضائها وتستغلها فيه كل الاستغلال وكلما احتاجت لأحد متطلباتها وأكثرها متطلبات مالية جنحت ببعض اهتمامها إلى أحد الشبان المحيطين بها وبزوجها فتوقد النار فيه التى لا يطفئها إلا انصياعه لما تطلبه منه - وكان الشاب ضياء حسانين فى كثير من الأحيان أحد من تستخدمهم الزوجة لإيقاد النار فى قلب زوجها وإن كان ضياء نفسه أكثر اهتماما بابنتهما التى لم تكن لتتعدى الخامسة عشرة من عمرها فى ذلك الوقت وعلى جمال قريب من جمال أمها - ومن هذه العلاقة المركبة أمكن اختراق مستر جيز .

كان مستر جيز قد تعرف على زوجته الإيطالية وتزوجها فى القاهرة منذ أكثر سبعة عشر عاما مضت عندما كانت القوات البريطانية تعربد فى القاهرة وغيرها من المدن المصرية الرئيسية قبل أن تفرض عليها المعاهدة المصرية البريطانية التى وقعت فى ١٩٣٦ ونفذت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن تتركز كلها فى منطقة قناة السويس .

ووقت أن تعرفنا عليهم كانوا ومعهم ابنتهم ذات الخمسة عشر ربيعا يقيمون فى أحد المنازل المتواضعة خارج المعسكرات البريطانية - وكنا ثلاثتنا - محمد صلاح وضياء حسانين وعباس شوقى نقيم فى منزل مجاور ونتردد جميعا على كازينو سماربلو فى المنطقة المدنية من فنارة .

وبتخطيط متفق عليه زاد الشاب ضياء حسانين من ارتباطه بعائلة جيز بداية بالتعرف على متطلبات مدام جيز والإسراع بتقديمها لمستر جيز ليقدمها بدوره إلى زوجته ليكسب رضاها ويطفىء غيرته من تمثيلها التعاطف مع غيره - وساعد ضياء على كسب ثقة الأسرة وارتباطه بها توطد علاقته العاطفية مع ابنتهما حيث كان يقضى نهاره كله مع الزوجة وابنتها وفى خدمتهماخلال تواجد مستر جيز فى عمله . وفى المساء وفى جلسته المسائية اليومية مع مستر جيز عقب عودته من عمله فى المطبعة السرية لقيادة القوات البريطانية فى مصر يخلق المناسبات لتقديم الهدية التى يعرف مدى تطلع الزوجة لها وفى أعقاب كل هدية يقدمها لمستر جيز ليعيد تقديمها إلى زوجته كان مستر جيز يدفع الثمن دون أى إيحاء منهما أن هناك ثمنا لشىء ما بل أن هناك شيئا يستحق أن يكون له ثمن وإن كان كلاهما على يقين من أن ما يعطيه مستر جيز للشاب ضياء من معلومات سرية عن القوات البريطانية فى مصر على أعلى مستوى والهدايا التى يحصل عليها مستر جيز أو بمعنى أصح مسز جيز هى صفقة متعادلة مقبولة من الطرفين .

كان المستر جيز بحكم عمله كموظف مدنى متواضع فى المطبعة السرية لقيادة القوات البريطانية فى مصر ومقرها فى فايد مطلعا على النشرات السرية التى تطبعها هذه المطبعة ومن المؤكد أنه لم يكن ذا وضع رئيسى فى إدارة هذه المطبعة ولكنه بطبيعة الحال كان فى وضع يسمح له بأن يقرأ ما يقع تحت يديه من أوراق أو مطبوعات أو حتى مسودات للمطبوعات .

وباستدراج ذكى من الشاب ضياء بدأت الاستفادة من مستر جيز بأن ينقل إليه شفهيا ويوميا بعض ما وقع تحت عينيه من أخبار قيادة القوات البريطانية فى مصر وكان هذا فى حد ذاته مغنما كبيرا لجهاز مكافحة الوجود البريطانى فى مصر وباستمرار تطلعات الزوجة المادية لمظاهر الحياة التى تزيد عن قدرات زوجها المحدودة وبازدياد تعلق الزوج بزوجته والتفانى فى اكتساب رضائها تطور الثمن المدفوع برضاء كامل من الزوج حتى بدون أن يطلب منه ذلك صراحة إلى محاولة أن يدس فى ملابسه بعضا من الأوراق أو المسودات التى كانت لها أهمية كبرى لنا إلى أن كان يوما علم الشاب ضياء بأن أخت زوجة جيز وهى أيضا إيطالية تقيم فى إيطاليا طلبت من أختها أن تدبر لها قضاء أسبوع فى مصر وبالتالى طالبت زوجة جيز زوجها بأن يدبر لها ميزانية مريحة تسمح لها أن تستضيف أختها أسبوعا معها فى الإسكندرية التى لهما فيها ذكريات قديمة والقاهرة والأقصر وأسوان .

وأسقط فى يد جيز وجعل أننا من طين وأننا من عجين ولكن زوجة جيز لم تكن من الزوجات اللائى يقف فى سبيلهن طين أو عجين فكان أن جعلت حياة جيز كلها طين واضطرته أن يطلب من الشاب ضياء تدبير الأمر مع من بيدهم الأمر فى مصر لتحقيق حلم الزوجة وأختها .

وهنا وصل الأمر إلى منتهاه فقبول مستر جيز لهدايا ضياء حسانين مقابل الإفشاء ببعض المعلومات السرية ثم تطور الأمر إلى تسليمه لنا بعض ما تصل إليه أياديه من أوراق لاشك يعنى أن مستر جيز يعرف أنه يتعامل مع أحد أجهزة المخابرات المصرية التى وحدها يهمها الحصول على مثل هذه البيانات والمعلومات والأوراق - وبالوصول إلى هذه المرحلة التى أوصلت مستر جيز إلى مرحلة اللاعودة لم يكن صعبا أن نطالب بالثمن الحقيقى للصفقة التى نضجت تماما .

فكان شرط الشاب ضياء لتدبير الأمر للزوجة وأختها وابنتها لقضاء أسبوع العمر فى الإسكندرية والقاهرة والأقصر وأسوان دون أى إجراءات شكلية لارتباطهم بالقوات البريطانية والأهم من ذلك دون تحميل مستر جيز أى مليم هو أن ينتظم مستر جيز فى موافاة الشاب ضياء أسبوعيا بصورة من التقرير الكامل TOP TOP SECRET الذى تطبعه

، وتوزعه قيادة القوات البريطانية فى مصر على أعلى مستوى فى لندن وفى السفارة البريطانية فى القاهرة وعلى عدد محدود جدا جدا من أكبر القيادات البريطانية فى منطقة قناة السويس .

ووافق مستر جيز دون تردد ويبدو أنه لانقضاء مدة طويلة جدا عليه فى الخدمة فى المطبعة السرية دون أن يتسرب الشك إلى سلوكياته ولمعرفته كل خبايا المطبعة لم يكن صعبا عليه أن يوافينا أسبوعيا فى يوم صدور النشرة وحتى فى اليوم الأسبق لتوزيعها بنسخة من بروفات هذه النشرة .

وفى الحقيقة كشفت هذه النشرة لإدارة المخابرات العامة المصرية وللقيادات السياسية والعسكرية فى مصر أولا بأول بأعمق أسرار القيادة البريطانية فى مصر إذ كانت النشرة تحوى ضمن ما تحوى بيانا بأهم العمليات الفدائية التى تمت خلال الأسبوع ونتائجها المادية والمعنوية والبشرية وتحوى كل التحركات العسكرية للقوات البريطانية فى منطقة قناة السويس خلال الأسبوع وتحوى بابا هاما عن مستوى الروح المعنوية بين القوات البريطانية مع فقرة عن تقدير قيادة القوات البريطانية فى مصر للروح المعنوية للمصريين بصفة عامة والمقيمين منهم داخل وحول الكردون الأمنى البريطانى بصفة خاصة وفقرة عن رد الفعل العسكرى للبنود التى تم الاتفاق عليها وما هى تحت التفاوض فى المفاوضات بين الجانب المصرى البريطانى إلى غير ذلك مما أنار الطريق أمام جهاز مكافحة الوجود البريطانى فى مصر وأمام وفد المفاوضة المصرية فى رسم سياسة تبنى على تفهم واضح لكل الظروف والاحتمالات .

وفى الحقيقة كانت هذه صفقة ما بعدها صفقة حقق منها الجميع ما يصبوا إليه ، فقد حصلت مصر على كنز ما بعده كنز من المعلومات عن العدو واتجاهاته وحصل مستر جيز على رضاء زوجته عنه وحصلت الزوجة وأختها وابنتها على أسبوع الأحلام تكفلت به المخابرات المصرية فى مصر متنقلين من الإسكندرية إلى القاهرة إلى الأقصر وأسوان فى أحسن الفنادق وعلى أحسن ما يكون الترتيب السياحى الممتاز ولم تنس الصفقة طباخها فقد حصل الشاب ضياء حسانين على أقصى ما كان يتصوره من ثمن قضاء أسبوع كامل مع أحبائه مسئولا عن راحتهم ومشاركا لهم فسحتهم .

لبى جميع ضباط مخابرات جهاز مكافحة الوجود البريطانى فى مصر الدعوة لاجتماع مشترك فى إدارة المخابرات بالقاهرة وفى هذا الاجتماع الذى شارك فيه بعض أساتذة الجامعات وبعض المدنيين المتخصصين فى العلوم النفسية وفى الرسم الكاريكاتيرى ، بحث المجتمعون الفكرة التى أعدتها الإدارة بمتخصصيها وخبرائها بإضافة الحرب النفسية ضد أفراد القوات البريطانية فى مصر ضمن الإزعاج المستمر المكثف على الوجود البريطانى الجاثم على أنفاس مصر فى منطقة قناة السويس .

وأيد جميع المشاركين الفكرة مؤكدين أنها فى وقتها السليم وقد ازداد قلق أفراد القوات البريطانية من كثرة ما يلاقونه نتيجة وجودهم فى جو معاد يبيتون فيه ويصبحون لا يعرفون من أين تأتيهم الضربة التالية ولكنهم دائما يتوقعونها ونتيجة تفككهم الأسرى وحنينهم إلى الجو العائلى الآمن المستقر وسط أولادهم وأحبائهم فى وطنهم الأم فى بريطانيا .

ولما كانت الوسيلة المقترحة لبداية هذه الحرب النفسية هى اعداد منشورات باللغة الإنجليزية مدعمة بالكاريكاتير والاسكتشات المختارة اختيارا جيدا نافذ التأثير على كل من يطلع عليها والمجهزة بما يناسب الفكر البريطانى على أن يتم توزيع هذه المنشورات على أوسع نطاق على أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم فقد طلب العلماء النفسيون ومتخصصو الرسم الكاريكاتيرى الذين كانوا ضمن الاجتماع من شبكة ضباط المخابرات المشاركين فى خطة إلغاء الوجود البريطانى فى مصر أن يحددوا لهم المواجع الممكن أن يكون فى إبرازها فى المنشورات ما يحول هذه المنشورات إلى خناجر تصيب أهدافها فى مقتل وذلك بحكم معايشتهم للقوات البريطانية وعائلاتهم فى منطقة قناة السويس ومعرفتهم بما يثيرهم ويزيد من قلقهم .

وأذكر أن أثير هذا الاجتماع عدد من المواجع منها :

- أن الضابط البريطانى والجندى البريطانى بعد حرب شرسة هى الحرب العالمية الثانية كانت وقودها الأساسى الجيش الإنجليزى والشعب الإنجليزى وتحمل كلاهما الحرب وويلاتها خلال خمس سنوات طوال كان يتوقع بنهاية الحرب أن يعيش فى سلام - ويوم اختير ليكون ضمن القوات البريطانية فى مصر راودته أحلام الإقامة الهادئة المريحة المنعمة فى أرض مضيافة بشمسها المشرقة حلم كل من تربى فى ضباب الجزيرة البريطانية .

ولكن للأسف كان كالمستجير من الرمضاء بالنار فالحياة التى كان يتوقعها ليست إلا جحيما آخر يزيد من قسوتها أنها تماما على عكس ما كان يأمل ويتوقع .

- بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولإغراء أفراد القوات البريطانية المطلوب منها الإقامة فى مصر بعد ويلات هذه الحرب وما فرضته من ابتعاد رب الأسرة عن أسرته رتبت

الإدارة البريطانية بعض المساكن وتسهيلات الإقامة لعدد من أفرادها الذين يرغبون أن يحضروا أزوجاتهم وعائلاتهم للإقامة معهم فى مصر وكانت هذه أغلى الأمانى لهؤلاء الأفراد ولكن استمرار حرب الإزعاج التى شملت ضمن ما شملت العائلات البريطانية أيضا المقيمة فى منطقة قناة السويس قلبت الأوضاع وأصبح حماية هذه الأسرة والبعد بها عن القلق همًا جديدا ومسئولية تزيد من مشاكل وقلق أفراد القوات البر يطانية الذين ظنوا الأمان والراحة فى أصطحاب عائلاتهم معهم .

- أما من فضَّل أو فرضت ظروفه أن يبقى عائلته فى الجزيرة البريطانية فقد كان انتشار القوات الأمريكية فى الجزيرة البريطانية بعد الحرب وبلا حرب مدعاة قلق شديد لرب الأسرة البريطانى المقيم على قناة السويس ضمن قوات الاحتلال البريطانى لمصر لما تردد كثيرا من اغراء أفراد القوات الأمريكية للزوجات الانجليزيات وللمآسى التى تأكدت عن العلاقات الآثمة بين بعض الزوجات البريطانيات وبعض أفراد القوات الأمريكية اللاهية العابثة فى الوطن الأم .
- فى تلك الفترة انتشر وباء الكوليرا من قرية القرين القريبة من المعسكرات البريطانية ورغم كل ما قامت به السلطات الطبية البريطانية من إجراءات وقاية وعلاج إلا أن بعض الوفيات بين أفراد القوات البريطانية جعلت من الكوليرا وغيرها من الأمراض المتوطنة فى مصر شبحا مخيفا لكل أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم فى منطقة قناة السويس .
- صادف أن كان صيف تلك الفترة غاية فى شدة الحرارة وهو أمر لم يتعوده من ولد فى بلاد شمالية ذات الجو المائل للبرودة وقد زاد من قسوة قيظ الصيف ما فرضته ظروف حرب الإزعاج على أفراد القوات البريطانية من مزيد من دوريات الحراسة ومن استمرار حفر خنادق الحماية وتكويم أكياس الرمل فى عمليات مستمرة لإنشاء وتدعيم الدشم تحت شمس حارقة ورطوبة تخنق الأنفاس .
- الكردون التموينى الذى تحيط به السلطات المصرية منطقة التواجد البريطانى فى المنطقة مع تقشف الخزانة البريطانية لظروفها العاجزة عن تعويض ما ينقص أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم من مواد تموينية ومواد معيشية أخرى كانت لها بلاشك ظلالها الغير مريحة على كل من هو داخل هذا الكردون التموينى
- رغم أن هذا لم يحدث لأسباب إنسانية إلا أن الشعور الغالب الذى كان مسيطرا على كل أفراد القوات البريطانية فى المنطقة أن الفدائيين المصريين يسممون مصادر المياه لهذا يكاد يكون جميع أفراد القوات البريطانية قد حرموا أنفسهم استخدام مياه الحنفيات للشرب أو للاستخدام فى الأكل مستعيضين عن ذلك بالمياه الغازية القليلة المسموح لهم بها وحتى هذه المشروبات الغازية سرت الاشاعة أن الفدائيين المصريين وصلوا إلى مصانع المياه الغازية وسمموها (وهذا ليس صحيحا) .

ونفس الشيء بالنسبة لكثير من المأكولات الطازجة والمعلبة والجافة كانوا فى هلع من احتمال أن تكون مسممة .

ولاشك أيضا أن حياة كهذه كانت مثيرة للقلق والبلبلة .

- الكثير من الإنجليز فى المنطقة وخاصة الإنجليزيات بدأن يثقن فى أن هناك أرواحا شريرة فى المنطقة لا يرونها - تساعد الفدائيين المصريين الذين عجزت القوات البريطانية عن منع أذاهم .
- الأجانب بصفة عامة والإنجليز بصفة خاصة يفضلون قضاء الأجازات خارج منازلهم وفى أماكن الترويح المختلفة .

والعمليات الفدائية والخوف منها حرم أفراد القوات البريطانية من أن يغادروا حدود تكناتهم المحمية حتى مناطق الترفيه داخل حدود هذه التكنات التى أنشأتها لهم الإدارة البريطانية لم تلاق أى ترحيب من العائلات البريطانية لأنها أولاً وأخيراً جزء من التكنات مدججة السلاح وهم يحلمون بالمناخ المريح للأعصاب البعيد عن السلاح والبعيد عن كل ما يذكرهم بالهم الذى يعايشونه طوال الأسبوع وينتظرون نهاية الأسبوع ليتحرروا مما يوتر حياتهم .

- أفراد القوات البريطانية المقيمين فى مصر كانوا مقتنعين بجدوى حربهم ضد المانيا ولكنهم غير مقتنعين اطلاقا بجدوى ما يتعرضون له من موت على أرض مصر بلا ذنب اقترفته مصر ضد بريطانيا .

وقد استوعب المختصون كل ما دار فى هذا الاجتماع وطُلب منا أن ننتظر قريبا منشورات تركز على كل هذه المواجع وعلينا أن نوزعها على أكبر نطاق مستعينين بشبكاتنا داخل وخارج المعسكرات .

وفعلا وصلتنا هذه المنشورات وقد أحسن إعدادها أذكر منها :

- منشور برسم كاريكاتيرى عن جندى بريطانى منهمك فى تستيف أكياس الرمل فوق دشمته ولسان حاله يقول له هل ستحمينى هذه الدشمة فعلا من الفدائيين وإن كانت فعلا تحمى فلماذا مات زميلى جورج فى دشمته . وإن حمتنى الدشمة من الفدائيين فمن سيحمينى من الكوليرا وليس لها دشمة .
- منشور آخر برسم كاريكاتيرى آخر عن جندى يتصبب عرقا تحت شمس حارقة وقد خلع قميصه من شدة الحر وهو يحفر خندقا لحمايته وحماية جماعته من هجمات الفدائيين وفى مخيلته جندى أمريكى يخلع قميصه فى غرفة نومه فى لندن مع زوجته .
- منشور آخر عن رسم كاريكاتيرى لجندى بريطانى مرتعد يهرب من أمام فدائى مصرى من جهة يمين الصورة ليفاجأ بعزرائيل الموت بمنجله الذى يعبر عن وباء الكوليرا عن يسار الصورة ولسان حاله يقول « كده ميت ... وكده ميت » .

- كتيب صغير تشير بعض صفحاته إلى المهام الشاقة التى يتعرض لها الجندى البريطانى على أرض مصر ويستكمل ببعض الصفحات عن النعيم الذى ينعم به الجندى الأمريكى على الأراضى البريطانية ثم صفحة سوداء يعقبها صفحات عن بريطانيات بعضهن حامل وفستانها عليه العلم الأمريكى أو بريطانيات يسحبن ورائهن أطفالهن يتشدقون وينفخون فى اللبان الأمريكى مما يوحى أنهم أولاد سفاح من أمريكيين .
- منشور آخر موجه إلى السيدات عن خنجر يحاول أحد الفدائيين غرسه فى قلب زوجها أحد الضباط البريطانيين ويقول المنشور أن هذا المنشور مثلما وجدتيه على سريرك الخالى فإن واضع المنشور على السرير الخالى كان بإمكانه أن يغرس الخنجر فيك أو فى زوجك أو فى أولادك فماذا تنتظرين .
- منشور آخر عن لعنة الفراعنة التى تصيب كل من يقترب من الأماكن المقدسة الفرعونية وأن لعنة الفراعنة هذه سوف تحمى المصريين ذرية الفراعنة من كل من يدنس الأرض المصرية .

وصلت هذه المنشورات بكميات كبيرة وتوالى استلامنا لها كل أسبوع بأفكار جديدة والحق يقال كل فكرة مدروسة بعناية للتأثير النفسى القاتل على أفراد القوات البريطانية على شاطىء قناة السويس .

وتولى كل زميل توزيعها كل فى نطاقه داخل المعسكرات وداخل مساكن العائلات وداخل السينما وأماكن الترفيه وباختصار لم يخلو ركن من سيل هذه المنشورات .

وبالنسبة للمنطقة التى كنت مسئولا عنها وهى المعسكرات بين مدينة الاسماعيلية ومدينة السويس وتشمل أكثر من ثلثى القوات البريطانية المحتلة لمصر كان توزيع المنشورات أكثر من ناجح ولعل الفضل الأساسى لذلك هو شبكة المعلومات المنتشرة فى كل ركن من أركان المعسكرات وما وصلت إليه من قدرات لم يكن أحد يتصورها .

وبرغم تعليماتى توخى منتهى الحرص وتأكيد ألا يترك المنشور أو يوزع بطريقة يسهل بها التعرف على من وضعه إلا أنه يمكن القول بأنه لم يكن لهذا التوزيع الناجح جدا سلبياته فقد حامت الشبهات حول عدد قليل من أفراد الشبكة وعدد آخر من خارج الشبكة .

وتم تعذيبهم لمزيد من المعلومات منهم وكانوا أكثرهم على مستوى المسئولية تماما وتحملوا التعذيب دون أن يرووا غليل معذبيهم . وبعد فترة من الحبس والتعذيب طردتهم القوات البريطانية وأن استشهد القليل منهم لهم من مصر كل الوفاء والشهداء مثواهم الجنة .

وقد شاركت بنفسى فى التوزيع وإن كان ذلك على نطاق ضيق وفى حدود المتاح لى من فرص خارج المعسكرات البريطانية لعدم إمكانى الدخول للمعسكرات وبصفة خاصة عندما كنت اتصيد أفراد القوات البريطانية وعائلاتهم عند دخولهم أو خروجهم من حفلات السينما المسائية وفى زحمة الخارجين والداخلين وفى حماية من هذه الزحمة كنت وبعض أفراد شبكاتى متسترين بالظلام نلقى فى الهواء بالمنشورات فوق التجمعات المتجمعة أمام السينما وكانوا يتسابقون فى جمع هذه المنشورات وهى طائرة فى الهواء أو يلتقطونها من الأرض رغم التعليمات المشددة عليهم بتجاهل المنشورات تجاهلا تاماً .

كانت الإدارة البريطانية لكى تعوض أفراد قواتها عن وسائل الترفيه المحرومين منها قد أنشأت لهم عددا من دور السينما على جانب طريق الاسماعيلية السويس بعيدا عن المعسكرات وتعمدت أن تكون هذه السينمات بدون حراسة عسكرية مركزة لإشعارهم ببعض الراحة النفسية من خنقة الثكنات .

فكانت حراسة هذه السينما محدودة قبل حملة توزيع المنشورات ولكن دوريات البوليس الحربى البريطانى بدأت تركز محاولاتها لاصطياد من يقوم بالتوزيع عندما تكررت موجات توزيع المنشورات على الخارجين والداخلين لدور السينما .

وفى إحدى المرات بعد تنبه القوات البريطانية لخطورة تلقف البريطانيين الخارجين أو الداخلين لدور السينما للمنشورات لم ألتفت إلى دورية بوليس حربى بريطانى فى أحد سيارات الجيب المختفية فى ركن مظلم تنتظر مطاردة والقبض على من يلقى هذه المنشورات وكنت أوزعها عن طريق قيادتى سيارة صغيرة وبجانبى المراسلة هاشم ومعه الكم الكبير من المنشورات وعليه أن يلقيها بتعليمات منى على الخارجين والداخلين كلما مررنا أمام إحدى السينمات المنتشرة فى منطقة فايد على الطريق بين الاسماعيلية والسويس .

وتنبهت الدورية لإلقاء المنشورات فبدأت مطاردة مثيرة بينى فى السيارة الموريس الصغيرة الجديدة وبين دورية البوليس الحربى فى عربتهم الجيب . وكما كان مرسوما فإن تزاحم رواد السينما أعاق إلى حد ما تحرك السيارة الجيب بينما استمريت أنا فى انطلاقى بأقصى سرعة فى اتجاه السويس وأنا على يقين من أن الدورية ستتمكن منى لا محالة فالطريق مكشوف والسيارة التى أقودها رغم أنها جديدة إلا أنها صغيرة وقدرتها فى السرعة أقل من قدرة الجيب ولن يهدأ للدورية بالا إلا بالقبض علينا .

كان أول ما فعلته أن أمرت المراسلة هاشم بأن يلقى فى الطريق كل ما يملأ السيارة من منشورات حتى لا تجد الدورية دليل الإدانة معنا ولا تقبض علينا متلبسين وقد يسهل

علينا فى هذه الحالة الادعاء بأننا لسنا من كان يرمى المنشورات . وبدأت أهيء نفسى وألقن المراسلة هاشم ما سيقوله مهما تعرض للتعذيب وفجأة وأنا مضطر لأ هدىء من سرعة السيارة فى منعطف حاد للطريق تبينت فى الظلام أطلال معسكر قديم لم أتردد فى أن اقتحمه لأ تستر بجدرانه عن الدورية البريطانية التى من حسن الحظ حجب منعطف الطريق . رؤيتهم لسيارتى وهى تترك الطريق العام مطفئة الأنوار لتختفى خلف أسوار أطلال المعسكر القديم .

وصح ما توقعته فقد خدع الظلام ومنعطف الطريق الدورية البريطانية من أن تتصور أنى تركت الطريق العام واختفيت خلف الأسوار - ومن خلف هذه الأسوار وكلى إحساس مرهف بما كان ينتظرنى من مخاطر حمدت الله إذ رأيت سيارة الدورية الجيب وقد استعادت سرعتها بعد المنعطف تستمر فى اتجاه السويس بأقصى سرعة بهدف أن تضيق المسافة بينها وبين السيارة التى تطاردها غير مدركة أن السيارة المطاردة نجحت فى الهرب من المصيدة .

ولم أسعد كثيرا بفرحة النجاة فقد كان على أن أسرع فى تغيير اتجاه السيارة لأ عود بها فى أقرب وقت إلى الاتجاه المعاكس اتجاه الاسماعيلية ليقينى من أن الدورية ستكتشف سريعا أن السيارة المطاردة أفلتت منها بعد المنعطف وستعود وربما ومعها غيرها من الدوريات للبحث عنا وأول ما يتجه إليه تفكيرهم بلاشك المكان الوحيد الممكن أن أكون قد تسترت خلفه وهو أطلال المعسكر الذى أختفى خلف أحد جدرانه .

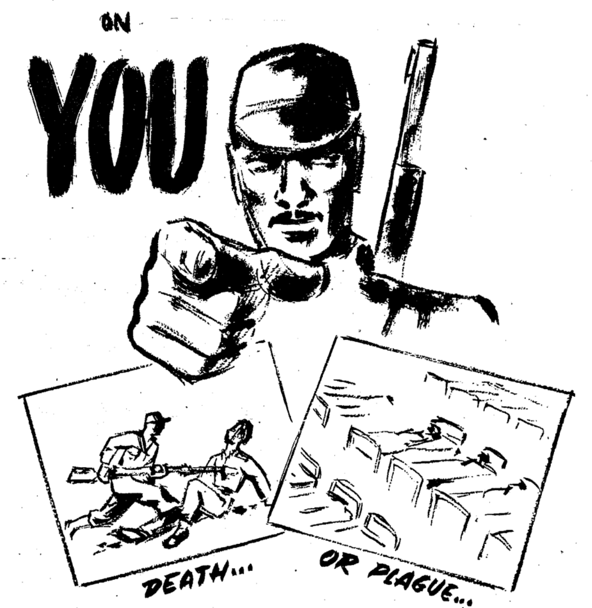
لم أسعد بفرحة النجاة وبدأ قلبى يسرع فى دقاته مرة أخرى عندما عجزت من فرط رغبتى فى الإسراع بالعودة عن أن أعرف الوضع الصحيح لفتيس السيارة الذى يسمح لها بالتحرك للخلف - كانت السيارة ذات طراز جديد لم أتعوده أو لنقل صراحة أن رهبة الموقف أعمتنى عن أن اكتشف الوضع المناسب للفتيس لتحريك السيارة للخلف وكان لابد من أن أناور بالسيارة للخلف وللأمام حتى أخرج بالسيارة فى اتجاه الطريق العام والسيارة « محشورة » بين أسوار أطلال المعسكر القديم .

لم يكن أمامى والوقت يمر سريعا إلا أن أحاول ومعى المراسلة هاشم أن نقوم بهذه المناورة بالجهد الذاتى مستفيدين من صغر حجم السيارة وخفة وزنها بأن نتعاون سويا فى رفع السيارة بأيدينا مرة من الخلف ومرة من الأمام ونحركها يمينا ويسارا بعزيمة من يؤمن أنه « يا روح مابعدك روح » والعرق يتصبب منا وآذاننا مرهفة لحركة السيارات على الطريق متوقعين فى أى لحظة أن نقع فى مصيدة لا فكاك منها .

ورغم أن ذلك واقعيا لم يستغرق منا وقتا طويلا ولكنى ظننته دهرا حتى استقام لنا الأمر وأمكن توجيه مقدمة السيارة الاتجاه الصحيح ناحية طريق الاسماعيلية السويس وفى أقل من القليل كانت السيارة الموريس الصغيرة تنهب الطريق نهبا فى اتجاه الإسماعيلية لا لأعيدها لصاحبها فقط صالة مبيع واستئجار السيارات وإنما لأ طلب منه أن يجهز لى سيارة مختلفة لليوم التالى .

وفى الحقيقة نجحت حرب المنشورات نجاحا فاق كل تصور لدرجة أفصحت عنها نشرة TOP TOP SECRET التى نتسلمها أسبوعيا كما سبق القول حيث أكدت النشرة مستوى الانتشار الواسع لهذه المنشورات لدرجة أن الجنرال مكسويل نفسه قائد القوات البريطانية اكتشف أحد هذه المنشورات فى جيب جاكتته وأشارت النشرة صراحة إلى تخوف مسئولى القيادة البريطانية من آثار هذه المنشورات المدمر للروح المعنوية للقوات البريطانية فى مصر وعائلاتهم .

بعض المنشورات التى شكلت
حربا نفسية أثرت تأثيرا
كبيرا على معنويات القوات
البريطانية وعائلاتهم وقد وزعت
بنجاح كبير وعلى أوسع نطاق

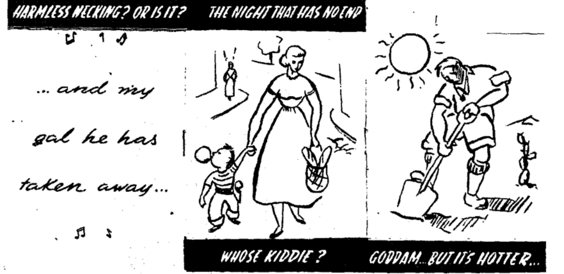

IT WILL COME
ON
YOU
DEATH...
OR PLAGUE...



... where murder can be legal!


WHY DO YOU SWEAT...
WHILE OTHERS...
HAVE
a good time
IN ENGLAND!


BLIMEY!!...BUT IT'S HOT...
FEELING LONELY?
SHE HAS TO GO OUT SOMETIME
NO! NO! NO!
!
YES! YES! YES!
HARMLESS NECKING? OR IS IT?
THE NIGHT THAT HAS NO END


... and my
gal he has
taken away...
WHOSE KIDDIE?
GODDAM...BUT IT'S HOTTER...

"THE PROMISE"

A PLAY IN THREE ACTS
WRITTEN BY THE FOREIGN OFFICE



PREPARING THE ......th CONFERENCE

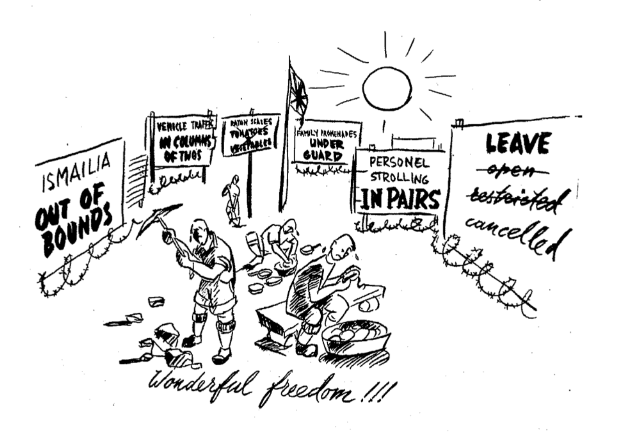


G.O.C.– I PROMISE YOU EXOTIC TRIPS TO CAIRO AND LUXOR FOR THE NEW YEAR

ACT II



ACT III


ISMAILIA
OUT OF BOUNDS
VEHICLE TRAFFIC
IN COLUMNS OF TWOS
RATION SCALES
TOMATOES
VEGETABLES
FAMILY PROMENADES
UNDER GUARD
PERSONEL
STROLLING
IN PAIRS
LEAVE
~~open~~
~~testeristed~~
cancelled
Wonderful freedom !!!

-Here's to the old relics!
more power to them.



Dearest

I miss you so....

I wish the old diehards at home would pipe down and retire to a museum... where they belong now.

I would then see you all the sooner, my own darling.

What are the old relics trying to do? Get us six feet deep and pushing up Egyptian daisies?...

You know I woudn't mind if it were our own daisies, but this is different.

In the meantime don't you dare go necking with any body. You belong to me and don't you forget it.

Love

P.S. our O.C. says for us to write home more often.

He's telling me !!!.



10 DOES'NT MAKE SKNSE

We were here in 1914, and what did it get us? World war II. We Were hore in 1939 and wolre still here in 1953. And it's still getting us no place. and We rot in the Sun or get Knifes in the streets. What's happening baok home?

The YANKS have come and settled down, living like Lords rolling in Dollars Now, one can put up with a raw deal once, and even twice, if one has he... But there's no point in keeping us herdo like eattle for slaughter, just in case something happons which may never happen.. It does'nt make Sense...

Let's pack up and go home, and get to hell out of this place. Dont you know what you're going to do chum? But i'm telling you what I am going to do.. I'm QUITTING...

And that does make SENSE...

ثم جاء الوقت الذى أحسسنا فيه أن مفاوضات الجلاء بين الجانب المصرى برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر والجانب البريطانى برئاسة مستر انطونى هيد وزير الحربية البريطانية تسير فى الاتجاه الإيجابى . بدى ذلك واضحا من انكماش تكليفات التسخين وطلب المزيد من عمليات الإزعاج للوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس ثم تطور هذا الاتجاه إلى التأكيد علينا بأن نلتزم ونلزم شبكاتنا منتهى السكينة والهدوء .

إلى أن كان يوما تسلمنا فيه أمرا قاطعا بانتهاء مهمتنا والطلب إلينا أن نعود فورا للقاهرة مع تحذيرنا من أى تصرف مضاد للقوات البريطانية منا أو من أفراد شبكاتنا بعد الآن .

وفى القاهرة اجتمع بنا جميعا السيد مدير المخابرات العامة البكباشى زكريا محيى الدين ليبلغنا تقدير إدارة المخابرات العامة وتقدير مصر كلها وتاريخ مصر لما قمنا به جميعا من فدائية وجهد منظم استمر بفاعلية أربعة عشر شهرا كان العون كل العون فى تنفيذ خطة الثورة لإجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد احتلال مقيت جاوز الأربع وسبعون عاما .

وفى هذا الاجتماع أفادنا سيادة المدير بأنه تم والحمد لله الاتفاق النهائى على اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن مصر وأنه يتم التوقيع عليها بالأحرف الأولى فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء فى شارع القصر العينى (نفس مقر مجلس الوزارة الحالى) بعد أيام وبالتحديد يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ وأن الرئيس جمال عبد الناصر يطلب تكريما لنا أن نكون يومها ضمن الحاضرين مراسم التوقيع بالأحرف الأولى لاتفاقية الجلاء ويسعده أن يجتمع معنا قبل التوقيع لتأكيد تقدير مصر لما قمنا به وأنه قد أصدر قرارا بمنح كل منا نيشان النجمة العسكرية .

والنجمة العسكرية هى أعلى نيشان عسكرى وقت الثورة وقد حلت محل نجمة الملك فؤاد العسكرية التى كانت أعلى نيشان عسكرى قبل الثورة .

وبقدر ما كان البكباشى زكريا محيى الدين ودودا شكورا فى تقديره ومديحه لنا لما قمنا به بقدر ما كان صلبا حازما فى تحذيره لنا من أن يكون لأحدنا أو لأى من أفرادنا أى نشاط فى منطقة قناة السويس بعد الآن وطلب منا بإصرار أن نسلم المنطقة لقوات الشرطة المختصة والتى سيعود إليها مرة أخرى مسئولية الضبط والربط والإدارة الكاملة لمنطقة قناة السويس وأن نعطى الشرطة البيانات الكاملة عن كل أفراد شبكاتنا وأن نعيد للقوات المسلحة كل ما سبق أن تسلمناه من أسلحة ومتفجرات فورا بل وكان عنيفا فى قوله لنا أن الشرطة لديها تعليمات واضحة بالقبض على أى منا لو وطئت أقدامه أرض المعركة السابقة إلا إن كان فى مهمة محددة حصل على موافقة مسبقة وتصريح بها منه شخصيا وتخطر بها أجهزة الشرطة فى منطقة قناة السويس ولكنه لم يتردد فى الموافقة على طلبى السابق

وعد بعض الأشقياء الذين تعاونوا معنا بإخلاص وكانت عليهم أحكام بالحبس بأن يستصدر قرارا جمهوريا من السيد رئيس الجمهورية بإلغاء هذه الأحكام طبقا للدستور التزاما بالوعد السابق وعدهم به بشرط أن يغادروا منطقة قناة السويس فورا ويعودا إلى قراهم تحت مراقبة قوية من شرطة بلادهم للاطمئنان إلى أنهم لن يعودوا أبدا لمنطقة قناة السويس ويعتبر قرار الإفراج عنهم في هذه الحالة كأن لم يكن خلاف ما يستجد من إجراءات وجزاءات .

وعلمنا فيما بعد مبررات هذه الصلابة .

١ - المفروض أن القوات المسلحة البريطانية ستسلم المعسكرات إلى القوات المسلحة المصرية التى ستحل محلها فى ثكناتنا وكان الخوف كل الخوف أن تتعرض القوات المسلحة المصرية للغزوات التى أصبح يجيدها كل الإجادة شبكات مدربة أحسن تدريب على السلب والنهب من هذه الثكنات .

٢ - كان من الطبيعى وقد استشرت الهجمات المسلحة وامتلأت المنطقة بحاملى كل أنواع الأسلحة والمتفجرات والمجيدين لاستخدامها أن يكبح جماح كل من قد تسوله نفسه أن يحترف الهجوم المسلح ضد الأهداف الوطنية من منشآت وأفراد عندما لا يجد ضالته فيما كان مسموحا له به من قبل من التكسب من الهجوم على القوات البريطانية والمعسكرات البريطانية .

٣ - لا أظننى مخطئا فى تصورى وتصور زملائى فى تلك المرحلة من أن وزارة الداخلية وقواتها ومراكزها كانت غير مرتاحة إطلاقا لسحب كل نفوذ وسلطة لها على كل منطقة قناة السويس والتى عهد إلى إدارة المخابرات العامة بكل ما يخص هذه المنطقة طوال فترة الكفاح ضد الوجود البريطانى للقوات البريطانية فى منطقة قناة السويس أما وقد زال الغرض من انسلاخ منطقة قناة السويس من إدارة أجهزة وزارة الداخلية فلم يعد هناك أى مبرر لعدم إعادة السلطة كاملة لوزارة الداخلية وأجهزتها وحتى لا يقع أى صدام بين قوى وزارة الداخلية وأجهزة إدارة المخابرات العامة وشبكاتها وكان هذا أمرا متوقعا لما تولد بين نفوس بعض الضعاف خلال صراعات مكبوته تراكمت بلا تنفيس خلال أكثر من سنة فقد كان القرار الحازم الصارم بسحب وتقييد حركة كل أجهزة المخابرات العامة وشبكاتها فى منطقة قناة السويس منعا لأى صدام وتوقعاته .

وفى اليوم الذى انتظرناه كثيرا فى يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ اجتمعنا مرة أخرى كل ضباط شبكة إدارة المخابرات العامة للكفاح ضد الوجود العسكرى البريطانى فى منطقة قناة السويس اجتمعنا فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء فى الصالة الملحقة بقاعة اجتماعات مجلس الوزراء حيث سيتم توقيع اتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى .

وحضر الرئيس جمال عبد الناصر لتحيتنا وإبلاغنا تقديره الشخصى وتقدير مصر وثورة مصر وتاريخ مصر لما قمنا به مؤكدا أنه لم يدعوا لحفل التوقيع إلا أقل القليل ممن

تفرض مثل هذه المناسبات تواجدهم ولكن استثنى من هذا التقليل من الدعوات الأبطال الذين بفضلهم نجح المفاوض المصرى فى الضغط على الجانب البريطانى ليحصل منه رضاء بما لم يكن أحد يتصوره .

وتركنا ليدخل قاعة اجتماعات مجلس الوزراء لتبدأ أخيرا مراسم توقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن مصر بالأحرف الأولى وكان الوفد المصرى برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر وعضوية المشير عبد الحكيم عامر والوزراء عبد اللطيف بغدادى وصلاح سالم ومحمود فوزى وكان الجانب البريطانى برئاسة مستر أنطونى هيد وزير حربية بريطانيا وعضوية المستر شاكبور وكيل وزارة الخارجية البريطانية والسفير السيررالف ستيفنون السفير البريطانى فى مصرفى ذلك الوقت وميجور جنرال بنسون كبير المفاوضين العسكريين البريطانيين .

وبينما نحن فى نشوة أحلامنا والبعض منا يجتر ذكرياته عن دوره فى هذا الحدث التاريخى الهام والبعض مع البعض يتبادل المواقف التى تعرض لها وصادفها فى حرب الجلاء انفتح فجأة الباب الموصل بين قاعة اجتماعات مجلس الوزراء حيث وفدى المفاوضات تحاصره كاميرات السينما والتصوير ومراسلى الصحف العالمية والمحلية وبين صالون الاستقبال الملحق بقاعة اجتماعات مجلس الوزراء حيث كنا وخرج من الباب وحده على غير انتظار الرئيس جمال عبد الناصر الذى اتجه لى مباشرة قائلا مبتسما .

ــــ يا محمد يا غانم .. واللا قوللى اسمك ايه النهاردة .

ــــ خلاص يا ريس من النهاردة رجعت محمد غانم والله أعلم بكره هايبقى ايه .

ــــ قوللى .

ــــ افندم

ــــ فيه سؤال سألهولى جنرال بنسون ومش لا قيله عندى رد .. وفى الحقيقة السؤال ده زى ما هو محيره حيرنى أنا كمان ووعدت أجيب له رد ويتهيأ لى الرد ده عندك .

ــــ تحت أمرك يا ريس .

ــــ جنرال بنسون على حد قوله أنه دلوقت بعدما انتهت المناوشات ضد القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ومافيش أى مبرر للاحتفاظ بالأسرار فيه موضوع كان بيحصل كتير فى المنطقة محيره قوى ومحير كل القوات البريطانية لدرجة اتولد عند كثير منهم إن فيه أرواح شريرة فى المنطقة وعايز يعرف ازاى ده كان بيحصل .

ــــ إيه اللى كان محيرهم يا ريس .

ــــ بيقول كانت حراستنا لمعسكراتنا قوية جدا .. غالبا طوقين من دوائر الأسلاك الشائكة فوقهم طوق ثالث ... يتخللهم بوبى ترابس (متفجرات صغيرة الحجم تنفجر باللمس) ووسط الأسلاك الشائكة أسلاك أخرى كهرباء ما إن يلمسها أو يقطعها أى متسلل

إلا وأجراس صوتها عالى جدا تملأ الجو ... وفى بعض الأحيان فى المناطق الهامة بندس أسلاك كهرباء تصعق أى واحد يلمسها ... والحواجز الشديدة دى عليها مجموعة حراسات قوية من دوريات ثابتة ودوريات بالسيارات وكلاب حراسة وكشافات قوية تخللى الليل نهار ومع ذلك نصبح الصبح ونكتشف مخازننا اللى برضه محروسة حراسة قوية ومقفولة بأقفال كبيرة نكتشف مخازننا دى فاضية ونكتشف اثنين ثلاثة من رجالتنا مفقودين والعجيب أن الأسلاك الشائكة بما فيها من بلاوى سليمة تماما لا انقطعت فى أى جزء منها ولا بوبى ترابس انفجر ولا جرس إنذار انسمع له صوت والأعجب أن الأقفال سليمة ومقفولة برضه ولكن على مخزن فاضى .

إيه رأيك يا غانم الكلام ده له عندك تفسير .

— أيوه يا افندم ... حصل

— إيه اللى كان بيحصل

— البداية يا ريس كانت فى محاولة اكتساب أحد الصولات أو الشاويشية المسئولين عن الحراسة وكان سهل علينا تماما الأتفاق مع القبارصة منهم لتعاطفهم سياسيا معانا وإن كان ده ما يمنعكش فى بعض الأحيان نشترى بعض الصولات أو الشاويشية الانجليز نفسهم بإغراءات مختلفة ولكن الحقيقة قليل .

والفضل يا ريس فى هذا التجنيد يعود إلى شبكات المعلومات من العمالة المصرية فى المعسكرات البريطانية المتغلغلة والمتحكمة تماما فى معسكراتها ووصلت فراستها إلى حد مرتفع جدا يمكنها من حسن اختيار وتجنيد المناسب للاتفاق معاه .

بنتفق مع مسئول الحراسة اللى بينجح رجالتنا فى تجنيده مقابل إغراءات أغلبها مادى والمسئول ده يحدد لنا الليلة والوقت بالذات اللى يكون رتبه بمعرفته مع بعض أفراد الحراسات وبيكون عادة من ساعة إلى ساعة ونص حسب الظروف وفى الساعة أو الساعة ونص دى الكشافات تتوجه إلى كل مكان إلا المكان اللى اختاره لنا مسئول الحراسة والكلاب محجوزة فى أوكارها والدوريات السيارة تركز نشاطها فى الجانب الآخر من المعسكر والدوريات الثابتة فيما بين المخزن المقصود ومكان اختراق حاجز الأسلاك تغط فى نوم عميق .. والأهم من ذلك إقفال المخزن وكانت عادة من الأحجام الكبيرة اللى لها مرحلتين علشان تقفل المرحلة الأولى يا دوب يتوجه لسان القفل إلى الفتحة اللى هايدخل فيها بل ويدخل فيها فعلا بعمق بسيط ولكنه غير مؤثر ويمكن لأى واحد أن يعيد فتحه ببساطة ودون مفتاح والمرحلة الثانية بالضغط بشدة على لسان القفل ليتعمق داخل القفل نفسه بحيث يصعب فتح القفل إلا باستخدام المفتاح .

وكان من مهمة مسئول الحراسة أن يتأكد بنفسه أن أقفال المخزن المقصود لم تتجاوز المرحلة الأولى بحيث تخدع كل من يشوفها فى أن القفل فعلا مقفول ولكن الحقيقة يستطيع أى شخص أن يفتح القفل بلا مفتاح كما كنا حريصين على أن نقفل القفل

بالمرحلتين بعدما ننفض المخزن .

ـــ لكن ازاى بتعدوا الأسلاك الشايكة بحواجزها وتوصلوا للمخزن .

ـــ أغفر لى يا ريس أن نسبت البطولة وأنا محق فيها لأرباب السوابق اللى كنا مشغلينهم معانا واغفر لى مرة ثانية يا ريس أنى أشيد بصدق وفدائية وبطولة والتزام اللى كان المجتمع يعتبرهم مجرمين ويمكن يكونوا فعلا مجرمين ولكنهم فى مرحلة تعاونهم معانا كانوا قمة فى الوطنية والالتزام .

واحد منهم يقلع ملط فى عز الشتا وسيادتك عارف الجو الصحراوى فى الشتا خصوصا بالليل وينام على ضهره ورأسه قريبة من حلقة السلك القريبة منا وبحرفنه يحفر لنفسه بايديه ورأسه ممرا فى الأرض الرملية تحت حلقات السلك وسيادتك عارف إن المعسكرات كلها كانت على أرض رملية وخلال فترة من ربع ساعة لثلث ساعة يعبر تحت الأسلاك إلى المعسكر دون أن يلمس أو تلمس جلبيته أو أى من هدومه السلك الشائك (فقد كان فعلا بلا ملابس) بما فيه من بلاوى . وبوصوله للطرف البعيد من مجموعة الأسلاك الشائكة جوا المعسكر نرميله اللى يستر عورته ونرميله حامل متجهز من قبل عشان ينفع مع حامل زيه ناحيتنا نعمل عليهم زى كوبرى من مراين خشب تنقلنا من خارج المعسكر لجوا المعسكر الكوبرى ده بعيد عن مشاكل مجموعة السلك الشائك باللى فيه .

وبخفة النمور المدربة تعدّى مجموعتنا شبكة السلك الشايك فوق الكوبرى وتوصل فورا للمخزن المقصود .

وببساطة نفتح القفل وندخل المخزن لأبدأ أنا أولاً فى تحديد ما تحتاج إليه قواتنا المسلحة من معدات عسكرية ينقله رجالتنا بوعى المتمرس الفاهم الواعى إلى البر الثانى من السلك الشايك ويكون بانتظارهم عربات الجيب الخاصة بحرس الحدود للقوات المسلحة المصرية ينقلون ما يصلهم فورا إلى الزقازيق وبلبيس خلال مسالك صحراء محافظة الشرقية السرية اللى عرفوها من مهربى المخدرات . ومن حق رجالتنا بعد اختيارى ما ينفع قواتنا المسلحة خمس دقائق أو عشر دقائق ينقلوا باختيارهم الشخصى مانسمح لهم أن يبيعوه لحسابهم الخاص من متعلقات الجيش البريطانى الغير عسكرية وطبعا بعد كده ما ننساش نقفل القفل بمرحلتيه الأولى والثانية وما ننساش برضه ننضف آثار تحركاتنا ويا دار ما دخلك شر . وسيادتك لاشك بلغك أنه فى بلبيس أو الزقازيق يتسلم مندوبو القوات المسلحة ما يخصهم ويتسلم ويبيع رجالتنا ما يخصهم .

وهكذا بعد أربع وسبعون عاما من الاحتلال العسكرى المقيت لمصر تم بحمد الله يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ فى مقر مجلس الوزراء بالقاهرة توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر بالأحرف الأولى . وقعها عن الجانب المصرى الرئيس جمال عبد الناصر ووقعها عن الجانب البريطانى الوزير انطونى هيد وزير الحربية البريطانية بعد مفاوضات صعبة بدأت

مباحثاتها فى ۲۷ أبريل ۱۹٥۳ وتوقفت لفترات مرات قصيرة ومرات كبيرة وانتهى هذا التوقف نتيجة للمقاومة المصرية لقوات الحتلال التى ازدادت ضغوطها شدة على متخذى القرار فى لندن من عسكريين ومدنيين ويقال أيضا أنه كان هناك ضغط دبلوماسى أمريكى وكانت مفاوضات واضحة فى حتمية الوصول إلى اتفاق إلى أن تحدد ۲۷ يوليو ١٩٥٤ للتوقيع على الاتفاقية بالأحرف الأولى .

وتم التوقيع النهائى على هذه الاتفاقية فى البهو الفرعونى بمبنى البرلمان المصرى يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ وقعها عن مصر الرئيس جمال عبد الناصر ووقعها عن الحكومة البريطانية الوزير انطونى ناتنج وزير الدولة بوزارة الخارجية البريطانية (الذى استقال من الحكومة البريطانية بعد ذلك احتجاجا على العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ودور بريطانيا فيه) .

وطبقا لشروط اتفاقية الجلاء تم تنفيذ الجلاء بالكامل فى يونيو ١٩٥٦ فقد اقلعت الباخرة ايفان جيب فى الساعة الثانية عشر والدقيقة أربعون من صباح يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦ من ميناء بورسعيد الطرف الشمالى لمنطقة قناة السويس حاملة معها آخر فوج من القوات البريطانية يجلو عن أرض مصر بعد أول قنبلة ألقيت من الأسطول البريطانى على طوابى الاسكندرية صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ وما تبع ذلك من احتلالهم مصر أيضا عن طريق منطقة السويس بعد معركة التل الكبير فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦ رفع جمال عبد الناصر العلم المصرى على مبنى البحرية فى بورسعيد وهو آخر مبنى جلت عنه القوات البريطانية واعتبر ذلك اليوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ عيد الجلاء وعيد الاستقلال الحقيقى لمصر وصادف أو لعله روعى أن يكون هذا اليوم ١٨ يونيو هو عيد الجمهورية أيضا إذ أن إنهاء الحكم الملكى فى مصر وإعلان الحكم الجمهوري كان فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وطبقا لشروط الاتفاقية وفى ١٣ يونيو ١٩٥٦ غادر مصر آخر عسكرى بريطانى محتل وفى ٢٦ يوليو من العام نفسه أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس وهو حدث ما كنت أظنه وما كان يظنه أحد يمكن أن يحدث مع وجود قوات عسكرية محتلة لمصر على شاطىء قناة السويس .

١٨ يونيو ١٩٥٦ يوم الاحتفال بالجلاء الكامل عن مصر يوم طالما انتظره المصريون وسعوا إليه وضحوا فى سبيلة بالشهداء .

١٨ يونيو ١٩٥٦ يوم اكتمل استقلال مصر الحقيقى بالجلاء الكامل للقوات البريطانية المحتلة لمصر فمهما قيل دبلوماسيا أو قانونيا عن معاهدات الشرف والاستقلال واتفاقيات إلغاء الحماية وما شابه فإن الوجود العسكرى من غير أهله فى أى دولة مهما كان تبريره هو احتلال وهو استعمار وهو انتقاص لأى استقلال .

أين نحن الآن من الاحتفال بعيد ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

لماذا نسيناه وما الذى أنساناه .

وهل فرحة مصر بأيام مجد أخرى يلغى حق مصر وأحلام مصر فى حقبة مهمة من تاريخها وهل ما يمنع من أن نمجد ونحتفل بكل أعيادنا .

ماذا نقول لشهداء مصر فى سبيل الاستقلال من طلبة بررة انطلقوا بصرخاتهم يستفزون الحكومات والرأى العام المحلى والعالمي مطالبين بالاستقلال التام أو الموت الزؤام رغما عن رصاص الانجليز المستعمرين غير آبهين بالرصاص المتطاير حولهم يزهق أرواحهم البريئة .

ماذا نقول لشهداء الشرطة بأسلحتهم البدائية المتهالكة الذين حصدتهم فى الاسماعيلية القوات البريطانية المستعمرة دون ذنب جنوه بأحدث أسلحة أثبتت تفوقها فى حرب عالمية شرسة لم تتحملها جيوش هتلر العتاه .

ماذا نقول لشهداء دنشواى أمطرتهم بالرصاص القوات البريطانية المستعمرة لمصر لأتفه الأسباب وأكملت اغتيالهم بمحاكمات صورية على أرض مصر المفروض دستوريا ودبلوماسيا أنها قد وقعت اتفاقية إنهاء الاحتلال .

ماذا نقول لفدائيينا الذين طوال أعوام الاحتلال السبعين لم تفتر فدائيتهم مضحين فى سبيل الاستقلال بأرواحهم وما يملكون

ماذا نقول لأرواح أبائنا وأجدادنا الذين تحملوا مرغمين مذلة الاحتلال والاستعمار يحدوهم الأمل والرجاء يوما من الأيام بحصولهم أو حصول أبنائهم على الاستقلال التام .

هل نكتفى بأن نقول لهم أننا أحفاد الفراعنة الذين ما أن يتبوأ أحدهم السلطة حتى يعيد تسجيل التاريخ لصالحه على المسلات نفسها لتحل محل أمجاد السابقين .

١٨ يونيو ١٩٥٦ تاريخ لا يجب أن ينساه المصريون أبدا ولا يجب أن يحجب الاحتفال به صراعات شخصية مهما كان الدافع لها فهو اليوم الحقيقى الواقعى لاستقلال مصر فى عصرها الحديث من احتلال كامل دام طوال ثلاث أرباع القرن الذى ما زلنا نعيشه . استقلال شارك فى الوصول إليه أجيال وأجيال من المصريين ثم كيف ننسى أن ١٨ يونيو هو عيد الجمهورية الذى انتقلت فيه مصر من الحكم الملكى إلى النظام الجمهورى . ألا يعنى هذا عند مصر والمصريين شيئا .

فلتزداد مسلاتنا بأمجادها فهذا فخر ما بعده فخر لمصر ولنعيد الاحتفال بمسلة ١٨ يونيو ١٩٥٦ وما تعنيه من أمجاد لن يقلل منها أبدا أن نحتفل بمسلات مجد وفخار أخرى بعد هذا التاريخ وقبله .

فما التاريخ إلا مجموعة من الفخار ومن يتنكر لأمجاده يتنكر لتاريخه .



مجموعة الكفاح ضد الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس

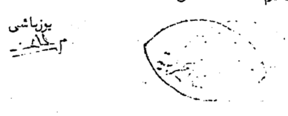
١٩٥٤ / ١٩٥٥

عبد الفتاح أبو الفضل / عاطف عبده سعد / عبد المجيد فريد / عمر لطفى / سامى حافظ / لطفى واكد
محمود عبد الناصر / سعد عفره / زكريا محيى الدين / كمال رفعت / محمد غانم / سمير غانم / محمود سليمان

تصريـــــح

تصريح لمحمود الكنج بالتواجد بمنطقة القنال لمدة ٤٨ ساعة على الا يخالف ما يلى فى هذا القانون وهذا تصريحا له بذلك - عن يوم ٦/ ٩/ ٥٤ الى ٧/ ٩/ ١٩٥٤

٥/ ٩/ ١٩٥٤



بعد الجلاء حُرّم بمنتهى الحزم على شبكاتنا بالتواجد مرة أخرى فى منطقة قناة السويس . وهذا تصريح معتمد من المخابرات العامة للبطل الفدائى محمود الكنج بالتواجد فى منطقة قناة السويس لمدة ٤٨ ساعة

القيادة العامة للقوات المسلحة
قيادة الحرس الوطنى
ادارة المخازن
القيد ٩/ ١/ س/ ٥٥/ ٧٠٠
التاريخ ٢١/ ٢/ ١٩٥٥

الموضوع/طلب شهادة بالفاقد بالاسلحة المسلمة الى السيد الصاغ محمد فائق فى عملية القنال

السيد رئيس اركان قيادة الحرس الوطنى :

بالاشارة الى صورة كتاب ادارة المخابرات العامة رقم ٣/ ٢/ ٥٥ بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٥٥ الواردة الينا بكتاب سيادتكم رقم ات / ٣/ ٨/ ٥٥ بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٥٥ بشأن الموضوع عاليه الرجا العلم بانه للآن لم ترد الينا شهادة الفاقد معتمدة من جهات الاختصاص حتى يمكن الخصم بموجبها من عهدتنا . الرجا استعجال هذا الموضوع

والله اكبر والعزة لمصـــــــــــر ...

بكباشـــــــــــى

مدير المخـــــــــــازن

حتى الكفاح المسلح لم يسلم من الروتين وللعلم تم إرجاع كل الأسلحة والمتفجرات التى تسلمتها ما عدا البعض منها الذى فقد مع بعض من استشهدوا أو استولت عليها القوات البريطانية فى بعض حملاتها التفتيشية

ادارة المخابرات الحربية
مكتب المدير

عزيزى تهامى
تحياتى وبعد
بناءا على اوامر السيد
المدير عليك السفر فى اقرب
فرصه اليوم إلى الاسماعيلية
وتقديم نفسك للصاغ
أبو الفضل - مسئول رجال
التنفيذ وشكراً
أفضل
الشاذلى 2/8/54
1050

الموضوع بالاختصار هو
حدوث انفجار كبير بالنقطة
صباح اليوم ونخشى أن يتكرر
المراد الآن سفرك لتحل
التى سنخطر انك هناك - والآن
كن أبو الفضل وانت ستأتى
عنا لتتم على الرجل
ومعرفة الناقص وشكراً

الشاذلى

بعد توقيع الاتفاقية كانت جميع أجهزة الدولة وبصفة خاصة المخابرات العامة حريصة على استقرار الأمن فى منطقة قناة السويس

عزيزي عزت

شكرا على تهنئتك الكريمة في هذه المناسبة
الكريمة. وهل هناك مناسبة أعز وأكرم من
هذه المناسبة التي تحققت فيها أحلامنا وتحققت
فيها كل أمانينا. الحمد لله أنه أطال في
أعمارنا لكي نرى هذا اليوم العظيم. والحمد
أيضاً أنه هيأ لنا ولأولادنا حياة أفضل.

تحياتي إلى زميل كفاح ومثل من أمثلة
التضحية وإنكار الذات والفداء
وأرجو لك التوفيق في حياتك المستقبلة
إن شاء الله

زكريا محيي الدين

١٨/٦/٥٦

في مناسبة تمام الجلاء عن مصر ورفع العلم المصرى على آخر معسكرات الجيش البريطانى فى بورسعيد أرسل محمد غانم يوم ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ برقية تهنئة إلى السيد زكريا محيى الدين مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت والذى كان المسئول عن جهاز مكافحة الوجود البريطانى فى إدارة المخابرات العامة المصرية وهذا رد السيد زكريا محيى الدين على هذه التهنئة
ملحوظة : فى يونيو ١٩٥٦ كان محمد غانم فى مهمة سرية أخرى فى المشرق العربى لتدعيم القومية العربية تحت اسم محمد عزت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

لجنة تسجيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

شكل السيد الرئيس محمد أنور السادات لجنة لتسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقد استدعتنى هذه اللجنة لتسجيل دورى فى خطة الثورة لاجلاء القوات البريطانية فى مصر وتم هذا التسجيل فعلا على الشريط رقم ٦٥٢ عسكرى بمعرفة اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان ذلك التسجيل بتاريخ ١ / ٦ / ١٩٧٧ ، وقد تم تسليم اللجنة عددا من الوثائق التسجيلية أهمها .

- الخطة المزورة التى جهزتها هيئة العمليات بالقوات المسلحة عن الدفاع عن القاهرة ضد أى هجوم متوقع للقوات البريطانية مرفقا بها شفافة مواقع القوات المسلحة فى الوضع السلمى وعند الاستعداد وعند الاشتباك مع القوات البريطانية فى كل الاحتمالات .
  ومرفقا بها أيضا دور الحرس الوطنى ومواقع معسكراته فى كل جمهورية مصر والمهمة المكلف بها كل معسكر .
- تنظيم كل من شبكات المعلومات وشبكات العمليات التى نجحت فى إنشائها فى المنطقة التى تحتلها القوات البريطانية فى المنطقة من الاسماعيلية للسويس .
  وكانت شبكات العمليات منظمة بتنظيم شبه عسكرى ومقسمة إلى سرايا والسرايا مقسمة إلى فصائل والفصائل مقسمة إلى جماعات .
- مستندات استلامى أسلحة من القوات المسلحة على دفعات ومستندات إعادة تسليمها إلى السرايا وإلى أمناء المخازن ومن ضمن هذه المستندات مستند تسليم أحد السرايا المهمات العسكرية التالية :
  ٥ مدفع رشاش برن - ٣٠ مدفع رشاش كارلوستاف - ١٠ حبل خنق - ٤٥ خنجر - ٣٢ قنبلة يدوية - بعض مهمات إسعافات أولية
- مجوعة الاسكتشات والرسومات والصور الفوتوغرافية عن المعسكرات والمناطق العسكرية ومراكز الخدمات والترفيه ونقاط التفتيش ومراكز التسليح والدشم والمرافق من كبارى ومحطات مياه وكهرباء .
- بعض تصاريح دخولى معسكرات القوات البريطانية .
- شريط مسجل عن اتفاق تم بينى وبين أحد الصولات القبارصة لتدبير السطو على أحد المخازن الهامة فى معسكره .

ملحوظة : المستندات التى أمكن التحفظ عليها وتم تسليمها إلى لجنة تسجيل ثورة ١٩٥٢ أو أرفقت مع المذكرات كنت أهربها مع مندوب المخابرات الذى يقابلنى يوميا تقريبا واحتفظ لى بها عنده .

فهرس

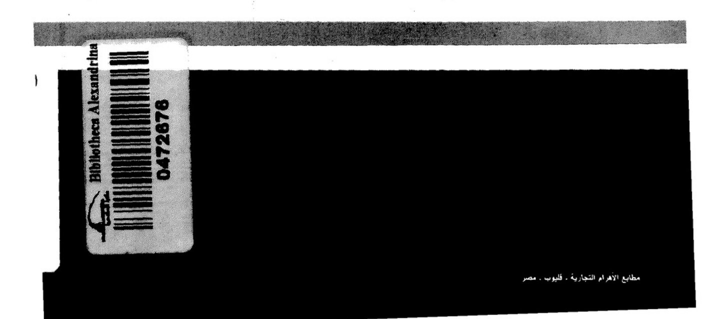
صفحة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب



محمد غانم

- خريج الكلية الحربية يوليو ١٩٤٤ .
- ضابط مدفعية فى البطارية الثانية آلالاى الأول مدفعية الميدان من يوليو ١٩٤٤ حتى يوليو ١٩٤٩ .
- شارك فى أولى معارك الجيش المصرى فى فلسطين من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى هدنة يناير ١٩٤٩ .
- أركان حرب المدرسة الثانوية العسكرية من يوليو ١٩٤٩ حتى قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ .
- أركان حرب مدفعية الفرقة من يوليو ١٩٥٢ حتى مايو ١٩٥٣ .
- الالتحاق بالمخابرات العامة ضمن جهاز مكافحة الوجود العسكرى البريطانى فى مصر من مايو ١٩٥٣ حتى توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر بالأحرف الأولى فى يوليو ١٩٥٤ .
- نائب مدير قسم الصحف والإذاعة بالإدارة العامة للمخابرات من يوليو ١٩٥٤ حتى أوائل ١٩٥٥ .
- ضمن مجموعة العمل الخارجى للمخابرات العامة المصرية فى المشرق العربى أعوام ١٩٥٥ / ١٩٥٦ / ١٩٥٧ تحت غطاء مدير فرع شركة النيل للاعلان فى بيروت وفروعها فى كل بلاد المشرق العربى .
- وتحت غطاء مستشار إعلامى فى السفارات المصرية فى لبنان وفى سوريا وفى الأردن ومدير مكتب الاستعلامات المصرى فى بيروت خلال النصف الأول من عام ١٩٥٨ .
- رئيس والعضو المنتدب لشركة النصر للتصدير والاستيراد من سبتمبر ١٩٥٨ حتى سبتمبر ١٩٧١ .
- العضو المنتدب للشركة العربية الأفريقية للاستثمار والتجارة الخارجية افاركو ومركزها الكويت أعوام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ - ١٩٧٤ - ١٩٧٥ .
- صاحب ومدير المكتب الاستشارى للتجارة والاستثمار (نشاط اقتصادى خاص فى القاهرة) من ١٩٧٥ .


Bibliotheca Alexandrina
0472678

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر